موسوعة الأعمال الكاملة
لسماحة الإمام
يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة

المحور العاشر

نحو وحدة فكريَّة للعاملين للإسلام

١٦٣

# موقف الإسلام من العقل والعلم

الإمام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

# من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٩].

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ [سبأ: ٤٦].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# من مشكاة النبوة الخاتمة

عن معاويةَ بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من يُرِدِ الله به خيرًا يُفَقِّهْه في الدِّين**». مُتَّفق عليه.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتَّخذ النَّاس رؤساء جُهَّالًا، فسُئِلوا، فأفتَوا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا**». مُتَّفق عليه.

عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن النَّاس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكنْ وَطِّنوا أنفُسَكم، إنْ أحسن النَّاس أنْ تحسنوا، وإنْ أساؤوا فلا تظلموا**». رواه الترمذي وحسَّنه.

عن أبي الدَّرْدَاء قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طُرُقِ الجنَّة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له مَنْ في السماوات، ومَنْ في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا، ولا درهمًا، إنَّما وَرَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**». رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

(أمَّا بعد)

كلُّ علماء الأمم ودُعاتها ومُفَكِّريها الكبار عُنوا عنايةً بالغة، بموقف الإسلام من العقل ومن العلم، وبيَّنوا ذلك بوضوحٍ لا ريبَ فيه.

وهذا أمرٌ جليٌّ تمام الجلاء لكلِّ من يقرأ تراث أُمَّتنا الحيَّ، وينظر في كلِّ جوانبه ونواحيه، ولا يكتفي بجانب واحد منه.

فعندنا جوانب للعلم الدِّيني أو الشَّرعي، الَّذي مستنده الأساسي هو علوم الوحي النازلة من السماء إلى الأرض، ومن عند الله العَلِيِّ الكبير إلى عباده البشر، ليُعَلِّمهم ما لم يكونوا يعلمون، ويتلو عليهم آيات الله تعالى، ويُعَلِّمهم الكتاب والحكمة، ولِيُقيمَ عليهم الحُجَّة، بما أنزل عليهم من بيِّنات، وما وضح لهم من آيات وتعليمات.

والعلم المستند إلى هذا الجانب تفرَّع إلى علومٍ غزيرةٍ ووفيرة، تفرَّغ لها أكابر العلماء الشَّرْعِيِّين، من قُرَّاء ومُفَسِّرين ومُحَدِّثين وفقهاء، وأصوليِّين ومن تبعهم من لغويِّين وغيرهم، ممَّن لهم علومهم وفنونهم وإبداعاتهم.

QaradawiBooks.com

وعندنا جوانب للعلم العقلي، الَّذي مستنده الأصلي هو العلوم العقليَّة، الَّتي بها نُفَسِّر الكون المنظور. كما نُفَسِّر الكتاب المسطور، والَّتي تُعمل الفكر في قبول العقيدة، ولا يقبل فيها ما يتنافى مع العقل، ولا نجد له تأويلًا، وتُعمل الفكر في الشَّرِيعة، فتضع لها الأصول اللائقة بها، والَّتي لا تتناقض بحال مع نتائج العقول المحضة، الَّتي قرَّرها أهل العلم المُخْتَصُّون، واتَّفق عليها أولو الألباب.

ولهذا رأينا علماءنا المتميِّزين من كبار المُتَكَلِّمين والأصوليِّين يخوضون هذه البحار الزاخرة، ولا يخافون أنْ يغرقوا، فقد استعدُّوا للسباحة فيها، بإمكانيَّاتهم العقليَّة والعِلْميَّة.

ولدينا في مواريثنا ممَّا أنتجت عقول هؤلاء الباحثة والمُتَطَلِّعة والمُتَفَتِّحة من الكنوز ما لا يوجد عند أُمَّة من الأمم.

وخلاصة هذا كلِّه قدَّمه الأئمَّة المعدلون، الَّذين زكَّتهم الأُمَّة، وزكَّتهم مواقفُهم، وما قدَّموه للأُمَّة ممَّا امتزج بالوحي، وأصبح جزءًا منه ومن شروحه وموازينه، وصدق الله إذ يقول ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. ولو أردنا أن نذكر أسماء طائفة من هؤلاء لطال بنا الحديث، وسنأتي على ذِكْر مجموعة منهم إن شاء الله.

بِحَسْبنا أنْ نتحدَّث عن المُحْدَثِين، والَّذين هم أقرب إلينا، وأوصل بنا، وأعرف بما يُدَبَّر لنا، وما يُعَدُّ لأمَّتنا، وما يجب أن نُواجهه به.

فالأستاذ الإمام مُحمَّد عبده، مُفَكِّر مصر الأوَّل، ومُفَكِّر الأزهر الأوَّل، له كلامُه البَيِّن في عددٍ من كتبه ومقالاته، وخصوصًا في كتابه القَيِّم: «الإسلام والنَّصرانيَّة مع العلم والمدنيَّة». الَّذي ردَّ بها على بعض النصارى الَّذين تطاولوا على الإسلام، وبيَّن لهم فيها من كتب الدِّينَيْن

QaradawiBooks.com

الأصليَّة أصولَ كلٍّ مـن الدِّينَيْن، مقارنًا بينهما، بمـا وضح الفرق بين موقف كلٍّ منهما من العقل والمدنيَّة.

والعلَّامة المُجَـدِّد مُحمَّد رشـيد رضا، تلميذ الإمـام وناقل علمه، وصاحب مدرسـة «المنار» التجديديَّة، ومُؤَسِّـس مجلَّة «المنار» العِلْميَّة الإصلاحيَّة، له كذلك موقفه الثابت من قضايا العلم، وتبنِّيه ما قاله شيخ الإسـلام ابن تيمية: إنَّ صحيـح المنقول، لا يمكـن أن يُناقض صريح المعقول.

وشـيوخ الأزهر الكبار، مثل شـيوخ الأزهر الأئمَّة: الشـيخ مُحمَّد مصطفى المراغي، والشيخ عبد المجيد سـليم، والشيخ مُحمَّد الخضر حُسَين، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد الحليم محمود، وأمثالهم، كان لهم موقفهـم ودورهم من «موقف الإسـلام من العقـل والعلم»، وتسخيرهما لهداية البشريَّة وتنوير الحياة، وما الحكم إذا تناقض أحدهما مع الموقف الشرعي اليقيني أو الظَّنِّي.

والداعية الإسلامي الأزهري الكبير الشيخ مُحمَّد الغزالي الَّذي ظللنا أكثر من خمسين سنة نقرأ له، ونسـتمع إليه، له موقفٌ علنيٌّ من العلم الحقِّ الَّذي جاء به الإسـلام، وله موقف نَقْدِيٌّ من علماء السوء، الَّذين انضمُّوا إلى الحُكَّام الظلمة ضدَّ الشعوب المقهورة.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «دستور الوَحدة الثقافيَّة بين المسلمين»:

«وفي العلاقة بين أجهزة الحكم وجماهير المسلمين، وقعتْ فوضى رهيبة عند تفسـير أحكام الشَّـرِيعة الغَرَّاء، حتَّى كادت الحقيقة العقليَّة لكلمة «الشـورى» تتلاشى. وذكر الذاكرون اسـمًا «لأهل الحَلِّ والعَقْد» بحثنا عن مفهومـه، فلم نَجِدْه إلَّا مـع الغُول والعنقـاء والخِلِّ الوفيِّ!

QaradawiBooks.com

وأوجد الحكمُ الفرديُّ فِقْهًا ليس له أصلٌ دِينِيٍّ قائم، وفقهاء لا يستحقُّون ذرَّة من ثقة! وقد قرأتُ مشروع دستور وضعه واحدٌ من هؤلاء[١]، فرأيت «الخليفة المُنْتَظَر» يستمتع بسلطات دونها بمراحل سلطات القيصر الأحمر في موسكو، أو ساكن البيت الأبيض في واشنطن.

قلتُ: وثيقة تُضمُّ إلى غيرها من القُمامات الفِكْريَّة في حياتنا السياسيَّة الغابرة والحاضرة على سواء!

إنَّ القيمة الإنسانيَّة لحُكَّام العرب والمسلمين لا تحتاج في تقويمها إلى ذكاء، فهم إلَّا من عصم الله اغْتَنَوا من فقرٍ على حساب شعوب بائسة، وعلَوْا في الأرض، بعد إشاعة الدمار العقلي والخُلُقي بين السواد الأعظم من النَّاس، ويعلم سُكَّان المشارق والمغارب أنَّ الحكم عند المسلمين مَغْنم تتلمَّظ له أفواه، وأنَّ الحاكمين إلَّا من عصم الله يختفون حتمًا في أيِّ انتخابٍ حُرٍّ، كما يختفي الكابوس عند اليقظة.

ومع ذلك فقد وُجد فقهاء يُفَسِّرون الشورى بأنَّها لا تلزم الحاكم! ويرون أنَّ أهل الحَلِّ والعَقْد يَنْبُتون من تلقاء أنفسهم، كما تنبُت الذُّنَيْبة في حقول الأرز، فهم نباتٌ شيطانيٌّ لا يزرعه أحد.

هؤلاء الفقهاء يخدمون هدفًا واحدًا: أنَّ الأُمَّة قطيعٌ يقوده حاكم فذّ، له من أسباب الرغبة والرهبة ما يُطَوّع له كلَّ شيء، فهم باسم الإسلام يُعطونه سيفَ المُعِزِّ وذَهَبه.

وبَدِيهٌ أنَّ الإسلامَ براءٌ من هؤلاء المرتزقة، وأنَّ فتاواهم وأفكارهم ليس وراءها فقهٌ ولا إيمان...»[٢].

---

(١) يقصد دستور حزب التحرير.

(٢) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين صـ ١٨٦، ١٨٧، نشر دار الأنصار، القاهرة.

QaradawiBooks.com

والشهيد سيِّد قُطْب، وشقيقة مُحمَّد قُطْب، كلاهما قام بما ينبغي في حقِّ العلم، أيًّا كان مَعِينه، شرعيًّا أو عقليًّا، وسننقل من بعض كتب سيِّد ما لا بُدَّ منه في كتابنا هذا، ليتَّضح موقف الأُمَّة من العلم والدِّين، وأنَّه موقف ليس فيه أيُّ خللٍ أو تناقض أو تسيُّب. بل هو موقف قائم على الحقائق الساطعة، الَّتي لا تثبت بالهوى أو بالخيال، أو بتصديق كلِّ ما عند النَّاس، بل بمنطق القرآن الحاسم: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

والإمام حسن البنَّا من الَّذين عُنُوا بتأهيل العقل العلميِّ المسلم؛ ليقوم بدوره في تأهيل الأُمَّة؛ لتقوم بحقِّ العلم، كُلِّ العلم، شرعيًّا كان أو عقليًّا.

فالأصلان الثامن عشر والتاسع عشر ـ وقد أوردنا نصَّهما قبل هذه المُقَدِّمة لهذا الكتاب ـ من الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنَّا عليه رحمة الله تعالى ورضوانه، من الأصول المهمَّة، الَّتي عنيتُ بالكتابة فيها كثيرًا، بُغْيَة شرحها وتوضيح مقاصدها للمسلمين، وإزاحة الشُّبُهات والالتباسات عنها، وقد كتبتُ في ذلك أكثر من كتابٍ ورسالة.

فقد أَلَّفتُ فيها من قديم رسالتي: «الدِّين في عصر العلم»، وجعلته فصلًا من كتابي: «بيِّنات الحلِّ الإسلاميِّ»، كما أَلَّفت كتابي: «الرسول والعلم»، وقدَّمته للمؤتمر الإسلامي العالمي، الَّذي عُقد في الدوحة احتفالًا بمَقْدَم القرن الخامس عشر الهجري، وألَّفت كذلك كتابي «العقل والعلم في القرآن الكريم»، إسهامًا في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

كما أَلَّفت كتابي: «السُّنَّة مصدر للمعرفة والحضارة». وكتابي: «المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسُّنَّة»، وهو الكتاب الثاني في شرح الأصول العشرين للإمام حسن البنَّا.

QaradawiBooks.com

وكذلك كتاباي: «كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟»، و«كيف نتعامل مع السُّـنَّة النَّبويَّة؟» لا يخلو كلٌّ منهما من حديث له أهمِّيَّته عن العقل والعلم والموقف منهما.

فالموضوع ليس جديدًا عليَّ حين أكتب فيه اليوم مستكملًا شرح ما بقي من الأصول العشرين، للإمام البنَّا، شرحًا علميًّا أصوليًّا فقهيًّا، حتَّى تفهمها الأُمَّة، وتعمل بها، وتدعو إليها، وتمتزج عقليَّتُها بالقرآن والسُّنَّة، وأصول الأُمَّة، ولا تشِذُّ عنها في مبدأ من المبادئ، أو قاعدةٍ من القواعد، أو أصلٍ من الأصول.

فلا شكَّ أنَّ الإسلام هو أعظم دِين يُحَرِّر العقل، ويُؤيِّد العلم، ويشيد بالبحث، ويحثُّ على النظر في الكون، ويُنشِئ العقليَّة العِلْميَّة، ويرفض العقليَّة المستسلمة لكلِّ ما يتوارثه النَّاس، دون مناقشةٍ له، وعرضه المسلَّمات والواضحات الدِّينيَّة والعقليَّة. وله موقفه البيِّن حينما يختلف ما هو يقيني عمَّا هو ظَنِّيٌّ في الجانب الشرعي، أو الجانب العقلي، وماذا نُقَدِّم، وماذا نُؤَخِّر، فهو يرى أنَّ القَضِيَّتَيْن لا تتناقضانِ أبدًا، فلا تناقض يومًا بين حقيقة شرعيَّة ثابتة، وحقيقة عقليَّة قاطعة لا بُدَّ أن تكون إحداهما خاطئة أو مؤوَّلة.

وهنا يجب أنْ نقول شيئًا بمناسبة شرحنا لأصول إمامنا البنَّا رَحِمَهُ اللهُ، وإنَّا لنرجو أنْ يكون ما نُقَدِّمه في هذه الأوراق، هو ما يحتاج إليه شبابنا المُثَقَّف في مصر، وفي بلادنا العربيَّة، وفي سائر أُمَّتنا الإسلاميَّة، وأنْ يحمل خيرًا تتطلَّبه الإنسانيَّة، الَّتي أتعبها ظلمُ الإنسان وجهله في أنحاء العالم، فهو يبحث يمينًا ويسارًا، وشرقًا وغربًا، ولا يجد الدواء الَّذي يَنْشُده، ولا النور الَّذي يبتغيه، ولا الحياة الَّتي يريد أن يحياها، وهي عند

QaradawiBooks.com

المسلمين وَحْدَهم في دِينِهم، وكتاب ربِّهم، وسُنَّة نَبِيِّهم، وأصيل فقهائهم، وراسخ علم مُتَكَلِّميهم وأصوليِّيهم، وما تميَّزوا به عن الأمم من هديٍ ونور.

وقد مثَّل القرآن نور الله في قلب المؤمن بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

كما مثَّل ظلمات الكفر وادلهامها في قلوب الكافرين ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

الفقير إلى عفو ربه

**يوسف القرضاوي**

الدوحة في: ٢٤ من ربيع الأول ١٤٣٤هـ

الموافق: ٥ من فبراير ٢٠١٣م

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

## الأصل الثامن عشر

«والإسلام يُحَرِّر العقل، ويحثُّ على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلمــاء، ويُرَحِّب بالصالح والنافع من كلِّ شيء، والحكمةُ ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها».

## الأصل التاسع عشر

«وقد يتنــاول كلٌّ من النظر الشــرعي والنظــر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنَّهما لن يختلفا في القَطْعِي، فلن تصطدم حقيقــة عِلْميَّة صحيحة بقاعدةٍ شــرعيَّة ثابتة، ويؤوَّل الظَّنِّي منهمــا ليتَّفق مع القطعي، فــإن كانا ظنيَّيْن، فالنَّظَرُ الشرعي أَوْلى بالاتِّباع حتَّى يَثْبُت العَقْلِيُّ أو ينهار».

**حسن البنَّا**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# ١
# الإسلام يُحَرِّرُ العقل ويحثُّ على النظر والعلم

غير مرخصة للطباعة

## الإسلام يُحَرِّر العقل:

أوَّل ما قاله البنَّا في أصله الثامن عشر: «إنَّ الإسلام يُحَرِّر العقل»، وهذه بلا ريبٍ نعمةٌ عظيمة، فإنَّ أوَّلَ ما يُمَيِّز الإنسان عن سائر الحيوانات أنَّ الله تعالى منحه العقل ليُفكِّر به، ويتأمَّل في نفسه وفي آيات الكون من حوله، ويتعلَّم ما يمكن تَعَلُّمه، بأدواته المختلفة من السمع والبصر والفؤاد، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

لذلك كان تحرير هذا العقل ـ الَّذي هو المنحة الكبرى للإنسان ـ من كلِّ ألوان الأسْر والرِّقِّ والحَجْر عليه، والحَجْب له عن التفكير الحُرِّ، والتَّعَلُّم المستقلِّ، والبحث الدؤوب، هو من أعظم ما دعا إليه الإسلامُ في كتابه وسُنَّة نَبِيِّه، وفي أصوله الفِكْريَّة والدينيَّة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## تحرير العقل من أَسْر الخرافات والأباطيل:

دعا الإسلام كلَّ من يدخل فيه إلى أن يُحَرِّر عقله من كلِّ قيْد يعوقه، ومن كلِّ أَسْرٍ يَحْجُزُه، ومن كلِّ سجنٍ يُضَيِّق عليه.

دعا الإسلام أوَّلًا إلى تحرير العقل من الأباطيل والخرافات الَّتي يعتقدها النَّاس، وتَرْسُخُ في أذهانهم وأنفسهم، من غير أدلَّة تقوم عليها، وتستندُّ إليها.

فهم يُخوِّفون أطفالَهم منذ صغرِهم من «البُعبع»، وليس هناك حيوانٌ أو وحشٌ مُعَيَّن اسمه: «البُعْبُع»، إنَّما هو شيء للتخويف بالباطل، وكثيرًا ما يُزْعِجُ الأولاد ويُسَبِّب لهم مشاكل نفسيَّة، جاءتْ من وراء هذا الإيهام.

وهم يُحَدِّثونهم في أساطيرهم عن «الغول» و«أُمُّنا الغولة» حين تكشف عن نفسها، وتُبْرز أسنانها الحادَّة، وتفترس صاحبها أو صاحبتها، وكلُّ ذلك يُدخل الرُّعْبَ في قلوب الأولاد بغير حاجةٍ إليه، وقد قال الشاعر العربي:

**أَيْقَنْتُ أنّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ ... الغُولُ والعَنقاءُ والخِلّ الوَفِي**(١)

ومن الأباطيل الَّتي يبالغ النَّاس في الحديث عنها: ما يتعلق بالجنِّ، وأنَّ أحدهم رأى كلبًا بالليل، فظلَّ الكلب يكبُر ويكبُر، حتَّى صار مثل الثَّوْر، وأنَّ أحدهم رأى امرأة عليها ثياب يُغَطِّيها الذهب من رأسها إلى قدمها، وأنَّها فعلت كذا وكذا.

تظهر هذه العفاريت، بعد أنْ يُقتل مقتول، فيقول النَّاس: رأيناه في المكان الفلاني، وفي الزمان الفلاني.

وهناك خطابات وقصص يرويها النَّاس بعضُهم لبعضٍ، كلُّها تقوم

(١) من شعر صفي الدين الحلي، كما في ديوانه صـ ٥٦٨، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

على الخيال والأوهام، ليس لها أيُّ ظِلٍّ من الحقيقة، ولا اتِّصال بالواقع المَعِيش للنَّاس.

والإسلام يريد من المسلم ألَّا يُصدِّق بكلٍّ ما يُقال له، إلَّا ما قام عليه برهانٌ ساطعٌ لا يمكن التشكيك فيه، أو قام على أساس المشاهدة بالبصر بغير تخيُّل، أو جاء به وحيٌ إلهيٌّ، ثبتت صحَّته بالأدلَّة القاطعة.

ينادي القرآن المسلمين خاصَّة، وأهل الأديان عامَّة، وخصوصًا الأديان الكتابيَّة أنْ يجعلوا البرهان العقلي اليقيني هو الحَكَم بينهم فيما يختلفون فيه من أمور، سواء كانت تتَّصل بالدِّين أم بالحياة، كما قال عن أهل الكتاب: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وقد ناقش القرآن المشركين مناقشة مُفصَّلة حول الإجابة عن سؤالٍ واحد، هو: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، وسرد آياتٍ عدَّة حول هذا الأمر، حتَّى قال لهم: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

وفي مقام آخر قال للمشركين بصراحة: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وإذا اعتمد العقل الإنساني على البرهان ـ ونعني به البرهان القَطْعي ـ لا ما يَدَّعي البعض أنَّه برهان، فإذا اختبرته وجدته قائمًا على الوهم أو الظنِّ، وقد قال تعالى مُعقِّبًا على موقف بعض الكافرين: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾ [يونس: ٣٦].

وفي موضع آخر قال: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٨].

QaradawiBooks.com

## التحرير العقلي من أسر التقليد:

كما جاء الإسلام بتحرير العقل من أسر التقليد الأعمى، بحيث يُلغي المرءُ عقلَه الَّذي آتاه الله إيَّاه، ليستخدمه في إحقاق الحقِّ، وإبطال الباطل، وإثبات الوقائع، وتمييز الأمور بعضها من بعض، وإيجاد البدائل عند اللزوم، فجاء الإسلام بقرآنه العظيم، وبسُنَّة نبيِّه الكريم، ليدعو العالمين أن يُعملوا عقولهم الَّتي استودعهم الله إيَّاها، فلم يُودِعهم إيَّاها ليسجنوها، أو ليُعَطِّلوها، أو يضعوا في طريقها عقبات ومُعَوِّقات، بل ينبغي أنْ تفكر وتعمل بكلِّ طاقتها، وبكلِّ حُرِّيَّتها، وبكلِّ ما آتاها الله من إمكاناتٍ. ومن المهمِّ هنا: التَّحَرُّر من تقليد الغير، أيًّا كان هذا الغير.

### أ ـ التحرير من قَيْد اتِّباع الآباء:

وأوَّل التحرُّر من القيود التقليديَّة: قيد التحرُّر من اتِّباع الآباء والأجداد، فكثيرًا ما وقف هذا الحاجز دون الاستماع والإنصات الحقِّ إلى دعوات أنبياء الله تعالى ورسله، فيما جاؤوا به من البيِّنات والهدى للنَّاس.

فتجد هودًا عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد، وترْك ما هم عليه من بَطَرٍ وتَجَبُّر وتظالُم، مُتَكَلِّمًا معهم بالحُسنى، فما كان منهم إلَّا أنْ قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وكذلك وقف الكثيرون من الأقوام المختلفة مثلَ هذا الموقف الغبيِّ من رسل الله إليهم، ومنهم مشركو العرب، حين جاءهم خاتم رسل الله محمدٌ، فدعاهم إلى توحيد الله، والشهادة له بالرسالة، وتبنَّى مكارم الأخلاق الَّتي جاء بها من ربِّه، فرفضوا هذه الدعوة الخَيِّرة البصيرة، كما

QaradawiBooks.com

حكى عنهم القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

وفي مقام آخر قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وهذا هو موقفهم الثابت الَّذي لا يتحرَّك: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢ ـ ٢٤].

بهذه المناقشات العقليَّة المُضيئة والمُنيرة يخاطبهم القرآن، ليعمل على زحزحة هذه العقول الجامدة، كأنَّها الحجارة أو أشدُّ قسوة، فلم يُسلموا إلَّا بعد مشوارٍ طويل، سقط فيه من سقط، ونجا فيه من نجا.

## ب ـ تحرير العقل من قَيْد السادة والكبراء:

كما دعا الإسلام إلى تحرير العقل من قيود ضغط تقاليد الآباء والأجداد، دعا أيضًا إلى تحرير العقل من اتِّباع السادة والكبراء، فالسيادة والكبرياء ليست معيارًا للحقِّ، كما أنَّ الأبوَّة بمراحلها المختلفة ليست معيارًا للحقِّ.

ولكنَّ العرب كغيرهم اتَّبعوا سادتهم وكبراءهم، واعتبروهم أولى بالحقِّ من غيرهم، كما اعتبر الآخرون آباءهم أولى بالحقِّ من سواهم.

ومن المؤسف أنْ يظلَّ الناسُ وراءَ هذا الباطل الصُراح، الَّذي لا سَنَدَ له من منطق ولا علم، ولا هدًى ولا كتابٍ مُنير، إلى أن تنكشف

QaradawiBooks.com

الحقيقة، ويظهر وجهها علنًـــا للنَّاس، فاضحًا ما كانـــوا عليه من هَذَيان وتُرَّهات، اتَّضح كذبُها، وبان زَيْفُها، وظهر انخداعُ الجميعِ بها.

يظهر القرآن هذه المناقشـــات والمُحَاجَّـــات والمُخاصمات بين هذه الطوائف المُتَشَاكِســـة، من الكبـــراء المَرْموقين والفقراء المُســـتَضْعَفين، وما بينهما من مقولات ومصارحات ومصادمات.

انظرْ ما قاله القرآن بســـرعة في سورة البقرة: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

وفي ســـورة الأعراف يقـــول ســـبحانه: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ۞ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وفي سورة (ص) نرى مَشْـــهدًا خاطفًا من مشـــاهد أهل النَّار يُظهره القرآن لنا فيقول: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۞ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۞ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٥٩ ـ ٦١].

وتَعْرِض لنا سورةُ سبأ مشهدًا أوسع، يختصم فيه المشركون والضَّالُّون بعضُهم مع بعضٍ، ولو كان معهم أســـلحة لقتَلَ بعضُهم بعضًا، ولكنَّهم يتقاتلون بالألســـنة وبالكلمات، يقول تعالـــى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ

QaradawiBooks.com

رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

لقد خلع المستضعفون والفقراء عقولَهم، وتركوها لسادتهم وكبرائهم، فلم يُغنوا عنهم شيئًا، وتَبَرَّؤوا منهم. كما تبرَّأ الضعفاء منهم، كما حكى لنا القرآن في هذه السورة (سبأ)، وفي سورة الأحزاب: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

ومازال القرآنُ وراءَ هؤلاء الفقراءِ والمستضعفين، يُقَوِّيهم، ويرفع من شأنهم، ويُعلي من كرامتهم، ويُشعرهم أنَّهم ليسوا أقلَّ وزنًا من هؤلاء المُنْتَفِخين بالباطل، المُستَكْبِرين بأموالهم وسلطانهم وأتباعهم، ولكنَّ الإنسان لا يعلو إلَّا بنفسه هو، بما في رأسه من عقل يُفَكِّر، وما في صدره من قلب يَخْفِق، وما في جوانحه من مشاعرَ صادقةٍ، لا تزييفَ فيها ولا مراءاة.

## ج ـ تحرير العقل من سلطان الأساتذة والشيوخ:

كما حرَّر القرآن العقل من سلطان الآباء وسلطان الكبراء، حَرَّره كذلك من سلطان الأساتذة والشيوخ، الَّذين استعبدوا عقله، وجعلوه ذيلًا لهم، يُفَكِّر بتفكيرهم، ويتكلَّم إذا نطقوا، ويصمت إذا سكتوا، ويؤمن إذا آمنوا، ويكفر إذا كفروا.

QaradawiBooks.com

والعقل لا يوجد ولا يعمل إلَّا إذا كان حرًّا مُسْتَقِلًّا، أمَّا إذا فُرضت عليه وصاية من الخارج، فإنَّه يُصْبِحُ مُعَطَّلًا، لا عمل له، ولا جُهد له، ولذا كان التقليد هو آفة العقل الأولى، ولهذا حاربه الإسلام، وقاومه علماء المسلمين الأحرار، ورفضوا أن يكون العقل تابعًا لأي مخلوق غير صاحبه المؤمن بالله ورسوله، ولا يجوز له أن يتَّبع مخلوقًا من المخاليق، يُصَدِّقه فيما صدق به، ويُكَذِّبه فيما كذب به.

قال ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس»: «دخل إبليسُ على هذه الأُمَّة في عقائدها من طريقَيْن:

**أحدهما**: التقليد للآباء والأسلاف.

**والثاني**: الخوض فيما لا يُدرَكُ غوْرُه، ويعجز الخائضُ عَن الوصول إلى عُمْقه، فأوقع أصحابَ هذا القسم في فنون من التخليط.

**فأمَّا الطريق الأوَّل**: فَإِنَّ إبليسَ زيَّن للمُقَلِّدِين أنَّ الأدلَّة قد تَشْتبِهِ، والصوابُ قد يخفى، والتقليد سليم.

وقد ضلَّ في هذا الطريق خلقٌ كثير، وبه هلاك عامَّة النَّاس، فإنَّ اليهود والنَّصارى قلَّدوا آباءهم وعلماءهم فضلُّوا، وكذلك أهل الجاهليَّة.

واعلمْ أنَّ العِلَّة الَّتي بها مَدَحُوا التقليدَ، بِهَا يُذمُّ؛ لأنَّه إذا كانت الأدلَّة تشتبه، والصواب يخفى، وجب هجر التقليد؛ لئلَّا يُوقِعَ في ضلال، وقد ذمَّ الله سبحانه وتعالى الواقفين مَعَ تقليد آبائهم وأسلافهم، فَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٤]. المعنى: أتتبعونهم وَقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠]».

QaradawiBooks.com

قال: «اعلمْ أنَّ المُقَلِّد على غير ثقة فيما قَلَّد فيه، وفي التقليد إبطالُ منفعة العقل؛ لأنَّــه إنَّما خُلق للتأمُّل والتدبُّر، وقبيح بمن أُعْطِيَ شـمعةً يستضِيء بِهَا أن يُطْفِئها ويمشي في الظلمة»[1].

إنَّ شيخَ الإنسـانِ ومُعَلِّمَه يجب أن يكون بمثابة حامل المصباح، عندما يُظلم الطريقُ عليه يُخرج له مصباحــه، ويُضِيئه له، لِيُنِير الطريق، فيعرف يمينه من شـماله، وأمامه من خلفه، ويسـير على هدًى، وليس مُهِمَّة الشيخ والمُعَلِّم أن يحمل التلميذ على كتفه، ويمشي به حيث يريد هو، فليست هذه أستاذيَّة، ولا هذه تلمذة.

لقد اعترض القرآن على الَّذين غلَوْا كلَّ الغُلُوِّ حينما جعلوا شيوخهم كأنَّهم أنبياء يُوحَى إليهم من الله، وهم ليسـوا كذلك. إنَّهم بشرٌ يُصيبون ويُخطئون، ولأجل هؤلاء ذمَّ الله أهل الكتاب، وما اعتقدوه في شيوخهم وأحبارهم، فقـال تعالـى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد كان عديُّ بن حاتـمٍ الطائي العربـيّ الثريّ المشـتهر بالجُود والسخاء ممَّن تنصَّروا في الجاهليَّة، وقد دخل على الرسول ﷺ وهو يقرأ سورة التوبة، وجاء إلى هذه الآية الَّتي تتحدَّث عن الأحبار والرُّهبان[2]، فقال: يا رسـولَ الله، إنَّهم لم يَعْبُدُوهم! فقال ﷺ: «**ألـم يُحَرِّموا عليهم الحلال، ويُحِلُّوا لهم الحرام، فأطاعوهم؟ فتلك عبادتهم إيَّاهم**»[3].

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي صـ ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) هي قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

(٣) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٩٥)، وقال: حديث غريب. والطبراني (٩٢/١٧)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٦/١٠)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣)، عن عدي بن حاتم.

QaradawiBooks.com

## د ـ تحرير العقل من اتِّباع العامَّة:

وأخيرًا يسعى الإسلام بقرآنه وسُنَّة نَبِيِّه، وبكلِّ تعاليمه وتوجيهاته، إلى تكملة تحرير العقل البشريِّ من كلِّ ما هو مُسَلَّط عليه، ومُعَطِّل له عن الإنتاج النافع، وهنا يُحَرِّره نهائيًّا من سلطان اتِّباع الجماهير الغافلة، من عامَّة النَّاس، الَّذين كثيرًا ما يسيرون وراء الآباء، أو وراء الكبراء، أو وراء الأساتذة والشيوخ، الَّذين اعتبروا أنَّهم يُفَكِّرون لهم، وأنَّهم كأنَّما أعطَوْا عقولَهم إجازة طويلة، ليس عليهم فيها أن يُفَكِّروا، ولا أن يُناقشوا، ولا أن يسألوا، ولا أن يُضيئوا هذه الشمعة وقتًا ما ليستفيدوا من نورها.

فمن العَجَبِ العاجب أن ترى بعض النَّاس في مجتمعاتنا تغلق عقولها، ولا تسمح لها بأنْ تنفتح يومًا للعمل والتفكير؛ لأنَّه قد أراح نَفْسَه من ذلك، حيث قد حدَّد موقفه مُقَدَّمًا تحديدًا دقيقًا صارمًا، وهو أن يكون مع النَّاس، مع الأكثريَّة، إنْ قالوا في أمرٍ: نعم، قال: «نعم». وإن قالوا في أمرٍ: لا. قال بكُلِّ بساطةٍ: «لا». أمَّا هو كإنسان له عقله وفكره وثقافته ودينه ورسالته فليس له في الحقيقة موقف.

وهذا أمرٌ مؤسف حقًّا: أن يتنازل النَّاس عن تفكيرهم، وعن شخصيَّتهم، وعن مسؤوليَّتهم، مع أنَّ كلَّ إنسانٍ مسؤول عن نفسه، ليس أحدٌ مسؤولًا عنه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

وهذا ما حذَّر منه نبيُّ الإسلام مُحمَّد ﷺ، فقال: «**لا تكونوا إمَّعَة، تقولون: إنْ أحسن النَّاس أحسنَّا، وإنْ ظلموا ظلمنا، ولكنْ وَطِّنوا أنفسكم، إنْ أحسن النَّاس أنْ تُحْسِنُوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا**»(١).

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنَّه يتماشى مع القواعد العامة والمبادئ الكليَّة في الإسلام.

QaradawiBooks.com

بهذا ارتفع الإسلام بموقف الإنسان، بحيث يكون له موقفه المُحَدَّد، ويكون له قراره الخاصُّ، ويكون له رأيه المُعْلَن، ليس تابعًا لفردٍ ولا مجموعة، بحيث تُفقِدُه عقلَه ورُشْدَه، وتُفَكِّر عوضًا عنه، فتَتَّخذ له قراره هو، ولا يتَّخذه لنفسه.

وهذا ما يَشيع وينتشر في البلاد الَّتي تُفْقد فيها الحُرِّيَّات العامَّة، وبعض النَّاس فيها مَسُوقون إلى ما يُراد لهم، لا إلى ما يريدون هم لأنفسهم، فكلُّهم غدَوْا «إمَّعاتٍ» مع ما يريده الفرعون، وليس مع ما يراه عقله هو، يُكَذِّب الأنبياءَ إذا كذَّبهم السلطانُ، ويُصدِّق الشيطانَ إذا صَدَّق الناسُ الشيطانَ.

ورحم الله شوقي حين عبَّر عن موقف هؤلاء في «مجنون ليلى» فقال على لسان بعض هؤلاء:

أحبُّ الحُسَيْنَ، وَلَكِنَّنِي لِسَانِي عَلَيْه، وقَلْبِي مَعَهْ
إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَتْ في البِلَادِ ورُمْتَ النَّجَاةَ، فَكُنْ إِمَّعَهْ[1]

والإسلام لا يُرَحِّب بهذه الفئات، بل يُعاديها، ويُحارب كثرتها، فإنَّها تهدم ولا تبني، وتُميت ولا تُحيي، وتُضعف ولا تُقوِّي.

وتقوم دعوة الإسلام، وتربية الإسلام، وتشريع الإسلام، على أن يعيش النَّاس كما خلقهم الله، بعقولهم ومواهبهم وضمائرهم، فقد أنزل الله كتابه، وبعث رُسُلَه، وخلق كونه، ومنح قوانينه، لـ «قوم يعقلون»، ولـ «أولى الألباب».

(١) في مسرحيته مجنون ليلى على لسان بشر أحد شخصيات المسرحية، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة ـ المسرحيات صـ ١١٢، نشر الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

## الإسلام يحثُّ على النظر في الكون:

بعد حثِّ الإسـلام العقل على التَّحرُّر من كلِّ ما يُثبِّطه ويحجزه عن العمل والتدبُّر والتفكُّر، يدعو الإسـلام بقوَّة إلـى النظر في هذا الكون الفسـيح من حولنا، فإنَّما خلقه الله لنـا؛ لنتأمَّله، ونعتبر به، وندرسـه، ونستفيد منه.

لم يخلق الله هذا العالـم لحاجته إليه، كلَّا، فهو سـبحانه غنيٌّ عن العالمين، كما قال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۞ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٧].

ومستحيلٌ أن يحتاج الخالق إلى مَنْ يخلقه، أو ما يخلقه، أو يحتاج الرزَّاقُ إلـى مَن يرزقـه، وما يرزقه، أو يحتـاج المُدبِّر إلى مـن يُدبِّره وما يُدبِّره.

كلُّ هذه الكائنات المُحْدَثة المخلوقة هي المحتاجة حاجة دائمة إلى الله تعالى، في بدايتها، وفي بنائها، وفي استمرارها، وفي إتمام خلقها وإعطائها ما تفتقر إليه من الإعداد والإمداد، كما قال سـبحانه، حين سـأل فرعون موسـى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩، ٥٠].

وبهذه العناية الربَّانيَّة، الَّتي تطَّلع على ما يفتقر إليه كلُّ شـيءٍ حيٍّ أو غير حَيٍّ، ناطقٍ أو غير ناطقٍ، عاقلٍ أو غير عاقلٍ، كلٌّ في حاجة إليه، ليقوم بأمره، ويبلغ غايته، ويتطلَّع على ما يُراد منه، فيُمدّه ربُّه بكلِّ حاجاته، من غير فقرٍ ولا نقص، ولا شـحٍّ ولا بُخلٍ، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

QaradawiBooks.com

هذا الكـــون الكبير الواســـع بأرضه وســـماواته، بإنســـانه وحيوانه المستأنس، وحيوانه الوحشـــي، وزواحفه وطيوره، وحشـــراته ونباتاته، وأشـــجاره بفصائلها المُتعدِّدة، الَّتي لا نُحصيها عدًّا بأنواعها، والأسماك والحيتـــان، والحيوانات المائيَّة، والماء الَّذي يُكَـــوِّن حوالي ثلاثة أرباع الأرض الَّتي نعيش عليها، والسماوات الســـبع من فوقنا، الَّتي لا نعرف عنها إلَّا القليل، وكأنَّ معظمه من الســـماء الدُّنْيا، أي القريبة من الأرض ومِنَّا، ونرى شمســـها وقمرهـــا ونجومَها، وكلّ ما يحيـــط بها من نجومٍ ومجموعاتٍ ومجرَّاتٍ، لا يعلم عددها ولا مقاديرهـــا ولا آثارَها إلَّا الله العليُّ الكبير.

هذا في الكون الَّـــذي يمكن أن يُبصَر، وهناك كـــوْن لا يُبصر، وهذا أوسع وأكبر وأعظمُ من هذا الكون المنظور، كما قال القرآن: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩].

هذا الكون فيه مخلوقات غيرُ مرئيَّة، كالملائكة الَّذين بثَّهم الله تعالى في هذا الكون، فهم مع الإنسان، ولكنَّه لا يراهم، ولا يُحِسُّ بهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

QaradawiBooks.com

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

وقال تعالى عن القرآن: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القدر: ٤].

وقال ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقال تعالى عن أهل الحقِّ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى عن النار وأهلها: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

والملائكـة يبعثهم الله في المعـارك بين الإسـلامِ والكفر، لتأييد المؤمنين وتثبيتهم، وإلقاءِ الرعبِ في قلوب الكافرين: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ

QaradawiBooks.com

ٱلْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٩ ـ ١٣].

هذا الكون الكبير الَّذي نعيش في جزءٍ صغيرٍ صغيرٍ صغيرٍ منه، يُطالبنا القرآن أن ننظر فيه، ونتأمل بكل ما لدينا من طاقاتٍ ونعمٍ وإمكانات، وهبها الله تعالى لنا، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٧٨، ٧٩].

فالإنسان خُلِق جاهلًا، ولكنَّه مُزَوَّد بكلِّ الأدوات والوسائل اللازمة للمعرفة، فوهبه اللهُ السمعَ قبل كلِّ الحواس، ثمَّ البصر، ثمَّ الفؤادَ ـ وهو العقل ـ وهذه هي نوافذ الإنسان على الكون الكبير من حوله، عليه أن يُوَظِّفها في معرفته، وقبل ذلك في معرفة نفسه: ما هو؟ ومن هو؟ فلا يُصَوِّر نفسَه حيوانًا، أو كالحيوان، قردًا أو غيرَ قرد، ولا يتصوَّر نفسَه إلهًا أو كالإله، وهو مخلوق من نُطفة، ومن ماءٍ مهين، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦].

على الإنسان المُسْتَخْلَف في هذه الأرض: أن ينظر في هذا الكون الكبير، الَّذي يُحيط به، فهو عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وقد دعاه ربُّه وخالقُه وخالقُ الكون من قبله أن ينظر فيه، ليس مُجَرَّد نظر العَيْن، ولكنَّ المُرَاد نظرُ العقل المُفَكِّر، الَّذي يتأمَّل ويتدبَّر، ويُقارن ويُوازن، ويُراجع ويُشَاور، فقد عَلِمنا من

QaradawiBooks.com

مُكتشــفات العلم الحديث: أنّ كلَّ جزئيَّة في هذا الكون إنْ فكَّرْتَ فيها وتأمَّلتها، وجدتَ فيها آلاف الجزئيَّات الأخرى المبثوثة فيها.

فلو فكرتَ في الإنسان ـ في كلِّ إنسان ـ لوجدت ألوفًا من البحوث، لا تكاد تتناهى أمامك، يبحثهـا كلُّ امرئ من جهة تخصُّصه أو اهتمامه، فالعالــم البيولوجي يرى منـه ما لا يراه العالــم الفيزيائــي، أو العالم الكيميائي، أو العالم الجيولوجي، أو العالم الفلكي، أو العالم البحري، أو العالم الرياضي، أو العالم الديني.

لو نظرتَ في بداية خلق الإنسان، وهي النُّطفة الَّتي خُلِق منها الإنسان: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٧٧].

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۞ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٤٠].

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٤].

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۞ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٨].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥].

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

إنَّ الإنسانَ إذا نظر في نُطفته الأصليَّة، في هذا الماء المَهِين، أو الماء الدافق، الَّذي يخرج من بين الصلب والترائب، وجد في هذه القَطَرات الَّتي تنزل من الرجل ملايين أو مئات الملايين من الحيوانات المنويّة، الَّتي يصلح كلٌّ منها ليُخلق منه إنسانٌ كامل، فانظر في هذه الوفرة الهائلة الَّتي وفَّرها الله لكلِّ إنسان، وهو يحتاج إلى واحد منها.

وهو يُيَسِّر لها بسرعةٍ الوصولَ إلى الصِّنْف الآخر الَّذي تفرزه الأنثى، وهو: «البويضة» المهيَّأة، أو هذه العروس المهيَّأة لهذا «المُعْرس»، كما يقول الخليجيُّون، ليُزفَّ إليها، ليقوم بينهما حياة مشتركة، ينقسمان فيها إلى ما شاء الله، وتكوّن مشروعَ الإنسانِ المرتقب، ويتعلق هذا الكائن الصغير بجدار الرحم الَّذي سمّاه القرآن: «القرار المَكِين»، ليظلَّ في بطن الأمِّ، يتغذَّى من دمها، ويحيا بحياتها، ويعيش بها تسعة أشهر، حتَّى يأتي أوانُ الولادة، فيخرج إلى الفضاء الفسيح، ليسمعه من حوله وهو يبكي ويصيح.

**يقول الشاعر:**

**لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيا به مِنْ صرُوفها ... يكونُ بكاءُ الطفلِ ساعة يُولَدُ**
**وإلَّا فما يُبْكِيه منها؟ وإنَّها ... لأفْسَحُ ممَّا كان فيه وأرْغَدُ[1]!**

إنَّ الَّذين فكَّروا في هذا النطفة أو القطرة من المَنِيِّ تحدَّثوا كثيرًا، وفصَّلوا كثيرًا في عظمة خلق الله تعالى، وكيف يحتوي هذا الكيان الصغير كلَّ مواريث الأبوين، والأجداد، والأسرة، والقبيلة، والفصيلة، والجنس البشرى، كيف يرث اللونَ والجنس، والطُّول والعَرْض،

(١) من شعر ابن الرومي، انظر: الإعجاز والإيجاز صـ ٢٢٠، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

QaradawiBooks.com

والبياض والسواد، وما بينهما، ولون العَيْن، ولون الشَّعْر، والذكاء والغباء، والوجدان والانفعال، وأشياء كثيرة أخرى، تحكمها قوانين وقواعد هائلة، كما دلَّت على ذلك «البصمة الوراثيَّة»، وغيرها من قوانين الوراثة.

الكلام يطول حول هذه النُّطفة، وما أودع الله فيها، وما يكتشفه نظر الباحث، أو أنظار الباحثين فيها، وكل يوم يكتشفون لنا جديدًا غير ما كان من قبل، حتَّى اكتشفوا لنا أخيرًا ما سمَّوه «الجينوم البشري».

فإذا سعينا وتقدَّمنا لننظر في هيئة الإنسان وأعضائه الظاهرة، وأعضائه الباطنة، وحواسِّه الخمس، وربَّما زادت على الخمس.

ولو بحثنا عن القوى الباطنيَّة للإنسان، من العقل والرُّوح والضمير، لوجدنا هناك مساحات رَحْبة، لبحث المُفكِّرين، ومجالات فسيحة، لتأمُّلات المُتأَمِّلين، وفرصًا واسعة لمختبرات العالمين، ثمَّ إذا تركنا الإنسان ـ وهو مجالُ بحثٍ واسع ـ وجدنا الكونَ من حوله، كلَّه مجالًا مفتوحًا لفكر الإنسان، ونظر الإنسان، كما علَّمنا القرآن.

يقول القرآن: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۞ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦ ـ ١١].

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وأحيانًا يطلب القرآن النَّظرَ في سَـيْر الخلْقِ وسُـنَنِه، وسَـيْر الأمم وتطوُّراتها، وما أنزل الله بها من عقوبـات وآيات، كما قال تعالي: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

فهو ينظر إلى ما يسـتطيع أن يصل إليه من معرفـة تُتاح له عن بدء الخلق، وما ينتهي إليه من النشأة الآخرة.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

هذه الدعوات المتكررة الصادرة من ربِّ السـماوات والأرض، إلى الإنسـان آمرةً له أن ينظر في هذه المخلوقات الكبـرى، الَّتي تُحيط به، وإلى كلِّ ما خلق الله من شيء، فليس هناك شيء محظورٌ عليه أن يتعامل

QaradawiBooks.com

معه، وينظر فيه بعقله ومواهبه ومعارفه، على أن يكون مرهونًا بإمكانات عقله، غير مُلْزَم بما وصل إليه غيرُه ما لم يقتنع به.

إنَّ هذا النظر الَّذي أمر الله تعالى بـه المؤمنين في القرآن، هو النظر في هذا الكون، وفي أنفسنا، باعتبارنا جزءًا من هذا الكون، كما أشار إلى ذلك القرآن بصراحة في قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

وقـال ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

هذا النظر أعْتَبِرُه من الفـروض الدِّينيَّة، الَّتي أوجبها القرآنُ على كلِّ من آمن به، وكلِّ من دخل في الإسـلام؛ لأنَّه جاء بصِيَغٍ كلِّها تدلُّ على الإيجاب والفرضيَّة، فهي من حيث الثبوت قطعيَّـة متواترة، ككُلِّ آيات القرآن، وهى من حيـث الدلالة قاطعة كذلك، فهـي آمرة كقوله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ ﴾، ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ ﴾ [النمـل: ٦٩]، ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونـس: ١٠١]، أو مُحَرِّضـة بطريقـة أخـرى من طرق الخطاب، وهى أشدُّ من الأمر المباشر، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وهذه كلُّها تجعل هذه النصوص من «القطعيَّات»، الَّتي لها في الدِّين مقام مَكِين، من وجوب الانصياع لها، وعدم التهاون فيها، فهي لا تسمح بذلك، إلَّا لمن يريد أن يمْرُقَ من الإسلام كما يمْرقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّة.

## الإسلام يرفع قدر العلم والعلماء:

كما حرَّر الإسـلام العقل من كلِّ القيود الَّتـي يفرضها النَّاس عليه، وكما يحثُّ العقلَ على النظر في الكـون كلِّه: في الآفاق، وفي الأنفس،

QaradawiBooks.com

في العالم العلوي والسفلي، ليصل إلى ما يستطيع البشر أنْ يصلوا إليه بما لديهم من وسائلَ وطاقاتٍ، فإنَّه يرفع قدْر العلم والعلماء، ويأمر بطلب العلم من مَظانِّه، وأخذه من أهله، والسعي إليه، والرحلة في طلبه، والتأدُّب مع من يأخذه منه تأدُّبَ التلميذ المُهَذَّب مع أستاذِه المُعَلِّم.

وقد قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨].

فانظرْ كيف بدأ سبحانه بشهادته هو، ثمَّ ثنَّى بالملائكة، ثمَّ ثلَّث بأولي العلم، قال الغزالي: «وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا، وجلاء ونبلًا»، وقد ذكر جملة من النصوص في كتاب العلم من «الإحياء»، الَّذي اعتبره أوَّل كتاب من كتبه الأربعين، من ذلك:

«قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائةٍ درجة، ما بين الدرجتين مسيرةَ خمسمائة عامٍ.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ ﴾ [النمل: ٤٠]. تنبيهًا على أنَّه اقتدر بقوَّة العلم.

QaradawiBooks.com

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: ٨٠]. بيَّن أنَّ عِظم قدْر الآخرة يُعلم بالعلم.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، ردَّ حُكمه في الوقائع إلى استنباطهم، وألحق رُتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله.

وقيل في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. يعني: العلم، و«ريشًا» يعني: اليقين، و«لباس التقوى» يعني: الحياء.

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٧].

وقال عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣ ـ ٤]. وإنَّما ذكر ذلك في معرض الامتنان»(١).

وأمَّا الأخبار، فقد ذكر الغزالي هنا جملة كبيرة من الأحاديث النَّبويَّة، ولكنْ حينما خرَّجها الحافظ العراقي، وجدنا بعضها ضعيفًا، أو موضوعًا، أو لا أصل له، ولذلك نكتفي بما هو صحيحٌ أو حسنٌ منها.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٤/١، ٥)، نشر دار المعرفة، بيروت.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

من ذلك قول رسول الله ﷺ: «**من يُردِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْه في الدِّين**»[١].

وقال ﷺ: «**إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبيــاء لم يُوَرِّثوا دينارًا، ولا درهمًا، إنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»[٢].

ومعلوم أنَّه لا رتبةَ فوق النبوَّة، ولا شــرفَ فوق شرف الوِراثة لتلك الرُّتبة.

وقال ﷺ: «**يستغفر للعالِمِ ما في السماوات والأرض**»[٣].

وأيُّ منصبٍ يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السماوات والأرض بالاستغفار له؟!

## أقسام العلم وأنواعه:

والعلم الَّذي يطلبه الإسلامُ من المسلم أقسامٌ وأنواعٌ وألوانٌ، بعضُه من علوم الدِّين، وبعضه من علوم الدُّنيا، بعضُه ممَّا يُطلب من كلِّ مسلمٍ طلبًا عَيْنِيًّا، بحيث يكون فرضًا عليه أن يطلبه، وبعضه يكفي أن يُحَصِّله البعضُ إلى درجة الإتقان، ويكفي فيه العدد الَّذي يُلَبِّي حاجةَ النَّاس.

وبعض العلم يُحَرَّم على الإنسان أن يُنفق وقته وجهده وماله وعمرَه في طلبه، وليس من ورائه فائدة يســتفيدها طالبه في دِينه، ولا في دُنْياه، لا له، ولا لمجتمعه، كما في علم السحر ونحوه.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الكسوف (١٠٣٧)، عن معاوية.

(٢) رواه أبو داود في العلم (٣٦٤١)، والترمذي في العلم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٢)، عن أبي الدرداء.

(٣) رواه أحمد (٢١٧١٥)، وقال مخرِّجوه حســن لغيره. وابن ماجه في المقدمة (٢٣٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٩٥)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

وبعضه يفيد القليلُ منه، ولا يفيد الكثيـــر، ويكفي أن يتخصَّص فيه عددٌ قليلٌ من النَّاس يُرجع إليهم، مثل العلــم بالأديان الوثنيَّة، وما فيها من أباطيلَ وخرافاتٍ، وما لها من أوضاعٍ وتقاليدَ، وما وراءها من مصادرَ وكتبٍ، وأحبارٍ وكُهَّان.

وقد اعترف الإسلام بهذه الأقسام والأنواع في العلوم والمعارف الَّتي يطلبها النَّاس، ولم يدّعِ أنَّ العلم الوحيد هو علم الدِّين، كما يزعم ذلك بعض المُتَدَيِّنين، وربَّما بعض من يتّسمون بأنَّهم من علماء الدِّين.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

## ٢

## أوَّل ما يُطْلَب من المسلم عِلْمُ الدِّين

لا شكَّ أنَّ هناك علمًا يختصُّ بالدِّين، وهو العلم الَّذي أساسه وحْيُ الله تعالى إلى رسولٍ من رسله، كما أوحى إلى إبراهيم، وإلى موسى، وإلى المسيح عيسى ابن مريم، وإلى مُحمَّد بن عبد الله، عليهم الصلاة والسلام.

وقد حُرِّفتْ هذه الكتب القديمة المنزلة على رسل الله ﷺ، بل بعضُها لم يَعُدْ يُعرف أصله، كما في الإنجيل كتاب المسيح؛ إذ لم يعد يُعرف منه إلَّا ترجمات تضمَّنت ما كتبه البعض عن سيرة المسيح، وفيه كلمات قالها، ولكن ليس هو الكتاب المُنزَّل من عند الله.

كما أنَّ التوراة الأصليَّة الَّتي أنزلها الله على موسى، قد دخل فيها التحريف والتغيير، كما أثبت ذلك الغربيُّون الأحرار، وكتبوا في ذلك كتبًا شتَّى.

### علم التفسير:

والكتاب الوحيد الَّذي لم يزل كما هو منذ أنزله الله على رسوله، هو القرآن العظيم، الَّذي حفظه الصحابة، وكتبوه في عهد الرسول الكريم، عن طريق كُتَّاب الوحي المعروفين، وكُتِب في عهد أبى بكرٍ في مصحفٍ واحد، وفي عهد عثمانَ نُسِخَ في مصاحفَ رسميَّة، كُتِبَتْ بإجماع

QaradawiBooks.com

الصحابة، وأُرسِل منها نسخٌ إلى الأمصار، وكانت هي عُمْدة النَّاس في الحفظ والنقل إلى يومنا هذا، وهذا ما حفظ الكتاب العزيز، ولم يتغيَّر منه كلمة، ولم تُضَف له كلمة، مكتوبٌ كما أمر بكتابته سيِّدنا عثمان بن عفَّان، ومحفوظ بقراءته وأصواته، وأنغامه ومدوده، كما كان يقرؤه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وصدق الله الَّذي قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولهذا بدأ أوَّل علم في الأُمَّة، وهو: علم تفسير القرآن، بدأ بابن عبَّاس ترجمان القرآن، وحبر الأُمَّة، وتتلمذ عليه من تتلمذ من كبار العلماء، وكذلك وُجِدَ ابن عبَّاس، ووُجِدَ أبيُّ بن كعب، ووجد ابن عمر، ووجد عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزُّبَيْر، ووجدت المدارس التفسيريَّة المعروفة، ولها رواتها، ولها مناهجها، ولها حديثٌ ضافٍ في علم التفسير، وطبقاته ورجاله، ومصادره وكتبه.

وكان هناك تفسير الرواية وتفسير الدراية، أو تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي، ولكلٍّ منهما رجاله، وآثاره، ومنهم من جمع بين الطَّرِيقَيْن.

## علم الحديث:

ومن العلوم الدِّينيَّة الَّتي اشتهرت عند المسلمين: علم الحديث، وهذا يتعلَّق بما رُوِيَ عن رسول الله مُحمَّد ﷺ، من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، أو وصف خلْقي أو خُلُقي أو سيرة، وقد قسَّموه إلى علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية.

**وعلم الحديث رواية:** هو ما يتَّصل بالمصادر الَّتي جَمعت هذا الحديث، أو حاولت أن تجمعه من مظانِّه، من الكتب الصحاح والحسان والمسانيد والمُصَنَّفات والجوامع والأجزاء، وغيرها، وهي ذخائر هائلة،

QaradawiBooks.com

حاولت الأُمَّـة أنْ تجمعَها وتصُونهـا، وتُمَيِّز بيـن صحيحها وضعيفها وموضوعِها، وبذلتْ في ذلك جهودًا شتَّى قديمة وحديثة.

**وعلـم الحديث درايـة:** ما يبحث حول هـذه المرويَّـات وتنويعها وتصنيفها وشـرحها، والاسـتنباط منها، وما هو مقبولٌ، وما هو مردودٌ، وما هو صحيحٌ، وما هو ضعيفٌ، وما هو مُخْتَلَف فيه، وما هو مكذوبٌ وموضوع، وما لا أصل له، وما هو مُشْتَرَكٌ بين ذلك كُلِّه، وما هو مستقلٌّ بجنسٍ واحد، إلى تقسـيمات شـتَّى تتَّصل بالحديث وأهلِـه ورجاله وأصنافِهم، حتَّى جعلوا كلَّ قسمٍ منهم أو منها صِنْفًا بعَيْنه من الحديث، حتَّى وصَّل بعضُهم علومَ الحديث إلى تسعين.

ويكفي أنَّ عندنا: الكتب السِّـتَّة، ومعها موطَّأ مالك، ومسـند أحمد، وأضف إلى ذلك سنن الدارمي، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حِبَّان، ومسند أبي يَعْلى، ومستدرك الحاكم، ومُعْجمات الطبراني، الَّتي يعمل كثير من المعاصرين لاستخراج صحيحها من سـقيمها، وإفادة الأُمَّة ممَّا فيها، وحسْـبُنا ما يتبنَّاه أخونا العالم والباحث السعودي الشيخ عبد الرحمٰن بن عقيل من مشروعٍ كبيرٍ لخدمة السُّنَّة، يتفرَّغ للعمل فيه عددٌ كبير من العلماء بالقاهرة، وهم ينجزونه من عدَّة سنوات، ويُرجى أن يكون له أثرٌ كبير.

## علم الفقه:

وقد اسـتفاد كثير من العلماء والدُّعاة، ممَّـا ورد في القرآن العظيم، والسُّنَّة المُطَهَّرة من أحكام، اتَّفقوا في بعضها، واختلفوا في بعضها، كما نظروا في كثير من النصوص والعلل، واستنبطوا عن طريق القياس وغيره أحكامًـا جديدة، وكذلك دخلـتْ كتب الفقه، ومراجعـه ومصادره إلى الساحة الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

ثُمَّ بـدأت بعض المدارس الفقهيَّـة في بعض البـلاد، تتحلَّق حِلَقًا خاصَّة في صورة مدارس عِلْميَّـة، لها مدارجها، وأدلَّتهـا، ومصادرها، ومواردها، ممَّا جعل لها فقهًا خاصًّا يُمَيِّزها عن غيرها.

وهنا بـدأت تتميَّز المذاهـب، كالأوزاعيِّ في الشـام، وأبي حنيفة والثوري في العراق، ومالك في المدينة، والشَّـافعي في بغداد ثمَّ مصر، وأحمد في بغداد، وكذلك الطبري، فهو مُؤَرِّخ ومُحَدِّث ومُفَسِّر وفقيه، له أتباع يُسَمَّون الطبريَّة، ثمَّ انقرضوا، وكذلك مذهب الظاهريَّة الَّذين اشتهر منهم داود، ثمَّ ابن حزم، ثمَّ انقـرض أتباعهم، ومذاهب أخرى في بلاد أخرى من العالم الإسلامي، وظهر مذهب الخوارج من قديم، وبعد مدَّة غير قليلةٍ من الزمن بدأ دعاة الشِّيعة يظهرون في الأفق، ثُمَّ بدؤوا يُظهرون مذاهبَهم ومؤلَّفاتهم في الفقه والأصول.

وقد أصبحـت المكتبة الفقهيَّة الإسـلاميَّة، مكتبة ثَرِيَّـة كبيرة هائلة، بعضها لا يُنْسَـب إلى مذهبٍ، مثـل فقه الصحابة، كالخلفاء الراشـدين، والعبادلة الأربعة(١) وغيرهم، وهم كثيرون، ومثل التابعين لهم بإحسـان، وكلُّهم لم يُعرفوا بمذهبٍ مُعَيَّن يتَّبِعُونه، أو ينضمُّون إليه دون غيره، ومنهم الفقهاء السبعة بالمدينة(٢)، وفقهاء الكُوفة ومصر والشام واليمن وغيرهم.

ثُمَّ بدأ عصر المذاهب السُّنِّيَّة الخمسة، وعصر الخوارج، أو ورثتهم، ثمَّ الشِّيعة، وأوَّلهم الزيديُّون، أتباع زَيْد بن عليٍّ، وهم قريبون في فقههم من أهل السُّـنَّة، وبعدهم نجد الشيعة الاثني عشـرية، ولهم فقهٌ عريضٌ طويل له أصوله، وله فروعه، وله مُوافَقَاته ومُخَالَفَاته، وله كتبه ومراجعه.

(١) وهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير.

(٢) وهم: سعيد بن المسيب، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وأبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، والقاسم بن محمد، وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن.

QaradawiBooks.com

وفي عصرنا ظهرت كتابات واسعة في خدمة الفقه الإسلامي، على رأسها «موسوعة الفقه الإسلامي»، الَّتي أصدرتها وزارة الأوقاف في دولة الكويت، في أكثر من أربعين مُجَلَّدًا، ولا تزال تعمل على إخراج الموسوعات في علم الأصول وفي غيره، وهناك الموسوعة الَّتي تحاول مصر إصدارها، وقد صدر منها أعداد على المذاهب الثمانية، ولا تزال مستمرَّة.

## ألوان الفقه المطلوبة للأُمَّة اليوم:

ونحن نريد من الأُمَّة أن تُكَثِّف عنايتها بألوان مُعَيَّنة من الفقه، تحدَّثنا عنها في كُتُبنا، ولا زلنا نطالب أُمَّتَنا ألَّا تُغْفِلها، وأن تُخَصِّص لها من رجالها، ومن مالها، ومن وقتها، ومن برامجها، ومن مُقَوِّمات حياتها، ما ينهض بها كُلِّها، وعلى الوزارات والجامعات والجماعات، أن تقوم بما عليها في ذلك، وعلى الشَّعْب والحكومة أن يقوم كلٌّ بما يجب عليه.

فقد دعونا إلى «**فقه المقاصد**» الَّذي أصبح له في عصرنا كِيَانٌ ملموس، وله مراكز ومواقع، وله رجال ومُخْتَصُّون، ونرجو أنْ ينال ما هو أهل له، ونرى آثاره في كلِّ موقع، وعلى كلِّ طَرَف.

وهناك «**فقه المآلات**» الَّذي اهتمَّ به بعض فقهائنا القدامى، ويعنون بـ «المآلات»: النتائج والآثار المرتبطة به، فلا يجوز قطع الأمر عن مآلاته ونتائجه، والنظر إليه من موقعه الحاليِّ مفصولًا عمَّا يُحْدِثُه فيما بعد.

ألم تر إلى عدالة الَّذي علَّم اللهُ به موسى كيف خرق السفينة، ثمَّ بيَّن له لماذا خرقها، فقال: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩].

QaradawiBooks.com

أراد الرجل أنْ يُحْدِث عيْبًا في السفينة الصالحة، حتَّى يراها الملكُ فينصرفَ عنها، ويدعَها لأصحابها المساكين الَّذين يعيشون عليها، فأحدث هذه الخسارة الصغيرة، تفاديًا للخسارة الكبيرة.

وهناك فقه «**فقه الموازنات**»، وهو الَّذي يتعلَّق بأمرٍ مُتَعَاوِرٍ عليه مصالحُ ومفاسدُ، ومنافعُ ومضارٌّ، فأيُّهما تُغَلَّب؟

والقرآن يقول: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ [البقرة: ٢١٩].

ما الحكم إذا كان النفع أكبر من الضَّرَر؟ أو كان الضَّرَر أكبر من النفع؟ أو إذا تساويا؟

وهناك «**فقه الأولويَّات**» فإنَّ الأمر قد تختلط به أمور، تُصَغِّر الأمر الكبير، أو تُكَبِّر الأمر الصغير، أو تُقدِّم ما حقُّه التأخير، أو تؤخِّر ما حقُّه التقديم، ولا بدَّ من النظر إلى هذا وأمثاله، لكي تُعْطَى الأمور حقَّها، وليست الأشياء ثابتة دائمًا على ما هي عليه، فإنَّ الزمان والمكان والحال والعُرف تحيط بالإنسان، ولها دلالتها، ولها آثارها وحكمها، فلا بدَّ لنا أن ننتبه إلى ذلك.

وهناك «**فقه الاختلاف**»، وبعض الباحثين يُسَمِّيه «فقه الائتلاف»، وكلٌّ منهما يعمل في ميدانٍ واحد، ولكن من النَّاس من ينظر إلى الاختلاف ليصل منه إلى الائتلاف، وهذا هو الواجب، ولا بدَّ أن يكون هدفنا هو تضييق دائرة الاختلاف ما استطعنا، وأنْ يكون لنا معايير نحتكم إليها، وإذا عجزنا عن الاتِّفاق، عَذَرَ بعضُنا بعضًا، ودعا بعضُنا لبعض، فالاختلاف ليس شرًّا، إلَّا إذا أردنا نحن ذلك، أو حوَّلناه إلى ذلك.

QaradawiBooks.com

و«**فقه الواقع**»، مطلوبٌ منَّا اليوم، فقه الأسواق، وليس فقه الأوراق، أنْ تعرف الواقع وتدرسه ونعرف الخلل الَّذي فيه، وما سببه، وكيف نعالجه، وكيف نستفيد من كلِّ ما نطَّلع عليه ولو كان عند غيرنا، فلا حرج علينا أنْ نقتبس من الآخرين، كما اقتبس الصحابة والتابعون ﵃ من الفُرْس والرُّوم، المهمُّ أنْ نأخذ ما نأخذ ونحن واعون لما نفعل، ولسنا عَمِين عمَّا نصنع، والإسلام يعترف بنا ويوافقنا، ولا يغيب عنَّا.

وفي فقهنا القديم ومصادره الهائلة، ومناهجه الواسعة، ومذاهبه المتعدِّدة، وآفاقه الرَّحْبة، ما هو أهلٌ لأن يعطينا ما نغترف منه، ونعبُّ منه ونرتوي.

ودعَوْنا إلى ألوان أخرى، وحسبنا ما ذكرنا، المهمُّ أنْ تكون الأُمَّة بكلِّ إمكاناتها وطاقاتها المادِّيَّة والمعنويَّة والبشريَّة والرُّوحيَّة والفِكْريَّة، الرجاليَّة والنسائيَّة، معدَّة لهذه المرحلة؛ لتبني وتؤسِّس، وتنشئ الجديد والمفيد، وتعلي البناء دورًا وراء دور، وما تبنيه على أساسٍ مكين، فسيظلُّ محفوظًا بعناية الله تعالى، ورعاية الأُمَّة، وعناية علمائها ودُعاتها، ووراء ذلك كلُّه: الطائفة المنصورة من رجال الأُمَّة ونسائها الَّتي بشَّر بها رسول الله ﷺ في أحاديثه المستفيضة، والَّتي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

وقوله سبحانه: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٩].

## علم أصول الفقه:

وبعد استقرار الفقه والتأليف فيه، والاختلاف في مناهجه ومذاهبه، ظهر علم «**أصول الفقه**»، وأوَّل من ألَّف فيه وسمَّاه هو الإمام مُحمَّد بن

QaradawiBooks.com

إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤هـ) الَّذي ألَّف كتابه الفريد «الرسالة»، فكان أوَّل كتابٍ في «أصول الفقه»، يقرؤه النَّاس في العربيَّة، وإن كان عند المذاهب أصولٌ يتداولونها فيما بينهم، ولكن لم يظهر فيها كتابٌ يقرؤه النَّاس.

كان علم أصول الفقه هو العلم الَّذي يضبط الاستدلال للأحكام من المصادر الأساسيَّة، من القرآن والسُّنَّة والإجماع والقياس، ثمَّ أضيف إليها: المصلحة، والاستحسان، والعُرْف، وسدَّ الذرائع، وأدلَّة أخرى اختلف النَّاس في إثباتها وعدمه.

وكان المسلمون هم شيوخ هذا العلم ورجاله، الَّذين سبقوا غيرهم إلى ما لم يسبقهم إليه أحد، وأصبحوا هم أساتذة العالم في هذا العلم.

وقد ظهر فيه مدرستان: مدرسة علم الكلام، وهي المدرسة الَّتي ينتسب إليها المالكيَّة والشافعيَّة، والَّتي كتبت فيها مصادر كثيرة وكتب شَتَّى، ومدرسة الأحناف، الَّتي عُرف شيوخها ومُؤَلِّفوها ومصادرها.

وممَّا عرف في هذا العلم، ما سمّي باسم مقاصد الشَّرِيعة، الَّتي لم يعطِها كثير من المتقدمين من المساحة ما يليق بها، حتَّى بدأ إمام الحرمين، ثمَّ تلميذه الغزالي، يتحدثان عن هذه الأصول ـ خصوصًا الغزالي ـ وتقسيمها إلى: ضروريَّات، وحاجيَّات، وتحسينات، وقسَّم الضروريَّات إلى خمسة: الدِّين، والنَّفْس، والنَّسْل، والعقل، والمال.

وجاء القَرَافي بعد ذلك وقعَّد هذه القواعد، ثمَّ جاء بعده الشَّاطبي، فأوسع القولَ فيها، في كتابه «الموافقات»، وبسط شرحها وفصّلها، فوصل بها إلى درجة عالية.

QaradawiBooks.com

وجاء عصرنا فذهب العلَّامة الطاهر ابن عاشور التونسي، وغيره من علماء مصر، مثل الشيخ شلتوت والشيخ خلاف والشيخ أبو زهرة وغيرهم، إلى توسُّعات كثيرةٍ في علم المقاصد.

وأنشأ الشيخ أحمد زكي يَمَاني مركزه لدراسة المقاصد، وحضرنا مؤتمره الأوَّل في لندن، الَّذي انعقد من أجل ذلك، وكان له أطروحات ولقاءات وثمرات، وأصدر دراسات واسعة، له أجرُها وأجرُ من استفاد منها إلى يوم القيامة.

**علم الكلام:**

وهناك دراسات خاضها المسلمون، فيما عُرف بعد ذلك باسم «علم الكلام»، أو «علم التوحيد»، وهو العلم الَّذي يتعلَّق بإثبات العقيدة والدفاع عنها.

وكان المسلمون الأوَّلون يعتمدون على القرآن والسُّنَّة، في إثبات العقائد وتعليمها لمن يحتاج إليها، والدفاع عنها لمن يعارض فيها.

ثُمَّ حدثتْ مناوشات ومشاغبات، بين المسلمين بعضهم وبعض، وأحيانًا بين المسلمين وغير المسلمين، من اليهود أو النصارى، أو غيرهم من الوثنيِّين أو الملاحدة، ومن لا دِين لهم.

فاقتضى بعضهم أنْ يتسلَّح لهم بهذه المقولات، الَّتي أخذتْ أساسًا من غير المسلمين، ليردَّ عليهم بنَفْس أسلحتهم، ويُلْجِئُهم إلى التسليم بما عنده من سواء الصراط المستقيم.

وبعد ذلك تطوَّر «علم الكلام»، وأصبح ضمن «العلوم الإسلاميَّة»، الَّذي يتخصَّص في علم العقيدة والدفاع عنها، والردِّ على مخالفيها، بأدلَّة

QaradawiBooks.com

العقل والنقل، وظهر ذلك عند الأشعريَّة والماتُريديَّة، الَّذين أصبحوا يُمَثِّلُون جمهور أهل السُّنَّة في البلاد الإسلاميَّة.

ومضى الحنابلة في خطٍّ مُغَايِر لهؤلاء، معتمدين على النصوص من القرآن والسُّنَّة، وعلى رفض التأويل، وخصوصًا في الآيات المتشابهات، ولهم كتبهم الخاصَّة، ولهم دراساتهم في هذا المَيْدان، وخصوصًا مُؤَلَّفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم، وقد غدت معروفة لدى الباحثين.

وكذلك ظهر من الزيديَّة مُؤَلِّف كبير بلغ مرتبة الإمامة والاستقلال، له كتبه وبحوثه الأصليَّة في مجال العقيدة والفِكْر، وهو الإمام ابن الوزير، صاحب «إيثار الحقِّ على الخَلْق»، و«العواصم والقواصم في الذبِّ عن سُنَّة أبى القاسم».

وكذلك كُتُبُ الباحثين من المعاصرين من كلِّ المدارس، والأولى: أن يخرج الجميع بصيغة مُوَحَّدة، تجمع الأُمَّة على كلمةٍ سواء، دعا إليها القرآن أهل الكتاب:

**﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾** [آل عمران: ٦٤].

وهو ما كتبنا فيه على النهج الوسطي المتوازن، الَّذي دعونا إليه، ومشينا عليه، ونرجو الأُمَّة كُلَّها ألا تحيد عنه، ولا ترضى بغيره.

## علم التصوُّف:

ومن علوم الدِّين الَّتي ظهرت آثارها في الساحة الإسلاميَّة: **علم التصوُّف**، وهو: علم السلوك. وهو علم يتعلَّق بسلوك الإنسان الظاهر

QaradawiBooks.com

والباطن، وهو يهتمُّ بالباطن أكثر ممَّا يهتمُّ بالظاهر، وإن كان الإسلام يشملهما معًا، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وكان علم الفقه في أوَّل الأمر يُعنى بأعمال الجوارح، وأعمال القلوب، أمرًا ونهيًا، وإيجابًا وسلبًا، ولكنَّ النَّاس بعد ذلك جعلوا علم الفقه في الصلات الظاهريَّة، وما تقوم به الجوارح، وجعلوا علمًا آخر يتَّصل بأعمال القلوب طاعاتٍ ومعاصٍ، مأمورات ومنهيَّات. ومن هنا ظهر علم التصوُّف.

ولا ريب أنَّ هذا العلمَ هو الَّذي يقوم بمقام «الإحسان»، الَّذي سأل عنه جبريل عليه السلام الرسول الكريم، فقال: «**أنْ تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»(١).

**والإحسان هنا**: الإحكام والإتقان، لا مُجرَّد أداء العمل، وإن لم يكن له رُوح، ولا فيه نيَّة، ولا له ثمرة. مع أنَّ أهمَّ ما في العملِ في نظر الإسلام هي النيَّة، «**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»(٢)، ولذا قال القرآن عن أهل الكتاب: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وهذا «الإحسان» الَّذي سأل عنه جبريل، وأجابه عنه الرسولُ صلى الله عليه وسلم، هو «التزكية» الَّتي يُربِّي الرسولُ الكريم عليها أُمَّته، كما جاء ذلك في جملة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٠)، ومسلم في الإيمان (٩)، عن أبي هريرة.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com



نسخة مبدئية غير معدة للطباعة

آيات من القرآن المجيد. قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

ودعا إبراهيمُ ربَّه لهذه الأمة من بعده، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال في سورة آل عمران: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وفي سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢].

ولا شكَّ أنَّ هذا العلمَ كلَّفَ الله تعالى به رسولَه الأعظم محمّدًا، ليُصلح به أَنْفُس الأُمَّة الكبرى، الَّتي بُعث إليها، ويُطهّر قلوبَها، ويُنَمِّي جانبها المعنوي والأدبي في حياتها. هذا العلم الَّذي يحرص عليه أهل كل دين أنْ يأخذوه عن نبيهم المرسل من ربّه، ويتوارثوه عنه، ويشرحوه ويقبلوه، ويعرفوا أصولَه وفروعَه، وثقافته المطلوبة، ما هو منها فريضة، وما هو منها نافلة.

وهو ما يجب أنْ نقوم به في حسن تثقيف الأمّة، وحسن تربيتها، التربيةَ القرآنيَّة والنَّبويَّة المنشودة.

وحبّذا لو اعتنينا بتنقية هذا التراث التربوي، من الغبش الفكري والاصطلاحي، الَّذي أُدخل عليه، ومن لوثات الأفكار البشريَّة في غلوها

QaradawiBooks.com

وتسييبها، أو إفراطها وتفريطها، والعودة به إلى اليسر والبساطة، الَّتي صورها بعضهم عند وصفه للتصوف في كلمتين، هما: الصدق مع الحق، والخُلُق مع الخلق، وهو ما أشار إليه القرآن، في التقوى مع الله، والإحسان مع الناس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

فلا داعي لإدخال مصطلحاتٍ غامضة، ومصطلحاتٍ مُرعبة، ومصطلحاتٍ أُريدَ لها ألا تكون واضحةً وحاسمة، دخلت في التصوُّف العام، والتصوُّف الفلسفي، الَّذي دخلته كلماتٌ كثيرة مُخيفة، لا ضرورةَ لها، لأنَّها تزعج عوامَّ الناسِ وجمهورهم، فحَسْبنا أنْ يَبْقَوا على الإسلام العامِّ، الَّذي يُقِرُّ المسلمون كلَّ من تمسَّك به على أصل الدِّين. نأخذ الجانب الأخلاقي من التصوُّف، دون المبالغاتِ في الجانب الإلٰهي، الَّتي تجاوز فيها بعض الصُّوفيَّة الخطَّ الوسط، مرتكزين نحن على الكتاب المُبين، والسُّنَّة الصحيحة، وأقوال الصحابة، ومن اتَّبعهم بإحسان.

وبذلك تجتمع الأمّةُ ولا تفْترق، وتحيا الأُمَّة ولا تموت، وتعيش بقلوبها وأبدانها، لا بأبدانها وحدها، فلا يكونوا كالذين ذمَّهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ﴾ [المنافقون: ٤].

أو كما قال حسَّانُ بن ثابت يهجو قومًا:

**لا بأس بالقومِ من طُولٍ ومن عِظَمٍ ... جِسْمُ البِغَالِ وأحلامُ العَصَافِيرِ[1]!**

إنَّما نريد قومًا كالَّذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

(١) ديوان حسان بن ثابت صـ ١٢٩، شرح عبد أ. مهنًّا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

**علم السِّيرة والتاريخ الإسلامي:**

ومن العلوم الإسلاميَّة، الَّتي عرفها المسلمون من قديم: علم السيرة النَّبويَّة، وعلم التاريخ الإسلامي.

**فعلم السيرة النَّبويَّة:** علمٌ يتعلَّق بحياة رسول الله، وشخصيَّته، وجوانب حياته المختلفة، قبل النبوَّة وبعدها، وقبل الهجرة وبعدها. وهي غير السُّنة النَّبويَّة، الَّتي تتسع لما هو أكثر من ذلك، ولهذا يكتب السِّيرةَ المُؤَرِّخون على طريقتهم، وإن اتَّفقوا مع المُحَدَّثين في نواحٍ كثيرة.

والسيرة هي بدايةٌ للتاريخ الإسلامي الطويل والكبير، الَّذي اهتمّ به علماءُ المسلمين مثل: شيخ المُفَسِّرين أبي جعفر بن جرير الطبري، ومثل عَلَم المُفَسِّرين والمُحَدِّثين والفقهاء في زمنه: ابن كثير، وغيرهما من علماء الأُمَّة.

والقرآن نفسه قد أرَّخ لكثيرٍ من الأحداث والأشخاص، وإن كان لا يهتمّ بتعيين الشخص، وذكر اسمه أو مولده، أو سنة وقوع الحادث، أو موقعه، إلَّا ما يتعلَّق بالعبرة والموعظة، وهذا ما لاحظناه في قصص القرآن الكريم، الَّذي قال الله تعالى فيه: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال سبحانه بعد أن ذكر قصَّة عددٍ من الأنبياء في سورة هود: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

ولقد هدى القرآنُ إلى أهميَّة معرفة تواريخ الأمم والاستفادة ممَّا حدث لها، والاعتبار بذلك، كما قال تعالى بعد ما حدث ليهود بني

QaradawiBooks.com

النَّضِير: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

المهم أنّ المسلمين عُنُوا بدراسة التاريخ والتأليف فيه، ولم يكتفوا بالتأليف في تاريخ الملوك والأباطرة والرؤساء الكبار، وبالفاتحين المشهورين منهم، كما اشتهر ذلك عند كثير من الأمم.

بل أرَّخوا للملوك والحكّام، دوليين أو ملوك أقاليم، أو ولاة بلاد، من عَدَل ومن ظَلَم، ومن استمرّ ومن سقط في الطريق.

وأرَّخوا للرجال الفاتحين والعسكريين الكبار في تاريخهم، من انتصر، ومن انهزم، ومن كان من أهل الظلم والقسوة، ومن كان من أهل البر والمرحمة.

وأرَّخوا للدول، وأرَّخوا للطبقات المختلفة من النَّاس، الطبقات العِلْميَّة، مثل: طبقات الفقهاء، على اختلاف مذاهبهم واجتهاداتهم. وطبقات المفسرين، وطبقات المحدثين، وطبقات المتكلمين، وطبقات الفلاسفة، وطبقات المتصوفة، وطبقات اللغويين، والنحويين، والبلاغيين، والشعراء، والأدباء، وما يدخل في هذا المجال.

وألَّفوا في رجال العلوم الطبيعيَّة، مثل: رجال الفيزياء والكيمياء، والفلك والطب، والتشريح والبحار، وعلم الأرض والجغرافيا، والرياضيات والجبر، وغيرها من أنواع العلوم.

وألّفوا في رجال الفلسفة أو الحكمة، المتعلّقة بالإلهيات، والوجود،

QaradawiBooks.com

والمعرفة، والقيم، والطبيعيات، وكذلك كثيرًا ما دُرستْ العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة ضمن علوم الفلسفة، حتَّى انفصلت حديثًا عنها.

وألَّفوا في تاريخ الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، إلى مختلف الأنواع على توالي العصور.

ولم نجد صنفًا من النَّاس إلَّا وألفوا فيه: النساء، والصبيان، والعميان، والعرجان، وأصحاب المهن، والسحرة وغيرهم. وكذلك الكرماء والبخلاء، والأذكياء والأغبياء، والأغنياء والفقراء، وسائر الطوائف على اختلافها.

ولهذا يجب على من يريد أنْ يعرف تاريخ الأُمَّة الحقيقي الجامع المانع: أنْ يَطَّلع على هذه المصادر ما أمكنه، ليعلم سَعَة هذه المصادر، حتَّى إنَّ بعضهم كان يأخذ التاريخ من بعض كتب الفتاوى، وما فيها من أسئلة عجيبة.

وقد ذكرنا في كتابنا «ثقافة الداعية» ما يجب أنْ يهتم به دارس التاريخ، وما ينبغي أنْ يتحلَّى به، وخصوصًا في عصرنا، الَّذي ازدحمت فيه الثقافات، واختلط الحابل بالنابل، فلا بدَّ من الرجوع إليه.

**الواجب في علوم الدِّين:**

هذه العلوم الدِّينيَّة الَّتي تحدثنا عنها، بعضها يجب أنْ يتخصَّص فيها قوم إلى حد أنْ يكونوا عالمين بها، ومراجعَ بشريَّةً لها، ولا يجوز أنْ يهملوا أي نوع منها، بحيث لا يكون فيه رجال ثقات معتبرون، بحيث يصل بعضهم إلى درجة الاجتهاد الممكن فيها. ودرجة الاجتهاد ـ أو ما يوازيها أو يقاربها ـ معروفة في كل علم من العلوم.

QaradawiBooks.com

المهم ألا يكتفي فيها بمن ضحل علمُهم، وهبطتْ ثقافتُهم، ومشَوْا في ذيول العلماء، يعيشون على القليل، ولا يطمحون إلى الوفير. فهذا ما لا يرضاه الإسلام لأهله ولا لعلمائه.

لا بدَّ من تدبير ذلك وترتيبه، وإعداد العُدة المطلوبة له، من المدارس والمعاهد والجامعات، والدراسات العالية والعليا، وعقْد المسابقات، وإعداد الحلقات والندوات والمؤتمرات والمخططات والجداول، وكل ما يراه المختصون والدارسون معمولًا به في العالم المتقدم حولنا، لنقتبس منه، ونستفيد منه، والحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها.

لا بدَّ من عمل كبيرٍ ومدروسٍ ومُخَطَّط للثقافة في الأُمَّة، بالنسبة للعلوم الإسلاميَّة.

فهناك ثقافة عامَّة للأمّة كلِّها، لا بدَّ أنْ تدرس، فتوضع لها الخطط، وكيف تصل إلى الأُمَّة، والسبل الَّتي توصلها إليها، من مدارس، وجامعات عادية ومفتوحة، ومراكز، وكتب، ووسائل، وصحف يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية وسنوية، ووسائل الإنترنت والإذاعة والتلفاز، وكل هذه الألوان الجديدة، الَّتي أصبحت معروفة عند النَّاس.

وهناك ثقافة ضروريَّة يجب تعميمُها على كلِّ المسلمين بالطرق الممكنة، وهي الَّتي يعتبرها العلماء فرضَ عينٍ على كلِّ مسلم، وهي الحدُّ الأدنى من الثقافة المطلوبة من القرآن الكريم، ومن الحديث الشريف، ومن السيرة النَّبويَّة، ومن العقيدة الإسلاميَّة، ومن الفقه الإسلامي، وممَّا لا بدَّ من معرفته للمسلم، لا بدَّ أنْ يشتغل بهذا الأمر كل من فكر في التربية والتعليم، والتثقيف العام للإنسان المسلم الناشئ، ذكرًا كان أو أنثى.

QaradawiBooks.com

ويجب أنْ يكون للمُتَفَوِّقين والنابهين حظٌّ أعلى، يجب أن يُوفَّرَ لهم أكثر من غيرهم.

وهذه كلها أمور في غايـة الأهميَّة، لا يجوز إغفالها، أو السكوت عنها، أو تأجيلها إلى حيـن، أو الاهتمام بأمورٍ أخـرى قبلها، وكلُّ أُمَّة واعيةٍ لا يجوز لها أبدًا أن تتغافل عن الثقافة الدِّينيَّة الأَوَّلِيَّة لأبنائها، والله تعالى يقـول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، قال سيِّدنا عليٌّ في تفسير هذه الوقاية: علِّمُوهم الخير.

والخير لا يخفى في أيِّ علـم، أو أيِّ عمل، أو أيِّ توجُّه، وعلينا أن نطلبه، وعلينا أن نُعَلِّمه، وأن نتلقَّاه من أهله.

## علوم الدُّنْيا إلى جانب علوم الدِّين:

ولكن الإسلام لم يُكَلِّف المسلمين بعلم الدِّين وحدَه، بل كلَّفهم بعلوم الدُّنْيا مع علوم الدَّين.

لقد علَّمنا الإسلام أنَّ الإنسانَ لا يمكن أنْ يعيش بالدين وحده، إنَّما يمكن أنْ يعيش بالدنيا فقط، أو بالدين والدنيـا معًا. كما حكى لنا القرآنُ أصنافَ النَّاس في موسم الحج. قال تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ۞ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١]. ولم يذكر القرآن من يطلب من الله تعالى الدِّين وحده، وكأن مِثْلَ هذا لا يوجد.

وهذه هي طريق الإسـلام: طلب الحَسَنَتَيْن: حسـنة الدُّنيا، وحسنة الآخرة. كما أثاب الله به المؤمنين الصالحيـن، فقال: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

QaradawiBooks.com

لهذا يجب هنا أن ننوّه بعلوم الدُّنيا، الَّتي على المسلمين أنْ يطلبوها ويحصّلوها، ويتفننوا فيها، حتَّى يبلغوا درجة إتقانِها، ويتقنوا قوانينها، ويخترعوا ويبدعوا، كما فعلوا في أيام ازدهار الحضارة الإسلاميَّة، حيث ترجموا علوم الأوائل، أي: الأمم القديمة، وأحسنوا تعلمها، وأحكموها، وبدؤوا ينتقدونها، ويضيفون إليها من عندهم ما لم يكن فيها، كما اخترعوا علم «الجبر»، وقد أضافوه إلى الرياضيَّات.

وكان لهم دَوْرهم في علوم الفَلَك والفيزياء والكيمياء، وعلم الأرض، وعلم البحار، وعلم الجغرافيا وتقويم البلدان، وعلم الطبِّ والتشريح. وعلوم الفلسفة والحكمة، وقد كانت مختلطة بعلوم الطبيعة وغيرها.

المهم أنَّ هذه العلوم فرضٌ على المسلمين في مجموعهم أنْ يتعلَّموها، وأن يُحْكِموها. وليس صحيحًا ما قاله الإمام الغزالي من وجوب الاقتصاد في تعلمها، وكراهة التوسع فيها، فربما قُبل مثل ذلك في عصره لظروف وملابسات كانت تقتضي ذلك، ولكن عصرنا لا يمكن أن يبلغ المرء مبلغه من هذه العلوم ما لم يتوسع فيها، ويصل إلى حد التفوُّق على الآخرين، واكتشاف الجديد منها، وتوسيع آفاقها.

وقد كُنَّا نرى السباق المحموم بين العملاقَيْن الكبيرَيْن في الأرض: الكتلة الغربيَّة بزعامة أمريكا، والكتلة الشَّرْقيَّة بزعامة الاتِّحاد السوفييتي، وخصوصًا بعد سقوط ألمانيا الشَّرْقيَّة، ومحاولة كل من العملاقين اكتساب ما عندها من أسرارٍ نوويَّة وغيرها.

أمَّا العالم الإسلامي، فكان خارج هذا السباق، وهذا الصراع، كان هو السُّوقَ الَّتي تُباع فيها أشياؤهم وأسلحتهم، بعد أن يأخذوا الأهمَّ منها لأنفسهم.

QaradawiBooks.com

لقد عرفنا في ساحة علوم الدُّنْيا أسماءً كبيرة إسلاميَّة، كان لها وزنها وثقلها في تاريخ العلم والفكر العالمي، فقد سمعنا عن الكِنْدي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، والرازي، والزَّهْراوي، وابن النَّفِيس، والخوارزمي، وابن حبَّان، والبَيْرُوني، والفخر الرازي، وغيرِهم وغيرهم.

ثمَّ عدنا إلى الوراء، ونِمْنا وهم استيقظوا، وقعدْنا وهم تحرَّكوا، وتأخَّرْنا وهم تقدَّموا، وركبنا إبلنا بعد أنْ ضعُفَت وعيَّتْ، وركبوا هم السيارات والقطارات، ثمَّ الطائرات والصواريخ والغواصات.

ولا زلنا إلى اليوم نحاول أن ننهض فلا نكاد ننهض، إلَّا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن بين أيدينا ومن خلفنا مَن يُثبِّطنا، ويضرب بعضُنا ببعض، ويلهينا بعلمٍ لا ينفع، وبأدعية لا تُسمع، وبأعمال لا تُرفع؛ لأنَّها صادرة من قلوب لله لا تخشع، ومن أنفس من الدُّنْيا لا تشبع.

إننا لكي نكون كما أحب الله لنا: ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولكي نكون: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وأن نُحقِّق قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]، لا بدَّ لنا: أن نصل بين القوَّة العِلْميَّة والتكنولوجية إلى الحد الَّذي نتفوَّق فيه على عدونا، من القوَّة البشريَّة المُدَرَّبة، ومن رباط الخيل، وهو الآن: رباط المُدَرَّعات، والدبَّابات، والمُصَفَّحات، والطائرات وغيرها؛ لهذا لا بدَّ أن نكون مُتفَوِّقين في علوم الدُّنيا، لنكون أقوى من غيرنا، إن كنا نريد أن نحيا أعزاء كما كتب الله لنا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

## ٣

## انقسام العلوم إلى ما هو نقلي وما هو عقلي

وقد قسّم أهل العلم في الإسلام العلوم الَّتي يتداولها الناسُ في مختلف الأمم، وفي شتَّى الأعصار، إلى علوم نقْليَّة، وعلوم عقليَّة.

فالعلم النقْلي هو العلم الدِّيني أو الشرعي، الَّذي أساسه ومحوره الوحي الإلٰهي، الَّذي ينزله الله على رسوله، بواسطة الوَحْي الجلي، مثل القرآن الكريم، الَّذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

فهو الَّذي تنزَّل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على قلب مُحمَّد ﷺ باللسان العربي المُبِين.

وهناك الوحي الخَفِيّ، الَّذي يوحي اللهُ به إلى قلب رسوله، بواسطة رؤيا في نوْمه، أو نَفْثٍ في رُوعه في اليقظة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

ومثل ذلك الوحي الحُكْمي، وهو ما اجتهد فيه الرسول الكريم برأيه، ولم ينزل وحْي يُصوّبه، فهذا يُعتبر نوعًا من الوحْي بالإقرار.

نسخة إهدائية

QaradawiBooks.com

وفي الديانات المختلفة تبدأ العلومُ الدِّينيَّة أو النقليَّة في أوَّل الأمر، كما بدأ علم التفسير، وعلم الحديث، ثمَّ علم الفقه، وعلم القراءات، ثمَّ علم السيرة النَّبويَّة، وعلم التاريخ الإسلامي، وأخذت هذه العلوم النقليَّة تتعمّق وتتّسع وتُشرح، بامتداد الزمن، يُضيف كلُّ جيلٍ إلى ما قبله، حتَّى دخل فيها «علومٌ آليَّة»، أيْ: هي وسـيلة لفهم العلوم الشرعيَّة، مثل: علم اللغة، وعلم النحو والصرف والبلاغة، وغيرها.

ولا تزال هذه العلوم تتَّسع، حتَّى يدخل العقلُ في توصيفها وتوسيعها وتنويعها وتقسـيمها، وما زال العقل يدخل فيها شيئًا فشيئًا، حتَّى يصبح مسـيطرًا عليها، وإن كان النصُّ هو الجوهر الأوَّل، فنجد التفسير ينقسم إلى التفسـير بالرواية، وآخر بالدراية، ونرى الفقه ينقسـم إلى مدرسـة الحديث، ومدرسة الرأي، ونرى في مدارس العقيدة من يلجأ إلى النصِّ يستوحيه، ومن يلجأ إلى العقل يستجديه.

حتى تجد عند أصحاب العلم النقلي أنفُسِـهم، من يُحْسَـبُون على المجال العقلي، لدخولهم في كثيرٍ من مجالات العلوم العقليَّة.

فهناك علوم ترتكز على العقل وحده، مثل العلوم الرياضيَّة، والفلسفة الحُرَّة، وهنـاك علوم ترتكـز على الملاحظـة والتَّجْرِبة، مثـل العلوم الطبيعيَّة، كالفيزياء والفلك والكيمياء، وعلوم الأرض والبحار، والحيوان والنبات (علم البيولوجيًا)، وسائر العلوم الَّتي امتدَّ إليها نطاق المسلمين والحضارة الإسلاميَّة، ونقلوها من الأمم الأخرى الَّتي عرفتها قبلهم، مثل اليونان والرومان والفرس والهنود وغيرهم.

وهناك علوم غير علوم النقل، مثل العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة.

QaradawiBooks.com

وهناك علوم تقوم على الاستقراء، مثل العلوم اللُّغويَّة واللسانيَّة.

وقد نقل المسلمون الكثير من علوم الأمم، وتأثَّر بها بعضُهم، وكانت الفلسفة هي الغالبة عليها، وكانت الفلسفة تشمل الجانب الإلٰهي من التفكير الإسلامي، كما تشمل الجانب العلمي من الطبيعة والفيزياء والفلك ونحوها.

ونحب هنا أن نذكر أنَّ المسلمين فتحوا الأبواب لهذين النوعين من مجالات العلم، فكان للعلم النقلي الشرعي رجالُه وحماته، وكان للعلم العقلي رجاله وحماتُه أيضًا، وكثيرًا ما وجدنا رجالًا يجمعون بين الأمرين معًا، فهم رجال نقل، ورجال عقل، ينظرون في المصحف الناطق، وهو القرآن العظيم، وفي المصحف الصامت، وهو هذا الكون الكبير، الَّذي أقسم الله به وبعظمته على حَقِّيَّة هذا القرآن.

يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠].

### من علمائنا من جمع بين النقلي والعقلي من العلوم:

ونقول هنا: إنَّ من علمائنا الكبار من جمع بين الصنفين المتقابلين من العلوم: النقلي والعقلي، أو الدِّيني والدُّنْيَوي.

تجد الكثيرين من هؤلاء من اشتغل بعلم التفسير والحديث، وبعلم الفقه والأصول، وبعلم العقائد والدفاع عنها، وخاض بحارَ هذه العلوم، وجادَل وجالَد، وحاوَر وجاهَد، وأبلى بلاءً حسنًا في الردِّ على الأباطيل، وكَشْف الحقائق.

QaradawiBooks.com

من هؤلاء الإمامُ الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، والثوري (ت: ١٦١هـ)، ومُحَمَّد بن الحسن (ت: ١٨٩هـ)، وابن الطَّيِّب (ت: ٢٨٦هـ)، والطبري (ت: ٣١٠هـ)، والباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، وابن فُورَك (ت: ٤٠٦هـ)، وابن العربي (ت: ٤٥٣هـ)، والإسفراييني (ت: ٤٧١هـ)، وإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ)، والراغب الأصبهاني (ت: ٥٠٢هـ)، والغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، والمَازَري (ت: ٥٣٦هـ)، والشَّهْرِسْتاني (ت: ٥٤٨هـ)، وابن رُشد (ت: ٥٩٥هـ)، والفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، وأبو الحسن الآمُدي (ت: ٦٣١هـ)، والقَرَافي (ت: ٦٨٤هـ)، والشَّاطِبي (ت: ٧٩٠هـ)، وابن خَلْدون (ت: ٨٠٨هـ)، وابن الوزير (ت: ٨٤٠هـ)، والكمال بن الهُمَام (ت: ٨٦١هـ)، وابن نُجَيم (ت: ٩٧٠هـ)، والدِّهْلَوي (ت: ١١٧٦هـ)، والصنعاني (ت: ١١٨٢هـ)، والشَّوْكاني (ت: ١٢٨١هـ)، وكثير من رجال النقل والعقل، والإيمان والحكمة.

من نظر في التراث الإسلامي الكبير، وقرأ ما أنتجه العقل الإسلامي في مختلف العلوم والمعارف، من شرعيَّة وعقليَّة، ونظر إليها نظر الباحث المنصف الَّذي لا يهمه إلَّا المعرفة، ولا يبحث إلَّا عن الحقّ، فإنَّه سيجد كبار العلماء في أمّة الإسلام يحتضنون الجمْع بين العلوم العقليَّة، والعلوم الدِّينيَّة الشرعيَّة، ووجد أنّ نظرة الجميع لا ترى بينهما في الحقيقة تعارُضًا، وأنَّ ما جاء به العقل الخالص الموزون، جاء به الشرع الخالص الموزون أيضًا، فالحقُّ لا يُعارض الحقَّ، بل يُؤَيِّده، ويُسَدِّده، ويأخذ بيده إلى الصراط المستقيم، ولذلك نرى الإمام الراغب الأصفهاني، صاحب «مفردات القرآن» يرى أنَّ صاحب العلوم الشرعيَّة في حاجة إلى تصوُّر العلوم العقليَّة، وأنّه يستفيد منها قوَّةً على قوَّة، ونورًا على نور.

QaradawiBooks.com

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الذَّرِيعة إلى مكارم الشَّرِيعة»:

**«تَعَذُّر إدْراك العلوم النبويَّة على من لم يتهذَّب في العلوم العقليَّة:**

المعْقولاتُ تجري مجرى الأَدْوِية الجالبة للصحَّة، والشرعيَّات تجري مجرى الأغذية الحافظة للصحَّة، وكما أنَّ الجسم متى كان مريضًا لم ينتفع بالأغذية، ولم يستفد بها، بل يتضرر بها، كذلك من كان مريضَ النفس ـ كما قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] ـ لم ينتفع بسماع القرآن الَّذي هو موضوع الشرعيّات، بل صار ذلك ضارًّا له، مضرّة الغذاء للمريض، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وأيضًا فالقلب بمنزلة مزْرعة للمعتقدات، والاعتقادُ فيه بمنزلة البذْر، إنْ خيرًا، وإنْ شرًّا، وكلام الله تعالى بمنزلة الماء الَّذي يسقيه، ولذلك سمَّاه ماءً على ما تقدَّم ذكره، فكما أنَّ الماء إذا سقى الأرض يختلف نباتُه بحسب اختلاف بذورِه، كذلك القرآن إذا وَرَد على الاعتقادات الراسخة في القلوب، تختلف تأثيراته، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

وأيضًا فالجهل بالمعقولات جارٍ مجرى سِتْرٍ مُرْخًى على البصر، وغشاءٍ على القلب، ووقْر في الأذن، والقرآن لا تُدرك حقائقُه إلَّا لمن

QaradawiBooks.com

كُشِف غطاؤه، ورُفع غشاؤه، وأزيل وَقْره، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۞ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

وأيضًا فالمعقولات كالحياة الَّتي بها الأبصار والأسماع، والقرآن كالمُدرَك بالسمع والبصر، وكما أنَّه من المُحال أنْ يُبصر ويَسمع الميتُ قبل أنْ يجعل الله فيه الرُّوح، ويجعل له السمع والبصر، كذلك من المُحال أنْ يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيَّات؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۞ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٥٢، ٥٣]. الآيتان، يعني: آيات السماوات والأرض وغيرها»(١).

## موقف الغزالي بين العقل والنقل:

وأوْضحُ من هذا وأوثق، هو موقف الإمام حجّة الإسلام الغزالي من العقل والنقل.

يؤكد الغزالي هنا مبدأً مُهمًّا ـ عمّقه ووسّعه ابنُ تيمية بعدُ(٢)، على اختلافٍ بينهما في تطبيقه ـ وهو أنّ العقل والشرْع لا يتعارضان تعارضًا حقيقيًّا:

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ ١٥٨، ١٥٩، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) في كتابه الكبير: درْء تعارض العقل والنقل، وقد نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في عشرة أجزاء، تحقيق د. محمد رشاد سالم، وهو الكتاب الذي عُرف حينًا باسم: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول.

QaradawiBooks.com

ـ لا من الناحية النظريَّـة؛ لأنَّ كليهما نور من عنـد الله، فلا ينقضُ أحدُهما الآخر.

ـ ولا من الناحية العملية، فلم يثبت أن اصطدمت حقيقة دينيَّة بحقيقة عقليَّة، بل يرى الغزالي أنّ أحدَهما يؤيّد الآخر ويصدّقه[1].

بل نراه في «المُسْـتَصْفَى»، وهو من أواخر ما صنّفــه، يعتبِرُ العقل قاضيًا، والشرع شاهدًا، حيث يقول بعد الدِّيباجة:

«أمَّا بعـد، فقـد تناطق قاضـي العقل ـ وهـو الحاكم الَّـذي لا يُعزل ولا يُبدل ـ وشاهدُ الشرع، وهو الشاهد المُزكَّى المُعدَّل: بأنّ الدُّنيا دارُ غُرور، لا دارُ سـرورٍ ومحلُّ تجارة، لا مسـكن عمارة، ومَتْجـر بضاعتها الطاعة، والطاعة طاعتان: عمل وعلم، والعلم أنْجحُها وأربحُها، فإنَّه أيضًا من العمل، ولكنَّه عمل القلب، الَّذي هو أعزُّ الأعضاء، وسـعي العقل، الَّذي هو أشرف الأشياء؛ لأنَّه مرْكَب الديانة، وحامل الأمانة، إذ عُرضتْ على الأرض والجبال والسماء، فأشفقْنَ من حمْلها، وأبَيْنَ أنْ يحملْنَها غاية الإباء»[2].

---

(١) في معارج القدس ـ وهو يُنسـب إلى الغزالي ـ نقرأ هذه الفقرة: «اعلـم أنَّ العقل لن يهتدي إلَّا بالشرع، والشرع لم يتبيّن إلَّا بالعقل، فالعقل كالأُس، والشرع كالبناء، ولن يغني أُسٌّ ما لم يكن بناءٌ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أُسٌّ». وأيضًا، فالعقل كالبصر، والشرع كالشعاع، ولن يغني البصرُ مالم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشـعاع ما لم يكن بصر. فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان، بل متّحدان. معارج القدس صـ ٥٧، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م. والكلام هنا شبيه بكلام الغزالي، ولكنى أشكّ كثيرًا في صحة نسبة الكتاب إليه، فنَفَسُه غير نَفَس الغزالي في كتبه، وطريقة تقسيمه وترتيبه غير طريقة الغزالي، ولم يذكره أحد في كتبه ممن ترجموا له ـ كما أنَّه لا يُحيل ولا يشير إلى أي كتاب آخر له، كما هو شأنه في كتبه الأخرى، كما لم يشر إليه في أي كتاب من كتبه، وجعله د. بدوي، في جملة الكتب المشكوك في صحة نسبتها للغزالي. مؤلفات الغزالي صـ ٢٤٤، رقم (٧٦) نشر وكالة المطبوعات، الكويت.

(٢) المستصفى صـ ٣، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، نشـر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

وها هــو في «الإحياء» نــراه يدعو إلــى المَزْج بين العلــوم العقليَّة والعلوم الدِّينيَّة، وبين الحاجة إلــى كلٍ منهما، ويقرر أنَّه لا غنى بالعقل عن السَّمْع، ولا غنى بالسمع عن العقل:

«فالداعي إلــى مَحْضِ التَّقْليد ـ مــع عزل العقــل بالكُلِّيَّة ـ جاهلٌ، والمكتفي بمجرَّد العقل عن أنوار القرآن والسُّنَّة مغرورٌ، فإيّاك أنْ تكون من أحد الفريقين، وكُنْ جامعًا بين الأصلين.

فإنَّ العلوم العقليَّة كالأغذية، والعلوم الشــرعيَّة كالأدوية، والشخص المريض يســتضرُّ بالغذاء متى فاتــه الدواء، فكذلك أمــراض القلوب، لا يمكن علاجها إلَّا بالأدوية المستفادة من الشَّرِيعة»[1].

ثم يحمل الغزالي بقوَّة على من يظنُّ أن ثمَّــة تناقضًا بين العقليات والشــرعيَّات، فيقول: «وظنَّ من يظُنّ أنّ العلــوم العقليَّة مناقضةٌ للعلوم الشــرعيَّة، وأنَّ الجمع بينهما غير ممكن، وهو ظنٌّ صادر عن عمًى في عين البصيرة، نعوذ بالله منه.

بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعضُ العلوم الشرعيَّة لبعض، فيعْجز عن الجمْع بينهمــا، فيظنّ أنَّه تناقُضٌ في الدين! فيتحيّر به، فينســلّ من الدين، انسلال الشعرة من العجين! وإنَّما ذلك لأنَّ عجْزه في نفسه خيّل إليه نقْضًا في الدين، وهيهات»[2]!

وهو يصف عصابة الحق وأهل السنة في مقدمة كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد» بأنَّهم وحْدهم الَّذين اهتدوا إلى أسرار ما أنزل الله على رسوله،

---

(١) إحياء علوم الدين (١٧/٣).

(٢) المصدر السابق نفسه.

QaradawiBooks.com

واطّلعوا على طريق التلفيق[١] بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول، وتحققوا أن لا معاندة بين الشـــرع المنقول، والحق المعقول، وعرفوا أنَّ من ظنَّ من الحشـــويَّة وجوبَ الجمـــود على التقليد، واتِّبـــاع الظواهر، ما أُتوا (به) إلَّا من ضعـــف العقول، وقلَّة البصائـــر، وأن من تغلغل من الفلاســـفة و(غلاة) المعتزلة في تصرف العقل، حتَّى صادموا به قواطع الشرع[٢]، ما أتوا (به)[٣] إلَّا من خبث الضمائر. فميل أولئك إلى التفريط، وميل هؤلاء إلـــى الإفراط، وكلاهمـــا بعيدٌ عن الحـــزم والاحتياط، بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمـــة الاقتصاد، والاعتماد على الصراط المستقيم.

ويذكر الغزالي هنا مثالًا للعقل والشرع، فمثال العقل: البصر السليم عن الآفـــات، ومثال القرآن: الشـــمس المنتشـــرة الضياء، ولا يســـتغني بأحدهما عن الآخر، إلَّا من كان في غمار الأغبياء فالمُعرض عن العقل مكتفيًا بنور القـــرآن، مثاله المتعرّض لنور الشـــمس، مغمضًا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور، والملاحظ بالعين العوراء لأحدهما على الخصوص متدلٍّ بحبل غرور[٤].

(١) كلمة (التلفيق) يعنى بها ما نعنيه بكلمة (التوفيق) الآن، وليس يعنى بها ما يوحي به اللفظ في عرفنا اليوم من الاحتيال على الجمع بين متنافرين.

(٢) أنكر د. عادل العوا في تقديم كتاب: الاقتصاد في الاعتقاد على الغزالي ضمه المعتزلة إلى الفلاسفة في العزوف عن الاستضاءة بنور الشـــرع، وقال: إنهم متكلمون، والمتكلمون هم حراس العقيدة بالعقل، ولكن عبارة الغزالي لا تشمل كل المعتزلة، بل الغلاة منهم، فلا وجه للاعتراض. انظر: الاقتصاد في الاعتقاد صـ ٢٤، نشر دار الأمانة، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

(٣) أظن كلمة (به) هنا وفى الموضع الســـابق لا ضرورة لها، وهي حشو، ربما كانت من زيادة ناسخ.

(٤) مقدمة الاقتصاد في الاعتقاد صـ ٧٠.

QaradawiBooks.com

فلا يجوز إذنْ نصب العقل عدوًّا للشـرْع، ولا نصب الشـرع عدوًّا للعقل.

ولا يُتصوَّر أن يُثبِت الشرعُ ما ينفيه العقل (أي ما يقطع باستحالته)، ولا أن ينفي ما يُثبته العقل، أي ما يُقيم البراهين اليقينيَّة على وجوده.

والعكس ثابت أيضًا، بمعنى أنَّ العقـلَ لا يتصور أن يُثبِت ما يقطع الشَّرعُ بنفيه، ولا أن ينفي ما يقطع الشرعُ بثبوته.

وبعبارة موجَزة يرى الغزالـي: أنَّ العقل لا يمكـن أن يثبت حقيقةً ينفيها الشرع، وأنَّ الشرع لا يمكنه أن يأتي بعقيدةٍ يُحيلها العقل.

وإذا وقع شـيءٌ من ذلك، فلا بدَّ أن يكون مـن جاهل متوهّم على العقل، أو مُتَوَهِّم على الشرع.

وما كانت حملته في «التهافت» على الفلاسفة إلَّا لأنَّهم توهَّموا على العقل، فأثبتوا باسمه، ما لا برهان عليه، ونفَوْا تحت مِظَلَّته ما لا دليل على نفيه، وجاؤوا بما لا يُقبل في العلوم الظنيّة، فكيف يُقبل في العقليات؟!

وقد رأينا حملته في «المُنْقِذ من الضلال» على من سـمَّاه (الصديق الجاهل) للإسـلام الَّذي أنكر ـ باسـم الشـرع ـ ما قاله الفلاسـفة في الكسوف والخسوف، ونحو ذلك ممَّا يتصل بالعلوم الرياضيَّة والفلكية، من شُـعَب الفلسـفة القديمة، مع أنّ أدلتها برهانية يقينيَّة، لا سبيل إلى مجاحدتها، وهي في عصرنا جزءٌ من العلوم الكونيّة والطبيعيَّة الَّتي تقوم على مبدأ الملاحظة والتَّجْرِبة.

ومع تقرير هذا المبدأ ـ عدم تعارض العقل والشرع ـ أوضح أنّ لكلٍ من العقل والشرع اختصاصًا، أو دائرةً ينفذ فيها سلطانه، ولا يتجاوزه.

QaradawiBooks.com

وجعل الغزالي من اختصاص العقل إثبات أعظم قضيتين من قضايا الفلسفة، وأخطر قضايا الدين، وهما: «وجود الله»، «وثبوت النبوَّة».

فوجــود الله وقدرتُه وإرادته وعلمُه إنَّما يثبــت بالعقل، وما لم يثبت ذلك بالعقل لم يثبت بالشرع»(١).

فوجود الكون، ووجود الإنســان، ووجود الحياة على هذا الكوكب، دلَّ على أنَّ وراءها خالقًا قديرًا مريدًا عليمًا، وإلَّا ما قام هذا الكون البديع المنتظم، ولا هذا الإنسان، ولا هذه الحياة!

وكذلك بيان أنَّ هذا العالَم مِن فعْلِه الجائزِ في حقِّه، وأنَّ بعْث الرسل من أفعاله الجائزة، وأنَّه قادر عليــه، وعلى تعريف صِدْقِهم بالمُعجزات؛ لأنَّه تعالى لا يُضلُّ عبادَه، وأنَّ هذا الجائزَ واقعٌ.

وبهذا يدلُّ العقلُ علــى صدق النبيِّ، ثمَّ يعزل العقلُ نفسَــه عندئذٍ، وينتهي تصرُّفــه، ويعترف بأنَّه يتلقى من النبــي بالقبول ما يقوله في الله واليوم الآخر، ممَّا لا يستقلّ العقلُ بإدراكه، ولا يقضي أيضًا باستحالته(٢).

وبهذا يرى الغزالــي أنَّ من وظيفة العقل إثبات الشــرع، عن طريق إثبات خالق العالم، وإثبات النبوَّة، الَّتي يمنحها لمن يصطفي من عباده، فإذا ثبت الوحي من الله، كان مــن واجب العقل بعد ذلك أن يتلقى منه، لا أن يعترض عليــه، وبتعبير الغزالي: «يعزل العقل نفسَــه» من منصب القضاء في أمر الدِّين، ليقول فــي الاعتقاديات: **آمنَّا وصدَّقنا**، ويقول في العمليَّات: **سمعْنا وأطعْنا**.

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد صـ ١٩٨.

(٢) انظر: المستصفى صـ ٦.

QaradawiBooks.com

وإنَّما عزَلَ العقلُ نفسَــه هنا ليتلقَّى من مشكاة النبوَّة ووحي الله إلى نبيِّه؛ لأنَّ الوحي معصوم، والعقل لا عصمةَ لــه، والعقل وإن كان نورًا، ففرق كبير بينه وبين نور النبــوَّة، فهداية النبوَّة فوق هداية العقل، أو هي ـ على حـدِّ تعبيره ـ طـوْرٌ من وراء العقــل، تنفتح فيه عيــنٌ يدرك بها مدركات، والعقل معزول عنها، كعزل السمع عن إدراك الألوان، والبصر عن إدراك الأصوات، وجميع الحواس عن إدراك المعقولات(١).

وهو قــد آثر طريــق الصُّوفيَّــة: لأنّهم ـ فــي نظره ـ فــي حركاتهم وســكناتهم، وظاهرهم وباطنهم، مقتبسون من نور مشكاة النبوّة، وليس وراء نور النبوَّة على وجه الأرض نور يستضاء به(٢).

وعزلُ العقلِ نفسَــه بعد ثبوت النبوة بالوحــي، لا يعني إلغاء دوره بالمرَّة، فهذا لم يقل به الغزالي، ولا أحد من أئمَّة الإسلام.

فالعقل هو المكلف بتفسير النصوص، واستنباط الأحكام منها، وممَّا لا نصَّ فيه، ووضع الأصول الضابطــة لذلك، وتأويل ما يحتمل التأويل منها، إذا تعارضــتِ الظواهر مع القواطع العقليَّــة، وإزالة التعارض بين بعضِها وبعض... إلى غير ذلك ممَّا يعمل فيه العقل.

يقول الغزالي: كلما ورد السمْع به يُنظر:

ـ فإن كان العقل مجوّزًا له وجب التصديق به قطعًا، إنْ كانت الأدلّة الســمعيَّة قاطعةً في متنها ومُســتندها، لا يتطرق إليها احتمال، ووجب التصديق بها ظنًّا إن كانت ظنية.

---

(١) المنقذ من الضلال صـ ١٩٨، ١٩٩، نشر دار الكتب الحديثة، مصر.

(٢) المرجع السابق صـ ١٧٨.

QaradawiBooks.com

ـ وأمّا ما قضى العقل باستحالته، فيجب فيه تأويل ما ورد السمْع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطعٍ مخالفٍ للمعقول.

ـ فإن توقف العقل في شيء من ذلك، فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز، وجب التصديق أيضًا لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق انفكاكُ العقل عن القضاء بالإحالة(١).

فهذا هو موقف العقل في مجال «العقائد».. وربَّما اتُّهِم الغزالي مِن بعض خصومه ـ ولا سيَّما من المدرسة السلفية ـ بأنّه استخدم العقل في «التأويل» أكثر ممَّا ينبغي، وربّما كان عذره أنَّه يرد على العقلانيِّين «الخُلَّص» من الفلاسفة وأمثالهم من غلاة المعتزلة.

## دوْر العقل في مجال الشرعيَّات (أو العمليات):

وللعقل دوْر كذلك لا يُنكر في مجال «**العمليات**» في الفقه والأصول، الَّتي يجتمع فيها العقل والشرع في نظر الغزالي، وهي أفضل العلوم فيما يرى.

يقول في مقدمة كتابه «**المُسْتَصْفَى**» ـ وقد صنَّفه قبل وفاته بنحو عامين ـ بعد أن قسَّم العلوم إلى عقليٍّ محض، كالحساب والهندسة، وإلى دِينِي مَحْض كالحديث والتفسير، قال:

وأشرف العلوم: ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل، فإنَّه يأخذ من صفْو الشرع والعقل سواء السبيل(٢).

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد صـ ١٩٨، ١٩٩.

(٢) مقدمة المستصفى صـ ٣، ٤.

QaradawiBooks.com

ولكنَّ الغزالي يرى في مجال «**العمليّـات**» أنَّ هناك «**منطقةً مُحَرَّمة**» يجب على العقل، أنْ يعزل نفسَـه عنها وهـي: إدراك الحِكَم التفصيليَّة للعبادات الشرعيَّة الَّتي ينظر إليها الغزالي على أنَّها ـ بحدودها ومقاديرها المحددة المقدرة من جهة الأنبيـاء ـ **أدْوية ربّانية** «**لا يُدْرَك وجهُ تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء، بل يجب فيها تقليـد الأنبياء، الَّذين أدركوا تلك الخواصَّ بنور النبوَّة، لا ببضاعة العقل...**».

فلا يسـتطيع العقل أن يدرك لماذا كان السـجود في الصلاة ضعف الركوع، وصلاة الصبح نصف صلاة العصر، ونحو ذلك... فهذا من قبيل الخواصِّ الَّتي لا يُطّلع عليها إلَّا بنور النبوَّة.

قال: «ولقد تحامَق وتجاهل جدًّا مَن أراد أنْ يستنبط ـ بطريق العقل ـ لها حِكمةً، أو ظـن أنَّها ذُكرتْ علـى الاتِّفاق، لا عن سـرٍّ إلٰهي فيها، يقتضيها بطريق الخاصِّيَّة»[1].

وما عدا ذلـك فإنَّ العقل يصول ويجول، في اسـتنباط الأحكام من النصوص الَّتي تختلف فيها الأفهام، وتتفاوت العقول، أو ممَّا لا نصّ فيه عن طريـق القيـاس وغيـره مـن أدوات الاجتهـاد، والاستحسـان، والاستصلاح، والاستصحاب، ورعاية العُرف، وسدّ الذرائع، وغيرها.

وقارئ فقه الغزالي أو أصوله، أو كلامه، أو تصوفه، أو منطقه، يرى أنَّه لم يتخـلّ عن العقـل يومًا، ولكنَّـه العقل الَّذي يعـرف حدودَه، ولا يحرم نفسَه من نورٍ أعظم منه، وهو نور الوحي الإلٰهي، الَّذي قطع العقل نفسُه بثبوته.

---

(١) المنقذ من الضلال صـ ١٨٩.

QaradawiBooks.com

بهذا ظلَّ الغزالي وفيًّا للعقل، مؤمنًــا بمهمته في الدين، كمهمته في الدُّنيا، داعيًا إلى الجمع بين مقررات الشرائع، وموجبات العقول، أو بين الشــرع المنقول، والحق المعقول، مع الاعتراف بأنّ لكلٍّ منهما سلطانًا لا يتعدّاه.

وبهذا نتبيَّن، أنّ الغزالي بهجمته على الفلســفة الإلهيَّة التقليديَّة، لم يتنكَّر للعقل، ولا حرم المسلمين من فلسفة حقيقيَّة أصليَّة، حين تصدَّى لنقض الفلســفة اليونانيَّة، في صورتها العربيَّة أو الإسلاميَّة كما تُسَمَّى، والَّذين يقولون هذا غالطون أو مغالطون.

فما كانت فلسفة الفارابي وابن سينا، أو فلسفة (إخوان الصفا) فلسفة إسلاميَّة حقًّا، كما يقول الباكون أو المتباكون عليها.

إنَّ منابعها لم تكن من الإســلام، ومُنْطَلَقها لم يكن هو الإســلام، ومقاييسها لم تُبْنَ على الإسلام، فكيف تُنْسَب إليه وتُحْسَب عليه؟!

كل ما يصلها بالإســلام: أنَّها إنتــاج بعض أبنائه، وأنَّها نشــأت في أرضه، وكُتبت بلغته، أعنى لغة كتابه، وهي العربيَّة.

ولا نريد أن نصل إلى حدِّ القول بأنَّها الفلسفة اليونانيَّة، كُتبت باللغة العربيَّة.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

## ٤

## العلم المذكور في القرآن والسُّنَّة يشمل علم الدِّين وعلم الدُّنْيا

وقد كتب بعض إخواننا الشَّرْعِيِّين في بعض البلاد ـ عفا الله عنهم ـ كلامًا أثبتوا فيه أنَّ العلم الَّذي جاء ذكره ومدحه في نصوص القرآن والسُّنَّة النَّبويَّة، كله في العلم الشرعي والديني وحده، ولا مجال فيه لمدح علم من علوم الدُّنْيا والحياة. قالوا: ولا يجوز لنا نحن علماء المسلمين ودعاتهم: أن نأخذ ما جاء في القرآن والسُّنَّة من آيات وأحاديث، لعلوم العقيدة والشريعة، إلى مجالات أخرى؛ لأنَّ هذا يعتبر نوعًا من التحريف المتعمَّد لكتاب الله تعالى، ولكلام رسوله!

نشر هذا الكلام في بعض الصحف، فأزعج إخواننا المهتمين بأمر العلم وأصوله في «المنظمة الإسلاميَّة للعلوم الطبية» بالكويت، وعلى رأسها رئيسها القوي الدكتور عبد الرحمٰن العوضي، وأمينها العام المساعد، الدكتور أحمد رجائي الجندي، والدكتور خالد المذكور، وغيرهم، ممَّن اتصلوا بي، وحدثوني في الأمر، وقلت لهم: إن كلامهم خاطئ مائة في المائة، ولي ردود عِلْميَّة عليه، من كتاب ربنا، ومن سُنَّة نبينا. فقالوا لي: إنَّنا نرجوك ونلح عليك أن تسارع بكتابة هذا الرد، وترسله إلينا بغاية السرعة، لننشره، ونعمم نشره، لنوحد ثقافة المسلمين،

QaradawiBooks.com

ونصححها، فميزة الأمة المسلمة أنَّها أمة ينصح بعضها لبعض، ولا يستكبر بعضها عن السماع لبعض.

وقد أرسلت ردِّي إلى الإخوة في الكويت، ونشروه في الحال بوسائلهم الميسورة والموفورة، ولهم في ذلك أجرهم ونيتهم.

وهأنذا أضع ردِّي هنا في هذه الرسالة الثقافيَّة للمسلمين.

**شمول العلم وتنوعه في لسان القرآن:**

دعوة الإسلام إلى العلم والتعلّم، وتنويهه بفضل العلم، ومنزلة العلماء، ممَّا لا يختلف فيه اثنان، ونصوص القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة في ذلك غزيرة مستفيضة، ولا يوجد دين من الأديان أفاض في الثناء، على العلم وأهله كالإسلام، وحسبنا أن أوَّل آيات نزلت من القرآن نوّهتْ بشأن العلم والتعليم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

والعلم الَّذي نوّه به القرآن، وحفلتْ به آياته، ونوّه به الرسول الكريم، وأحاديثه الشريفة، يشمل كلَّ معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول بها غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الإنسان، أم موضوعه العالم، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحسّ والتَّجْرِبة، أم وسيلته العقل والبُرهان، أم وسيلته الوحي والنبوّة.

فليس صحيحًا ما شاع عند الغربيين ومن دار في فلكهم: «أنَّ العلم مقصور على ما قام على الملاحظة والتَّجْرِبة»، وليس صحيحًا أيضًا ما يتصوّره بعض المسلمين المُتَدَيِّنين أو يُصَوِّرونه من أنَّ «العلم» في

QaradawiBooks.com

القرآن والسُّنَّة يعني «العلم الدِّيني» ولا شيء غيره، وحاول بعض أهل العلم الدفاع عن هذه الدعوى!

ففي القرآن الكريم آيات أثنت على العلم وأهله، من حيث هو (علم)، أي: معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، دون النظر إلى كونه علمًا دينيًّا أو دنيويًّا، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. فهنا لم يذكر مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أي لم يقل: الَّذين يعلمون علم الدين أو الشَّرِيعة أو الطبيعة أو غيرها، بل نزّل الفعل المتعدي ـ وهو (يعلم) ـ منزل الفعل اللازم، فكأنَّ المعنى: هل يستوي العالم والجاهل؟ والاستفهام إنكاريٌّ، على معنى أنَّهما لا يستويان.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فالمفهوم من هذه الآية: أنَّ (أولي العلم) الَّذين عطفهم الله تعالى على الملائكة في الشهادة لله بالوحدانيَّة، هم الَّذين استنارت بصائرهم بالعلم والمعرفة، سواء أكان علمهم دينيًّا أم طبيعيًّا، وكم رأينا في علماء الكون من شهد لله تعالى بالوحدانيَّة والتفرُّد بالقدرة والجلال والكمال، كما في كتاب (أ. كريسي موريسون) رئيس أكاديميَّة العلوم بنيويورك، الَّذي يُترجم إلى العربيَّة بعنوان «**العلم يدعو إلى الإيمان**»، ومثله كتاب «**الله يتجلَّى في عصر العلم**» بأقلام ثلاثين عالمًا متخصصًا في العلوم الكونيَّة والإنسانيَّة.

ولكن الَّذي عجبتُ له أنَّ بعض علماء الدين في عصرنا جنحوا إلى هذا الرأي الغريب، وذهبوا إلى أنَّ كلَّ النصوص الَّتي وردت في آيات القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الكريم، في فضل العلم والعلماء، إنَّما يُقصد بها العلم الدِّيني وحده، وعلماء الدين دون غيرهم.

QaradawiBooks.com

وقد يكون هذا صحيحًا في قليل من النصوص الواردة في الأصلين العظيمين في الإسلام: (القرآن والسُّنَّة)، ولكن أغلب نصوصهما وردت عامَّة ومطلقة، تشمل كلَّ علم ديني أو دنيوي، وبعضها لا يمكن أن يفهم منه إلَّا أنَّه العلم الدنيوي: العلم بالكون والحياة والإنسان، وما يجري عليها من سُنَن.

وهذا ما نحاول أن نلقي عليه بعض الأشعة الكاشفة لما قد يلتبس على بعض الباحثين في هذا المَيْدان.

## تعليم آدم الأسماء كلها:

نبدأ هنا بالإنسان الأوَّل، أبي البشر آدم عليه السلام، الَّذي قصَّ القرآنُ علينا قِصَّته في أكثر من سورة، ومنها سورة البقرة، الَّتي انفردت بهذا الموقف العجيب، وهو مشاورة الله تباركت أسماؤه لملائكته في استخلاف آدم في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وأراد الله تعالى أن يُظهر للملائكة فضل آدم وما خصَّه الله به من مواهب وقدرات ترشّحه للخلافة في الأرض، فعقد ما يشبه (المسابقة) أو (الامتحان) بينه وبينهم، فظهر تفوُّق آدم على الملائكة في العلم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣].

تُرى أي نوع من العلم كان عند آدم؟ أهو علم ديني أم علم دنيوي؟

QaradawiBooks.com

لا يمكن أن يكون علما دينيًّا؛ لأن آدم لم يكن قد أُنزل عليه وحْي، حتَّى يتكوَّن من ورائه علم دينيٌّ، إنَّما هو علم بأسـماء الأشـياء، الَّتي أودعها الله في الأرض، والَّتي سيحتاج آدم إلى التعامل معها.

والعلم بأسـمائها يعني ـ والله أعلم ـ: العلـم بخصائصها وفوائدها، وما يتّصل بذلك من مهماتها في الحياة، وهذا ـ بالقطع ـ ليس علمًا دينيًّا ولعله لو كان علمًـا دينيًّا، لكان الملائكة أولى بالعلـم به من آدم؛ لأنَّ الملائكة هم الَّذين ينزلون بالوحي على رسل الله عليهم السلام.

## علم يوسف تأويل الأحاديث:

وإذ تبيّنا في قصَّة آدم أنَّ العلم الَّذي علَّمـه اللهُ آدمَ، وظهر به فضله على الملائكة، ليـس علمًا دينيًّا، فنجد في قصَّة يوسـف عليه السلام أنَّ العلم الَّـذي علَّمه الله وخصّه به، وهـو تأويل الأحاديث، ويعنـي بها: الرؤى والمنامات، هو كذلك ليس بعلمٍ ديني.

فقد قال يعقوب لابنه يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

وقال تعالى ـ بعد أن ذكر أنَّ الَّذي اشـتراه من مصر، وهو العزيز قال لامرأته ـ: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ﴾... ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١].

وقال يوسف بعد أنْ جمع الله شمله بأبيه وإخوته، ودخلوا مصر بمشيئة الله آمنين: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

QaradawiBooks.com

ومن الواضح أنَّ علم تأويل الأحاديث الَّذي علَّمه الله ليوسف، ليس علمًا دينيًّا، بل هو علم يقوم على الفِطْنة والفِرَاسة والحَدْس، فهو أقرب إلى علوم الدُّنْيا منه إلى علوم الدِّين.

ولذا عبّر القرآن عنه بالظن في قوله عن أحد السجينين، اللذَيْن دخلا معه السجن، وأوّلَ رؤياه بأنَّه سينجو ويخرج من السجن، ويسقي سيده خمرًا، كما كان يفعل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

وقال تعالى في قصَّة يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

وهذا العلم آتاه الله ليوسف مع الحُكْم ـ أي الحِكمة ـ ليس هو علم النبوَّة، فلم يكن قد أوتيها بعْدُ، ولا علم الدين، فلم يكن في مصر في ذلك الوقت علم للدين يحصّله أو يطلبه، إنَّما هو المعرفة والبصيرة بالأمور، والاعتماد على العقل في الاستنتاج واختيار البدائل ونحوها، وهذا العلم هو الَّذي اعتبره يوسف عليه السلام مرشحًا أساسيًّا له لمنصب الولاية على خزائن أرض مصر، حين قال له ملكها: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥].

فذكر يوسف عليه السلام سببَين يؤهلانه للمنصب، وهما الحفظ والعلم. والمراد بـ «الحفظ»: الأمانة الَّتي تجعله يحفظ ما اؤتُمن عليه من أموال وأعمال، و«العلم»: يراد به المعرفة، والخبرة بما يحتاج إليه هذا المنصب المالي الاقتصادي الإداري، من خبرة بأمور المالية، والاقتصاد، والزراعة، والإدارة، والتخطيط، والتموين، وخصوصًا في زمن الأزمة

QaradawiBooks.com

الاقتصاديَّة الكبيرة الَّتي تتوقعها مصر بعد سبع سنوات، وكيف يدّخر من سنوات الخصب لسنوات القحط.

ولا يمكن أن يُراد من صفة «عليم» الَّتي ذكرها يوسف: أنَّها تتعلق بعلم الدين ـ إذ لا دخل له في الترشيح للولاية على خزائن الأرض.

## علم موسى عندما بلغ أشدَّه واستوى:

وكما ذكر الله تعالى عن يوسف أنَّه عندما بلغ أشُدَّه آتاه «حُكْما وعلمًا»، ذكر ذلك عن موسى عليه السلام، حينما قصَّ علينا نشأته وطفولته وشبابه في سورة القصص، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤].

فالعلم الَّذي أوتيه موسى هنا، كالعلم الَّذي أوتيه يوسف هناك، وإن زاد موسى هنا بأنَّ الله آتاه هذا العلم بعد أنْ بلغ أشُدَّه واستوى، أي: نضج واكتمل، وصهرته المِحن والشدائد منذ طفولته، وصناعته على عين الله تعالى.

## علم داود وسليمان:

وممَّا ذكره القرآن في شأن العلم: ما آتاه الله داود وسليمان عليهما السلام، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

فأيُّ علم آتاه الله داود، وابنه سليمان؟ هل هو العلم الدِّيني المحض؟ أو هو علم آخر؟ لقد بيَّنتْ لنا الآيات التالية طبيعة هذا العلم، كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

QaradawiBooks.com

بيَّن سليمان أنَّ العلم الَّذي فُضِّل به على كثير من عباد الله المؤمنين، هو: «علم منطق الطير»، أي: لغة الطير والحشرات، وقد ذكر لنا القرآن نموذجًا منها في القصَّة حيث قال: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٧ ـ ١٩].

وكذلك ما ذكره القرآن عن قصته مع الهدهد، وكيف أنبأه بقصَّة سبأ، وملكتهم بلقيس، فهذا هو العلم الَّذي علمه الله سليمان، ولم يكن علم الدين.

## علم الَّذي أحضر عرش بلقيس من اليمن:

وفي قصَّة سليمان مع ملكة سبأ، نجد واحدًا من ملئه استطاع أن يأتي بعرش بِلْقِيس ملكة سبأ من اليمن إلى الشام في لمْح البصر، بوساطة «علم من الكتاب»، ولا يتصوَّر أن يكون هذا العلم علمًا دينيًّا محضًا، يتعلَّق بالعقيدة والشريعة، فإنَّ مهمة هذا العلم لا علاقة لها بنقل الأشياء من مكان إلى آخر، بمثل هذه السرعة الهائلة، الَّتي قصّها علينا القرآن في قصَّة سليمان: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠].

ولا يمكن أن يكون هذا العالِم من الملائكة؛ لأنَّ المفروض أنَّه من (ملأ) سليمان، فإنَّه خاطبهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ فكان الجن من ملئه، فقد سخَّرهم الله له، ولم يكن الملائكة من ملئه قطْعًا،

QaradawiBooks.com

فإذا لم يكن من الجن فلا بدَّ أنَّه من الإنس، آتاه الله من العلم الطبيعي ما أمكنه أنْ يأتي بالعرش بمثل هذه السرعة العجيبة.

غير مرخصة للطباعة

## علم طالوت:

وممَّا ذكره القرآن عن العلم: ما آتاه الله طالوت، الَّذي ذكر القرآن قصته في سورة البقرة، فقد قال تعالى في قصَّة الملأ من بني إسرائيل الَّذين أخرجوا من ديارهم وأبنائهم، وكتب عليهم القتال ليحرِّروا أرضهم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

فما نوع العلم الَّذي زاد الله طالوت بسطة فيه؟ لا يمكن أن يكون علم الدين؛ لأنَّ علم الدين عند نبيّهم الَّذي قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ولكنَّ العلم هنا يحدِّده السياق والمقام، وهو العلم بشؤون الحرب والفنون العسكريَّة، وإدارة المعارك، ونحوها ممَّا تتطلبه القيادة الحربية.

وبهذا يتضح لنا تمام الوضوح أنَّ «العلم» حينما يذكر في القرآن ليس هو العلم الدِّيني وحده، كما يتصوَّر كثيرٌ من أهل العلم الشرعي.

## استخدام لفظة «العلم» ومشتقاتها في غير العلم الديني:

وممَّا يدلُّ على بطلان ذلك التصوُّر: استخدام لفظة: «العلم» ومشتقَّاتها في غير العلم الدِّيني، كما تدلُّ على ذلك آيات القرآن.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

QaradawiBooks.com

فالعلم الَّذي وصف الله به هؤلاء القوم الَّذين فصَّل لهم الآيات، والَّذي جاء ذكره بعد قوله: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، لا يمكن إلَّا أن يكون هو العلم الكوني، الَّذي يدخل فيه علم الفلك وما يتعلق به.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

فالعلم المراد هنا: هو الَّذي به يتعرَّف على آيات الله في الكون، علويِّه وسفليِّه، وفي سرِّ اختلاف الألسنة والألوان، فهو يشمل علوم الكون، وعلوم الإنسان.

واختلاف الألسنة والألوان قد يُراد به: اختلاف الأمم والشعوب في لغتها وألوانها بعضها عن بعض، وهو اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضادٍّ.

وقد يُراد به اختلاف الأفراد في أصواتهم، حتَّى إن لكل فرد منهم تميزًا في صوته يجعل له «بصمة» خاصَّة به، لا يشاركه فيها غيره. كما في «بصمة» البنان، الَّتي أشار إليها قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤]، ومثله الاختلاف في الصورة، فكل واحد له صورته المستقلة المتميزة، مهما يكن شبهه بغيره.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفي القرآن بضعة وأربعون مثلًا، وكان بعض السلف يبكي على نفسه إذا مرَّ بمثل من القرآن ولم يفهم مغزاه، ويقول: قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ فأنا لستُ من العالمين! فالعالمون هنا هم: الَّذين

QaradawiBooks.com

يعقلون الحكمة من وراء ضرب الأمثال للناس، فهم الَّذين يغوصون في الأعماق ولا يقفون عند السطوح.

ويقول تعالـى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

فالعلماء هنا ـ كما يبدو من السياق ـ ليسوا هم علماء الدين، وفقهاء الشَّريعة، ـ على فضلهم ومكانتهم ـ وإنَّما هم الَّذين يعرفون آيات الله، ويكتشفون سننه في خلقه، فيما ذكر من السماء، والنبات والجبال، والناس، والدواب، والأنعام، أي الَّذين يعرفون عظمة الله من خلال معرفتهم بعلوم الإنسان، وعلوم الحياة من نبات وحيوان وأرض، ومن خلال هذه المعرفة الحقيقيَّة يخشون الله، إذ لا يخشى الله ويخاف مقامه حقًّا إلَّا من عرفه سبحانه.

وقال تعالـى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

فتفصيل الآيات هنا إنَّما ينتفع به الَّذين يعلمون أسرار الله في الظواهر الكونيَّة، من جعل الشمس ضياء، فيها النور والحرارة، والقمر نورًا؛ لأنَّه يستمدُّ نورَه من الشمس، ومن تقدير القمر منازل لمعرفة عدد السنين والحساب.

وقال تعالى في قصَّة الرهط التسعة من ثمود: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٠ ـ ٥٢].

QaradawiBooks.com

فالَّذين يعلمون هنا هـم: الَّذين يعرفون سُـنَن الله تبارك وتعالى في التعامل مع المُكَذِّبين والظالمين، وأنَّ مكـره تعالى أعظم من مكرهم، وكيده أقـوى من كيدهـم، وأنَّه يُمْهـل ولا يُهْمل، وأنَّـه يأخذهم وهم لا يشعرون، وما ربُّك بغافلٍ عمَّا يعملون.

وفي كثيـرٍ من الآيات يأتـي العلم فيهـا بمعنى المعرفـة الواعية، والإدراك الراشد للأمور، فهو ضدُّ الجهل والغباء بصفة عامَّة، لا بمعنى تحصيـل علم مُعَيَّن من علـوم الدِّين أو الدُّنيا، وهذا فـي الحقيقة أكثر ما جاء في القرآن بصيغة «يعلمون» أو «تعلمون» مُثْبَتة أو مَنْفِيَّة.

خذْ مثلًا قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فالذين يعلمون تفصيل الآيات هنا: هم أولو المعرفة الراشدة، الَّذين يميزون بيـن ما يعلم بطريق الحس، وما يعلم بطريـق العقل، وما يعلم بطريق الشـرع، فيأخذون كلَّ علم من طريقـه المخصوص به، وهم هنا يعلمون أنَّ ما حرمـه الله على عبـاده لا يعرف إلَّا مـن طريق الوحي، فلا يفترون على الله الكذب ويقولون: هذا حلالٌ وهذا حرامٌ بغير برهان من الله.

وقد جاءت هذه الآية في سـياق نَعْيِ القرآن على أهل الجاهليَّة، دعاواهم علـى الله بغير الحق، أنَّـه أمر بكذا أو حرم كـذا، من غير سـلطان أتاهم، فقبل ذلك بآيات قـال تعالى: ﴿ **وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٨].

QaradawiBooks.com

وفي سورة الأنعام مناقشة تفصيلية للذين حرموا أنواعًا من الأنعام بغير برهان من الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣ ـ ١٤٤].

ومثل ذلك قوله بعد ذكر بعض أحكام الأسرة: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

فالمراد هنا: أنَّهم يعلمون بما لديهم من فقه ورشد: أنَّ الله لا يشرع إلَّا ما فيه الخير والصلاح لهم، فهم أهلُ علمٍ ووَعْي، لا أهل جهالة وبلادة.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

فليس المراد هنا أنَّهم يعلمون علمًا معينًا من علوم النقل أو العقل، بل المراد أنَّهم ليسوا من أهل الجهل والغباء.

وهذا ما نجده أيضًا في حالات نفي العلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

فليس المقصود نفي علم معين عنهم من علوم الشرع أو الكون، بل المقصود نفي العلم من حيث هو، أي أنَّهم ليسوا بأهل علم ومعرفة.

ونحوه قوله تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

QaradawiBooks.com

ومثله في سورة أخرى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

فالناظر في هذه الآيات وما شابهها، يتبين: أنَّها لا تنفي علمًا معينًا من علوم الدِّين أو الدُّنيا، إنَّما تنفي العلم من حيث هو، فهؤلاء ليسوا من أهل العلم الَّذين يقام لهم وزن أو يحسب لهم حساب، بل هم من أهل الجهل الَّذين لا يعلمون، وكفى بالجهل وصمة وعارًا.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

فقد يكون المراد نفي العلم عنهم ودمغهم بالجهل المطلق، أو نفي العلم بهذه القضيَّة المتحدث عنها، فهم لا يعلمون أنَّ العزة لله جميعًا، لأنَّه الخالق، ومالك الملك، وصاحب الأمر، ومن بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يُجار عليه، وأنَّ العزة لرسوله، فهو الَّذي أرسله بالهُدى ودِينِ الحقِّ، فهو يتكلَّم باسم الله، وينفذ أمر الله، ويبلغ رسالة الله، ومعه المؤمنون، فعِزَّتهم من عِزَّة الله، وحبلُهم موصول بحبله، وقوتهم مستمدة من قوته، فلا يملك أحد أنْ يذلَّ نفوسهم، أو يحني رؤوسهم، وهم منسوبون إلى القويِّ العزيز.

## أكثر النَّاس لا يعلمون:

ولقد حكم القرآن في آيات كثيرة على أكثريَّة البشر بأنَّهم ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ بمعنى: أنَّهم ينقصهم العلم الحقيقي بهذه القضايا المهمَّة الَّتي يتحدث عنها،

QaradawiBooks.com

ونعني بالعلم الحقيقي: الإدراك الواعي الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل، وهو أمر مؤسف حقًّا، مع أنَّ الله تعالى نصب الأدلَّة لعباده، من الكون المنظور، ومن الوحي المسطور، لكي يعلموا ويعرفوا، فما لهم لا يعلمون.

وإنما قلنا: الإدراك الجازم، لأن ما ليس بجازم لا يكون علمًا، بل ظنًّا إذا كان راجحًا، ووهمًا إذا كان مرجوحًا، وشكا إذا استوى الطرفان، ولهذا قابل القرآن بين العلم والظن في قوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ووصفنا الإدراك الجازم بـ «المطابق للواقع»؛ لأنَّ غير المطابق ليس علمًا، بل هو جهل وغباء. وكذلك قلنا: الناشئ عن دليل، لأن ما ليس كذلك ليس علمًا، بل هو تقليد، بمعنى اعتماد قول الغير بلا حُجَّة، وقد أجمعوا على أنَّ التقليد ليس بعلم.

ولو أردنا أن نتتبَّع هذه الصيغة في القرآن: ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أو ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أو ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ونحوها، لاتسع بنا المجال، وطال بنا المقال.

### العلم عند سلف الأُمَّة:

والعلم عند سلف الأمة يشمل علوم الشرع، وعلوم العقل، وعلوم اللسان، أو قل: هو يشمل علم الدين وعلم الدنيا.

قال الإمام أبو عمر ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الشهير «جامع بيان العلم»: حدُّ العلم عند العلماء والمُتكلِّمين في هذا المعنى هو ما استيقنتُه وتبيَّنتُه، وكلُّ من استيقن شيئًا وتبيَّنه فقد علمه، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء، وقال به تقليدًا، فلم يعلمه.

QaradawiBooks.com

والتقليد عند العلماء غير الاتِّباع؛ لأنَّ الاتِّباع هو أن تتَّبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحَّة مذهبه.

والتقليد أن تقول بقوله، وأنت لا تعرف وجه القول ولا معناه، وتأبى من سواه، أو أنْ يتبيَّن لك خطؤه، فتتبعه مهابة خلافه، وأنت قد بان لك فسادُ قوله، وهذا مُحَرَّمٌ القولُ به في دِينِ الله سبحانه وتعالى.

والعلم عند غير أهل اللسان العربي ـ فيما ذكروا ـ يجوز أنْ يُتَرْجَم باللسان العربي علمًا، ويُتَرْجم معرفة، ويُتَرْجم فهمًا.

**والعلوم تنقسم قِسْمَيْن: ضروري، ومُكْتَسَب.**

**فحدُّ الضروري**: ما لا يمكن العالم أن يُشَكِّك فيه نفسه، ولا يدخل فيه على نفسه شبهة، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر، ويدرك ذلك من جهة الحسِّ والعقل، كالعلم باستحالة كون الشيء مُتَحَرِّكًا ساكنًا، أو قائمًا قاعدًا، أو مريضًا صحيحًا في حالٍ واحدة.

**ومن الضروري** أيضًا وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواسِّ الخمس، كذوق الشيء يعلم به المرارة من الحلاوة ضرورة، إذا سلمت الجارحة من آفةٍ، وكرؤية الشيء يُعْلَم بها الألوان والأجسام، وكذلك السمع يُدْرَك به الأصوات.

**ومن الضروري** أيضًا علم النَّاس أنَّ في الدُّنْيا مكَّة والهند ومصر والصين وبلدانا قد عرفوها، وأممًا قد خلت.

**وأمَّا العلم المكتسب**، فهو ما كان طريقه الاستدلال والنظر، ومنه الخفيُّ والجليُّ، فما قرب منه من العلوم الضروريَّة كان أجلى، وما بعد منها كان أخفى.

QaradawiBooks.com

**والمعلومات على ضربَيْن: شاهد، وغائب.**

فالشاهد ما علم ضرورة، والغائب ما علم بدلالة من الشاهد، والعلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة: علم أعلى، وعلم أسفل، وعلم أوسط.

فالعلم الأسفل هو: تدريب الجوارح في الأعمال والطاعات، كالفروسيَّة والسباحة والخياطة، وما أشبه ذلك، من الأعمال الَّتي هي أكثر من أن يجمعها كتابٌ أو يأتي عليها وصف.

والعلم الأعلى عندهم: علم الدِّين الَّذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزل الله في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين نصًّا ومعنًى، ونحن على يقين ممَّا جاء نبيُّنا ﷺ عن ربِّه ﷻ، وسَنَّه لأُمَّتِه من حكمته، فالَّذي جاء به هو القرآن هدى للنَّاس وبيِّنات من الهدى والفرقان، شفاء ورحمة للمؤمنين، آتاه الله الحكم والنبوَّة؛ فكان ذلك يُتْلَى في بيوته. قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

يريد: القرآن والسُّنَّة، ولسنا على يقين ممَّا يدَّعيه اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل؛ لأنَّ الله قد أخبرنا في كتابه عنهم أنَّهم ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]. فكيف يُؤمَن من خان الله، وكذب عليه وجحد واستكبر؟! قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقد اكتفينا والحمد لله بما أنزل الله على نبيِّنا ﷺ من القرآن، وما سنَّه لنا عليه السلام.

قال أبو عمر: «من الواجب على من لا يعرف اللسان الَّذي نزل به

QaradawiBooks.com

القرآن، وهي لُغَـة النبـيِّ ﷺ أنْ يأخذ من علم ذلـك ما يكتفي به، ولا يستغني عنه حتَّى يعرف تصاريف القول وفحواه، وظاهره ومعناه، وذلك قريبٌ على من أحـبَّ علمه وتعلُّمه، وهو عـونٌ له على علم الدِّين الَّـذي هو أرفع العلـوم وأعلاها، به يُطاع الله ويعبد، ويشـكر ويحمد؛ فمن علم من القـرآن ما به الحاجة إليه، وعرف من السُّـنَّة ما يعول عليه، ووقف من مذاهب الفقهـاء على ما نزعوا به وانتزعوه من كتاب ربِّهم وسُـنَّة نبيهم، حصل على علم الديانة، وكان على أُمَّة نبيِّه مؤتمنًـا حقَّ الأمانة، إذا اتَّقـى الله فيما علمه، ولـم تمل به دُنْيا شـهوته، أو هوى يرديه، فهذا عندنا العلم الأعلى الَّذي نحظى به في الآخرة والأولى.

**والعلم الأوسط هو**: معرفة علوم الدُّنْيا الَّتي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره، ويستدلُّ عليه بجنسه ونوعه، كعلم الطبِّ والهندسة»(١).

ومن هنا ذهب الإمام أبو حامد الغزالي، وغيره من علماء الأُمَّة، إلى أنَّ كلَّ علم به قِوَام الدِّيـن أو الدُّنيا، فإنَّ تعلُّمه وإتقانه فرض كفاية على الأُمَّة مثل الطبِّ والهندسة وغيرهما.

فإذا قام في الأُمَّة عددٌ كافٍ يُلَبِّي مطالبها، ويسدُّ حاجتها، ويُغْنِيها أنْ تكون كَلًّا على غيرها في النواحي المدنيَّة والعسـكريَّة، فقد سقط الإثم والحرج عن سائر الأُمَّة، وإن لم يقم هذا العدد الكافي في كل اختصاص تحتاج إليه، فالأُمَّة كلُّها آثمة، لتضييعها هذه الفريضة الجماعيَّة، الواجبة عليها بالتضامن، على تفاوتٍ في مستوى المسؤوليَّة، فمسؤوليَّة الجاهل

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/٧٨٧ ـ ٧٨٩)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، نشر السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

ليست كمسؤوليَّة العالم، ومسؤوليَّة ذوي الشأن وأولي الأمر، ليست كمسؤوليَّة غيرهم من المغمورين.

بل ذهب الغزالي وغيره إلى أنَّ تعلُّم أصول الصناعات المختلفة فرض على الأُمَّة، من الحدادة والنجارة والنسيج والخياطة، وغيرها من كل ما لا يستغني عنه المجتمع المدني[١].

وفي عصرنا تدخل كلُّ الصناعات «التكنولوجيَّة» الَّتي طوَّرت بها الحضارة المعاصرة الحياة تطويرًا هائلًا، فطوى الإنسان المكان، واختصر الزمان، ووفر جهد الإنسان، وغدونا نتحدث عن ثورة «التكنولوجيا» وثورة «البيولوجيا» وثورة «الاتِّصالات»، وثورة «المعلومات» وغيرها من الثورات الَّتي غيَّرت وجه الحياة، ويجب على أُمَّة الإسلام أن يكون لها دورها في هذه الثورات، وألا تقف مُتَفَرِّجة والعالم يعمل ويتحرَّك، ودينها يوجب عليها أن تكون في مُقَدِّمة القافلة، لا في ذيلها.

وقد أشار القرآن إلى صناعاتٍ شتَّى، مثل صناعة الحديد في الجانب العسكري، والجانب المدني، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فقوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يشير إلى الصناعات الحربية، وقوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ يشير إلى الصناعات المدنيَّة، وقد علَّم الله نبيَّه داوود صناعة الدروع: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١]، ومثل ذلك: الصناعات الغذائيَّة كما في قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧].

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١٦/١).

QaradawiBooks.com

ومنها: الصناعات المُتَّخَذة من الأنعام: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

ومنها: صناعات التجميل والزينة: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد: ١٧]. ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

ومنها: صناعة السفن، وقد أجادها نوح عليه السلام: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]. ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨].

ومنها: صنعة البناء، وقد تعلَّمها إبراهيم وابنه إسماعيل، وهما اللذان بنيا أوَّل بيتٍ وُضِعَ للنَّاس: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومنها: صناعة السدود العظيمة كما فعل ذو القَرْنَيْن: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦].

والقِطْر: هو النُّحاس المُذابُ، وهو إذا أضيف إلى الحديد زاده صلابةً وقوَّة.

ومنها: الصناعات الَّتي عملها الجنُّ لسُليمان: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]. ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧].

وعمل الجن لها لا يعني أنَّ بني الإنسان لا يقدرون عليها، ففي قصَّة سليمان رأينا بعض النَّاس ممَّن عنده علم من الكتاب يقدر على ما لم يقدر عليه العِفْريت من الجنِّ، إلى غير ذلك من الصناعات الَّتي أشار إليها القرآن.

QaradawiBooks.com

## تكوين العقليَّة العِلْميَّة في القرآن:

ومن أعظم ما عُنِيَ به القرآن في مجالنا: هو تكوين «العقليَّة العِلْميَّة» فهناك ما يمكن أن نطلق عليه «العقليَّة العامِّيَّة» أو «العقليَّة الخُرَافِيَّة»، وهي الَّتي تُصَدِّق كلَّ ما يُقال لها أو يعرض عليها، ولا تضعه موضع امتحان، بل تأخذه قضيَّة مُسَلَّمة، ولا سيَّما إذا جاء من قبل من تعظمه، مثل الأجداد والآباء، أو السادة والكبراء، فتقول: إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. أو وجدنا سادتنا على ذلك يسيرون.

وفي مقابل هذه العقليَّة المُتَّبعة، توجد عقليَّة أخرى مخالفة، لها مواصفاتها وخصائصها، وهي الَّتي عمل القرآن بآياته المُشَرِّعة والمُوَجِّهة على إنشائها، وصياغتها، وإبرازها لتقوم بدورها في الحياة.

ومن المُقَرَّر المعلوم: أنَّه لا يمكن أن يزدهر العلم، وتتأصَّل جذوره، وتمتدَّ فروعه، بل لا يمكن أن ينشأ علمٌ صحيح إلَّا في مناخ نفسيٍّ وفِكْرِيٍّ يُهَيِّئ للعقول أن تُفَكِّر، وللأفكار أن تتفتح، وللآراء أن تناقش، ولصاحب الحُجَّة أن يُدْلِي بحُجَّتِه، وهذا ما يعمل القرآن على إيجاده في الحياة الإسلاميَّة، وبعبارة أخرى: يعمل القرآن بدعوته القوية، وبتوجيهاته المتكررة على تكوين «العقليَّة العِلْميَّة» المتحررة، الَّتي لا ينهض علم إلَّا على عاتقها، فهو يرفض «العقليَّة الخُرافيَّة»، ويرفض «العقليَّة المُقَلِّدة» ويرفض «العقليَّة المُتَخَرِّصة» ويرفض «العقليَّة المُتَّبعة للهوى».

أمَّا كيف يُكَوِّن القرآن بتعاليمه هذه العقليَّة العِلْميَّة، فهذا ما نُوَضِّحه في هذه الصحائف، ومن قرأ القرآن وتدبَّره بحقٍّ، وجد مُقَوِّمات هذه العقليَّة مُجَسَّمة فيه.

QaradawiBooks.com

## ١ ـ رفض الظنِّ في موضع اليقين:

وأوَّل ما توصف به هذه العقليَّة كما بيَّن القرآن: أنَّها ترفض الظنَّ في كلِّ موضع يطلب فيه اليقين، كما في مقام تأسيس العقائد الَّتي تقوم عليها نظرة الإنسان إلى الوجود، أعني: إلى الله والكون والإنسان والحياة ـ فهذه القضايا الكبرى لا يكفي فيها الظن، بل لا بدَّ فيها من العلم، أي العلم اليقيني ـ قد يكفي الظنُّ في قضايا الفروع والجزئيَّات، الَّتي تقوم عليها تعاملات النَّاس بعضهم ببعض، ولهذا تُقبَل شهادة الشهود مع احتمال الخطأ والكذب، ويُقبَل حديث الواحد، مع احتمال ذلك، أمَّا في القضايا الكُلِّيَّة الكبرى، فلا يُستغنى فيها عن اليقين.

ومن هنا أنكر القرآن على المشركين اتِّباعهم الظنَّ في هذه القضايا، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وفي سورة أخرى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]. ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقال في شأن المشركين عمومًا ودعوتهم للأصنام من دون الله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].

بل جعل القرآن اتِّباع الظنِّ والخَرْص وراء ضلال أكثريَّة أهل الأرض

QaradawiBooks.com

وإضلالهم عن سبيل الله، يقول تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وحقيقة الخرص ـ كما قال الراغب في «مفردات القرآن» ـ: إنَّ كلَّ قول مقول عن ظن وتخمين يقال: خرص، سواء أكان مطابقًا للشيء أو مخالفًا له، من حيث إنَّ صاحبه لم يَقُلْه عن علمٍ ولا غلبة ظنٍّ ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظنِّ والتخمين، كفعل الخارص في خَرْصه، وكل من قال قولًا على هذا النحو قد يُسَمَّى كاذبًا، وإن كان قوله مطابقًا للمقول المُخْبَر عنه(١).

ويقول القرآن عن أهل الكتاب: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

ويقول عن المشركين وعلاقتهم بالآخرة وقيام الساعة: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

## ٢ ـ عدم اتِّباع الأهواء والعواطف في مجال العلم:

ولا ترفض العقليَّة العِلْميَّة الظنَّ فقط، بل ترفض الهوى والعاطفة أيضًا، فالهوى يُعمِي ويُصِمُّ، واتِّباع العواطف قد يُضَلّل الإنسان عن الحقّ، وخصوصًا العواطف الهوج، مثل الحبِّ الشديد، والكُرْه الشديد، والغضب الشديد.

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني مادة (خ. ر. ص).

QaradawiBooks.com

ولا غرو أن جاء في الحديث الصحيح: «**لا يقضي القاضي وهو غضْبانُ**»(١)، لأنَّ انفعال الغضب يسدُّ عليه منافذ الإدراك الصحيح لجوانب القضيَّة المختلفة، فيظهر حكمه غير سليم.

ولهذا عاب القرآن على المشركين هذين الأمرين: اتِّباع الظنِّ وهوى الأنفس معًا، فقال في شأن أصنامهم الَّتي اتَّخذوها آلهة (اللات، والعُزَّى، ومناة الثالثة الأخرى): ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وقال الله تعالى لداود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال في خطاب رسوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى في ذمِّ اتِّباع الهوى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]. وفي سورة أخرى يقول: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

ولأجل ذلك قال ابن عبَّاس: «شرُّ إلهٍ عُبِد في الأرض: الهوى»(٢)!

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٨)، ومسلم في الأقضية (١٧١٧)، عن أبي بكرة. بلفظ: «لا يقضين حكم...».

(٢) انظر: المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.

QaradawiBooks.com

فالعقليَّة العِلْميَّة هــي الَّتي تُنَحِّي الأهــواء والانفعالات والعواطف جانبًا، وتنظر إلى الأمر نظرة موضوعيَّة محايدة.

## ٣ ـ رفض التقليد الأعمى للآباء والأسلاف:

والعقليَّة العِلْميَّة في نظر القرآن: هي الَّتي ترفض الجمود على ما كان عليه الآباء والأجداد، أو التســليم المُطْلق لما عليه السَّلَف المُعَظَّمون، ولا تقبل أن تُقَلِّد هؤلاء أو أولئك فيمــا اعتقدوه أو فعلوه، بل لا بدَّ من وضعه موضع الاختبار، والنظر إليه في ضوء العقل، وبميزانه المستقلِّ، فليس مــن المعقول أن يفكــر لنا الأمــوات ونحن أحيــاء، وأن يلزمنا الأقدمون بنتائج عصور مضت، إنَّما نحن ملزمون بما تهدي إليه عقولنا، وما ينتهي إليه تفكيرنا.

فإن من الخطــل والخطر أن نفكر برؤوس غيرنــا، وقد خلق الله لنا رؤوسًا خاصَّة بنا! ولهذا شــن القرآن حملة عنيفة على الجمود والتقليد في كل صوره، ففي سورة البقرة يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠، ١٧١].

وفي سورة المائدة يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

ففي ســورة البقرة بين أنَّهم ينقصهم العقل، وهنا بين أنَّهم ينقصهم العلم، وفي كلتا الحالتين بيَّن أنَّهم ينقصهم الاهتداء إلى الصواب.

QaradawiBooks.com

وفي سورة هود يقول تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].

وفي سورة الزخرف يقول تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢ ـ ٢٤].

فبيَّن الله تعالى أن هذا هو موقف المترفين من أهل الشرك من قديم: الاتكاء على ما كان عليه الآباء.

وكذلك ذكر القرآن الكريم في جملة سور هذا الجمود المقلد، أو التقليد الجامد، من الأبناء للآباء.

ففي قصَّة هود بعد دعوته البليغة وحواره القوي، نقرأ: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وفي قصَّة إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٢ ـ ٥٤].

وفي قصَّة شعيب: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧].

وفي قصص الرسل عامَّة مع أقوامهم يقول الله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

QaradawiBooks.com

يعنون بالسلطان المبين: الآيات الكونيَّة الخارقة، وكلها تعلات فارغة، فقد جاءت الرسل من قبل بهذه الآيات فكذبوا بها، كما فعلوا مع صالح وغيره.

يقول العلَّامة ابن الجوزي: في التقليد إبطال منفعة العقل، فقد خلق للتدبر والتأمل، وقبيح بمن أعطي شمعة أن يطفئها ويمشي في الظلمة(١)!

**٤ ـ رفض التبعية للسادة والكبراء:**

ولم تَقَفْ حملة القرآن على الجمود العقلي الَّذي يتمثَّل في تقليد الأبناء للآباء، والأحفاد للأجداد، بل شمل الجمود الَّذي يتمثَّل في تبعيَّة الشعوب والجماهير للسادة والكبراء والجبابرة وأصحاب السلطان والثراء.

لقد ذمَّ القرآن هذه التبعيَّة العمياء، وحمل الشعوب وِزْرَها، مع المتبوعين من أئمَّة أهل النار.

يقول القرآن على لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

وقال في قصَّة هود وقومه عاد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

وقال في قصَّة موسى وفرعون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦، ٩٧].

(١) تلبيس إبليس صـ ٧٤.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقــال في ســورة أخــرى: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤].

وقد عرض القرآن لنا من مشاهد الآخرة ما يجسد لنا تلاوم المتبوعين والأتباع يوم القيامة، وتبرُّؤ بعضهم مــن بعض، ومحاولة كلِّ فريقٍ إلقاء التَّبِعَة على الآخر.

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۞ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

QaradawiBooks.com

وهنا حمَّل القرآن الأتباع تبعة ضلالهم، فقد منحهم الله من المواهب والقدرات والآلات ما يمكنهم من اتِّباع الهدى، فعطَّلوا ذلك، وساروا في ركاب المُضِلِّين، فما أغْنَوْا عنهم من الله شيئًا.

صحيح أنَّ المتبوعين المضلين يحملون من الأوزار أكثر من الأتباع، لأنَّهم يحملون وزر الضلال، ووزر الإضلال، كما قال تعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥].

﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ ﴾ [العنكبوت: ١٣].

ولكن هذا لا ينقص من أوزار الأتباع الَّذين ألغوا عقولهم، وداروا في فلك المضلين.

## ٥ ـ التعبد بالنظر العقلي:

ومن مقومات هذه العقليَّة العِلْميَّة الَّتي ينشئها القرآن: أنَّها عقليَّة تقوم على النظر والتفكُّر، فالنظر عندها فريضة، والتفكُّر لديها عبادة.

والقرآن حافل بالآيات الَّتي تحضُّ على النظر، وتدعو إلى التفكُّر، بأساليب شتَّى، وصور مُتَنَوِّعة.

**والمراد بالنظر**: النظر العقلي، وهو الَّذي يستخدم الإنسان فيه فكره في التأمل والاعتبار، بخلاف النظر البصري، فهو الَّذي يستخدم الإنسان فيه عينه.

قال الإمام الراغب: «النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرؤية، يقال: نظرت فلم تنظر: أي لم تتأمل ولم تتروَّ.

QaradawiBooks.com

فعلى الإنسان أن يبدأ بالنظر في نفسه أولا، ثمَّ في أقرب الأشياء إليه، يقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٨].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

ثُمَّ ينتقل بنظره إلى ما حوله متأملًا متدبرًا معتبرًا، لينتقل من المصنوع إلى الصانع، ومن الأثر إلى المُؤَثِّر، ومن الكون إلى المُكوِّن.

يقول القرآن: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦ ـ ٨].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. فالنظر هنا عامٌّ شامل، يشمل كل ما خلق الله، من الذَّرَّة إلى المَجَرَّة.

ومن داخل النفس إلى آفاق الكون الفسيح، الَّذي لا يعلم سعته إلَّا خالقه: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

QaradawiBooks.com

وأحيانًا يأمر القرآن بالسير في الأرض للنظر في آيات الله في الكون، وفي الحياة، وفي التاريخ: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩].

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

وقد تكرَّر هذا المعنى في القرآن عدَّة مرات: الحثُّ على السير في الأرض والنظر في سيرة الأوَّلين ومسيرتهم، وكيف نفذت فيهم سنن الله الَّتي لا تتخلَّف، رغم ما كان لديهم من كثرة العَدد، وقوَّة العُدد.

المهمُّ أن يمرُّوا على آثار القوم وما خلفوه وراءهم بعقولٍ تُفكِّر، لا بمُجرَّد أعين تُبْصِر، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

QaradawiBooks.com

وبهذا شمل هذا النظر العقلي كل ما يقبل النظر: الإنسان نفسه وما حوله من نبات: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق: ١٠]. وحيوان، وخصوصًا: ﴿ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية: ١٧]. وجماد: ﴿ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: ٢٠]. و﴿ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾ [الغاشية: ١٨]. وكل ما في العالم علويه وسفليه بهذا الشمول الَّذي نبهت عليه الآية: ﴿فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ولم يكن النظر مقصورًا على الأشياء، بل تعداها إلى الأحداث والسُّنَن الَّتي تدلُّ عليها، مثل: سنن الله في عقوبات المكذبين، وفي تغيير ما بالناس من نعم إذا غيَّروا ما بأنفسهم من خير، وسنته في سقوط الأمم رغم عمارتها للأرض وكثرة أعدادها.

ومثل النظر العقلي: الرؤية العقليَّة، فقد حث القرآن في آياتٍ كثيرةٍ على هذه الرؤية الَّتي يقصد بها رؤية العقل لا رؤية العين، وهي رؤية تشمل كلَّ المخلوقات في الأرض أو في السماء ممَّا يبين عظمة خالقها، وروعة تدبيره، وبالغ حكمته، وسابغ نعمه على عباده، كما تشمل الوقائع والأحداث، الَّتي تبرز قدرة الله تعالى وهيمنته على الكون وحده، كما تبرز عدالته وأنَّه يُمْلِي ويُمْهِل، ولكنَّه لا يغفل ولا يهمل.

تقرأ مثل هذه الآيات: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ۝ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

QaradawiBooks.com

وينتقل من الطير والأنعــام، إلى الأرض ومياههــا ونباتاتها وعلاقة السماء بها، والظواهر المُتَعلِّقة بها من الليل والنهار، يقول سبحانه:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

والخطاب في مثل هذه الصيغة: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ للنبيِّ ﷺ، ولكلِّ مُكلَّف في الأُمَّة:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٩].

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

QaradawiBooks.com

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [سبأ: ٩].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٨].

وتشمل هذه الرؤية تاريخ القرون الماضية، وصنع الله في أهلها، من الطغاة والمتجبرين، الَّذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، وطغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦].

لم يغنِ هؤلاء ما أنشؤوا من عمارة شاهقة، وما أبدعوا من آثار مادية، فقد شادوا البنيان، وخرَّبوا الإنسان، وأصلحوا الأرض، وأفسدوا البشر، وعُنوا بالطين ونسوا الدين، وعاشوا للدنيا وأغفلوا الآخرة، فلم تغنِ عنهم دنياهم من الله شيئًا: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۞ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۞ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].

بهذا حكم القرآن على الحضارات الماديَّة المحضة أنَّها غير قابلة للبقاء والاستمرار، وأنَّ عاقبتها إلى دمارٍ وتبار.

### ٦ ـ لا تقبل دعوى بغير برهان:

ومن معالم العقليَّة العِلْميَّة في القرآن: أنَّها لا تقبل أيَّ دعوى تُدَّعى

QaradawiBooks.com

بغير برهان علمي، يشهد لها، ويدلُّ على صِحَّتها وصدقها، وما لم يوجد دليلٌ يثبت الدعوى أو القضيَّة المطروحة، فهي في نظر العقل المسلم مرفوضة ساقطة.

غير مرخصة للطباعة

وهذه الرؤية الَّتي دعا إليها القرآن شملت العالم العلوي كالعالم السفلي: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩].

وهذه الرؤية ينبغي أن تشمل النظر فيما خصَّهم الله به من نعم لا تتوافر لغيرهم، وهذا خطاب لأهل مكَّة خاصَّة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وممَّا تشمل هذه الرؤية آثار فعل الله في النَّاس والمجتمعات، من بسطٍ وقبض، ورفع وخفض، وإعزازٍ وإذلال، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤].

ومعنى نقص أطراف الأرض: أنَّ الله يُديل من دولةٍ لأخرى، ويأخذ من الدولة الكبيرة لحساب دولة صغيرة، وتلك الأيام نداولها بين النَّاس.

QaradawiBooks.com

لقد رفض القرآن ما شــاع لدى كثير من أرباب الديانات السابقة من قبول الدعاوى العريضة، والمعتقدات الموروثــة، دون برهان يدلُّ على صحتهــا، ولم يرضَ بمســلك الَّذين قالــوا: «اعتقدْ وأنــت أعمى!» أو «أغمِضْ عينيْك ثمَّ اتْبَعْني!».

إنَّ كلَّ مؤمن بعقيدة مطالب بإقامة البرهان على صدقها، أو التسليم لمن يدعوه إلى عقيدةٍ غيرها، يؤيِّدها الدليل والحُجَّة.

وبهذا قرر القــرآن هذه القاعدة الجليلة الكبيــرة: «أنْ لا دعوى بغير برهان»! نقرأ في ذلك حديث القرآن عــن دعاوى أهل الكتاب، وتعقيبه عليها: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُوا۟ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ونقرأ كذلك حديثه مع المشــركين الَّذين عبدوا مع الله آلهة أخرى، وحواره معهم في قضيَّة الوحدانيَّة: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُا۟ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُوا۟ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

وفي سورة أخرى يقول: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُوا۟ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٍ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

وفي قضيَّة التحريم والتحليل، الَّتي تجاوزوا فيها حدودهم، فحرموا وحللوا بالهوى، أو بالوهم والظنِّ، أو بمجرد التقليد الأعمى، يناقشــهم القرآن: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

QaradawiBooks.com

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فأبطل بذلك دعوى الجبريَّة، الَّذين يزعمون أنَّ ما هم فيه من ضلال الشرك وتحريم الحلال، إنَّما هو بمشيئة الله تعالى، يقصدون: المشيئة المُلْجِئة لهم، الَّتي لا يملكون معها اختيارًا ولا إرادة، وكذبوا، ما لهم على هذا من دليلٍ، فإن كان لديهم علم فليخرجوه.

وفي قضيَّة ادِّعاء البنوَّة لله، وأنَّه سبحانه اتَّخذ ولدًا من الملائكة ـ الَّذين زعموا أنَّهم بنات الله! ـ أو من البشر، مثل المسيح الَّذي قال النصارى فيه: ابن الله، ومثل عزير الَّذي قال اليهود فيه: ابن الله، نقرأ: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٦٨].

يعني: ما عندكم من حُجَّة تؤيِّدكم فيما قلتم، إن هو إلَّا قولٌ على الله بلا علم.

## ٧ ـ رعاية سنن الله في الكون والمجتمع:

ومن معالم «العقليَّة العِلْميَّة» الَّتي يُنشئها القرآن: احترام السنن والقوانين الَّتي أقام الله عليها نظام الكون، ونظام المجتمع، وهي سنن وقوانين لها صفة العموم والشمول، فهي تحكم على النَّاس جميعًا، أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، حاضرهم وباديهم، قويِّهم وضعيفهم، مؤمنهم وكافرهم، لا تُحابي أحدًا، ولا تتحامى أحدًا، الكلُّ في ميزانها سواء.

QaradawiBooks.com

كمـــا أنَّ لها صفة الثبات والـــدوام، فهي لا تتغيَّـــر ولا تتبدَّل، وهي تجري على الآخريـــن كما جرت على الأوَّلين، وتعمل في عصر ســـفن الفضاء، عملها في عصر الجمل سفينة الصحراء.

يقول الله تعالـــى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقد ذكر القرآن كلمة «سُنَن» مجموعة منكرة، كما في هذه الآية، كما وردت مفردة ومعرفة بالإضافة كما في الآيات الأخرى. اقرأْ في ذلك هذه الآيات من القرآن المكي: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۞ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣].

واقرأ في القـــرآن المدنـــي: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

كان هذا تعقيبًـــا على قصَّة زينب بنت جحـــش وطلاقها من زَيْد بن حارثة متبنَّى الرسول ﷺ، وتُحْرِجه من ذلك، حتَّى لا يقال: تزوَّج مُحمَّد امرأة ابنه!

وفـــي نفـــس الســـورة: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۞

QaradawiBooks.com

﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠ ـ ٦٢].

وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٢، ٢٣].

والملاحظ أنَّ هذه الآيات كلَّها ـ مكِّيَّة ومدنيَّة ـ أكدت ثبات السنن واطِّرادها ودوامها، كما أنَّها جميعًا تتحدَّث عن السنن الاجتماعيَّة.

أعني: سنن الله في الاجتماع البشرى: في النصر والهزيمة، والنجاة والهلاك، والبقاء والزوال، والنهوض والسقوط.

ومن أجل ذلك أنكر القرآن «السِّحْر» واعتبره من عمل الشياطين، ومن أساليب الكفرة، واعتبره كفرًا، أو قريبًا من الكفر، وعَدَّ تعلمه ممَّا يضر ولا ينفع، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والرسول ﷺ أكد وجوب رعاية سنن الله تعالى، بقوله وعمله وتقريره، كما هو واضحٌ في سُنَّته وسِيرته عليه الصلاة والسلام.

حينما كسفت الشمس يوم مات ابنه إبراهيم، قال الناس: كسفت

QaradawiBooks.com

الشمس لموت إبراهيم، وقد كان شائعًا في اعتقادهم أنَّ الشمس لا تكسف، والقمر لا يخسف، إلَّا لموت عظيم في النَّاس، ولو كان ﷺ ممَّن يسكت على باطل، لسكت على هذا القول، الَّذي يضفي على أسرته هالة من العظمة والقُدْسِيَّة الزائفة، ولكنَّه أنكر ذلك ورفضه جهرة، وخطب في النَّاس قائلًا: «**إنَّ الشَّمْسَ والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادْعُوا الله وكَبِّروا، وصَلُّوا وتصدَّقوا**»[1].

وقد أنكر ﷺ كلَّ ما لا يقوم على السنن الطبيعيَّة والاجتماعيَّة في أمور الحياة والرزق والطبِّ والتداوي والعلاقات المختلفة.

ومن هنا أكَّد تحريم السحر، وجعله من الكبائر أو «المُوبِقات»، أي المُهْلِكات الَّتي يجب تحذير الأُمَّة منها، فقال: «**اجتنبوا السَّبْعَ المُوبِقَات: الشِّرْك بالله تعالى، والسِّحْر، وقتل النفس...**» الحديث[2].

وأنكر كذلك «التنجيم» الَّذي يقوم على التنبؤ بالغيبيَّات والمستقبليَّات، وربط ذلك بالنجوم، وحركاتها فيما زعموا، وهو الَّذي قيل فيه: كذب المُنَجِّمون ولو صدقوا، وهو غير علم الفلك الَّذي يقوم على أساس من المشاهدة والحسابات الرياضيَّة.

يقول الرسول الكريم: «**من اقتبس علمًا من النجوم، فقد اقتبس شُعْبة من السِّحْر، زاد ما زاد**»[3].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١)، كلاهما في الكسوف، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٨٤٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الطب (٣٩٠٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٢٦)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٧١)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٠٥)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وشـــدَّد النكير على اتِّخاذ التمائم والرُّقَى الجاهليَّـــة، وأمر بمراعاة الأسباب الطبيعيَّة في التداوي والعلاج.

روى عنه ابن مسعود قوله: «**إنَّ الرُّقَى والتَّمائم والتِّوَلة شِرْك**»[1].

والتِّوَلة (بكسر التاء وفتح الواو): شـــيء يصنعه النساء (من ضروب السحر) للتحبُّب إلى أزواجهنَّ.

وقال: «**من علَّق تَمِيمةً فقد أشرك**»[2].

إنَّ المسلمين في العصور الأولى رَعَوْا هذه السنن، واحترموا شبكة الأسباب والمســببات، فأقاموا حضارة مُثْلى، نشـأت في رحابها علوم كونيَّة ورياضيَّـــة واجتماعيَّة، بجـوار العلوم الدِّينيَّـــة، امتدَّت جذوعها، وبسقت فروعها، وآتت أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها.

على خلاف المُتَأَخِّرين من المسلمين، الَّذين ضيَّعوا شرائع الدِّين الحقِّ، وقواعد السنن في الخَلْق، ولم يفلحوا في إحقاق الدِّين، ولا إقامة الدُّنيا، وهم الآن يريدون أن يعيدوا من جديد ما بدأه أســلافهم من قبل، ليرعوا العقيدة، ويحفظوا الشَّرِيعة، ويحققوا المقاصد، ويُحســنوا الفقه، ويعرفوا فقه السنن، وفقــه الأولويَّات، وفقه المــآلات، وفقه الموازنات، وفقــه الاختلاف، وفقه الواقع، حتَّى ينهضوا من عثرتهم، ويرجعوا إلى ما كان عليه آباؤهم الأولون.

وهو ما نتوقعه لهم أن يديل الله لهم، وأن ينزل عليهم نصره وتمكينه، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢، ١٧٣].

---

(١) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥).

(٢) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مُخرِّجوه: إســناده قويٌّ. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

QaradawiBooks.com

## ٥
# الموازنة بين العقل والنقل

من أبرز معالم «الوسطيَّة الإسلاميَّة» الَّتي تميَّزت بها الأُمَّة المسلمة، الَّتي قال الله تعالى في وصفها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإن شئتَ قلتَ: من أبرز معالم المنهج الوسط للأمة الوسط: الموازنة بين العقل والنقل. أي بين أفكار العقل الإنساني، ونصوص الوحي الربَّاني.

فمن النَّاس مَن يعترف بالعقل وحده مصدرًا للمعرفة في كلِّ شيء، في عالم الشهادة أو في عالم الغيب، ولا يعترف بمصدر سواه.

ومنهم مَن لا يعترف إلَّا بالنقل أو الوحي مصدرًا للمعرفة بالحقائق كلِّها، ولا يعترف بمصدر آخر.

ومنهم المتوسِّطون، الَّذين يجعلون لكلٍّ منهما سلطانًا ومجالًا يصول فيه، ولا يجور على سلطان الآخر.

ولكي نتحدَّث عن هذه الأصناف، لا بدَّ لنا من وقفة، لنحدِّد فيها المفاهيم والمصطلحات، حتَّى لا تُترَك هُلَامِيَّة رَجْرَاجة، يُفَسِّرها مَن يشاء كما يشاء. فما العقل؟ وما النقل؟

### المقصود بالعقل:

عرَّف «المعجم الوسيط» الَّذي أصدره مجمع اللغة العربيَّة في القاهرة

QaradawiBooks.com

«العقل» بأنَّه: «ما يقابل الغريزة الَّتي لا اختيار لها. وما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصوُّرات والتصديقات، وما به يتميَّز الحسن من القبح، والخير من الشرِّ، والحقُّ من الباطل»[١] اهـ.

واشتقاق العقل من مادة: (ع ق ل)، والأصل فيها: المنع. وإنَّما سُمِّي بذلك؛ لأنَّه يمنع صاحبه ممَّا لا يليق. فإذا كان الحيوان يفعل ما يشتهي، فإنَّ الإنسان يفعل ما ينبغي.

وفي «القاموس المحيط» عـرَّف العقل بأنه: العلم، أو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها. أو العلم بخير الخيرين، وشرِّ الشرين، أو مطلق الأمور.

وظاهرٌ أنَّ التعريف هنا لـ «العقل» باعتباره «فعلا»، وليس باعتباره «جوهرا»، ولـذا ذكر في مقابلها تعريفا آخر، وهـو: «أنَّه قوَّة بها يكون التمييز بين القبح والحسـن». وبعـد أن ذكر صاحـب القاموس عدَّة تعريفـات، قال: «والحـقُّ أنَّه نور روحانـي، به تُـدرك النفس العلوم الضروريَّـة والنظريَّـة، وابتداؤه عنـد اجتنان الولد (أي مـن المرحلة الجنينية) ثمَّ لا يزال ينمو إلى أن يكتمـل عند البلوغ»[٢] انتهى. وقيل: إلى سنِّ الأربعين.

وفي «مفردات القرآن» للراغب الأصفهانـي: «العقل: يقال للقوَّة المتهيِّئة لقبـول العلم. ويقال للذي يسـتنبطه الإنسـان بتلك القوَّة: عقل»[٣].

(١) المعجم الوسيط (ع. ق. ل).
(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ع. ق. ل).
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ع. ق. ل).

QaradawiBooks.com

وذكر شــارح «القاموس»: أنَّ النَّاس اختلفوا في العقل: هل له حقيقة تُدرك أو لا؟ وإذا كانت له حقيقة تُدرك: هل هــو جوهر أو عرض؟ ثمَّ اختلفوا فــي موضعه: هل هو فــي الرأس أو في القلــب؟ وهل العقول متساوية أو متفاوتة؟[1].

والذي نرجِّحه من تلك الأقوال: أنَّ العقــل حقيقة يمكن أن تُدرك، وأنَّه جوهر لا عَــرَض، وأن موضعه هو الرأس أو الدمــاغ، وأنَّ العقول تتفاوت في قدراتها، فمن النَّاس المتخلِّفون عقليًّا، ومنهم شديدو الغباء، ومنهم الأغبياء، ومنهم قليلــو الذكاء، ومنهم المتوسِّــطون في الذكاء، والحادّو الذكاء والعباقرة.

ونســتطيع أن نقول هنا: أنَّ العقل هو: تلك القــوَّة أو ذلك الجوهر المجرَّد عن المــادَّة، الَّذي ميَّز الله به الإنســان عن الحيــوان، فبه ينظر ويتأمَّل في نفســه، وفي آفاق الكون من حوله، وبه يفهم الخطاب، وبه يحصل العلم، وبه ينمِّيه ويضيف إليه، وبه يبتكر الجديد، وينتقد القديم، وبه يفهــم الماضي ويعتبر بــه، ويعايش الحاضر ويطوِّره، ويستشــرف المستقبل ويخطِّط له، وبه يميِّز الخير من الشرِّ، أو الحسن من القبيح في الأفعال، كما يميِّز الصواب مــن الخطأ في الآراء، والحقَّ من الباطل في المعتقدات. بل يميِّز خير الخيرين، وشرَّ الشرين، وبه يقارن ويوازن بين الأشياء والأشخاص والأفكار. به يدبِّر أمر معاشه، وبه يتدبَّر أمر معاده، أو قُل: به يتفكَّر في مبدأ الكون ومصيره ومصيرنا معه، ورســالتنا فيه، وبعبارة أخرى: يبحث عن أجوبة شــافية للأســئلة الخالدة الَّتي أقلقت الإنسان من قديم الزمان: من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟

(١) تاج العروس للزبيدي (ع. ق. ل).

QaradawiBooks.com

**المقصود بالنقل:**

أمَّا كلمة «النقل»، فالمقصود منها حين تُقرن بالعقل: معروف ومفهوم، عند أهل العلم، وهو العلم الَّذي مصدره الوحي الإلٰهي، أي مصدره النبوَّة، ومن شأن هذا العلم: أن ينقله الخلف عن السلف، وتتوارثه الأجيال بعضها عن بعض. فهذا العلم لم نحصِّله عن طريق الملاحظة أو التَّجْرِبة أو التفكير المنطقي أو الرياضي، بل نقلناه عمَّن قبلنا، وهم نقلوه عمَّن قبلهم بالسند المتَّصل، إلى النبيِّ المُوحَى إليه من الله تعالى، ومن شأن مَن نقلوه أن يؤمنوا بمصدره الربَّاني، وأن يتلقَّوه مُذْعِنين لأصوله ومُسلَّماته، وإن كان لهم حقُّ استعمال العقل في فَهمه وشرحه وتفسيره والاستنباط منه. ولا غرو أن عملت العقول الكبيرة من الأُمَّة في خدمته وتجليته، ووُجِدَت بسبب ذلك علومٌ شتَّى، من التفسير، والحديث، والفقه، والسلوك أو التصوُّف، وعلم العقائد أو «علم الكلام»، وعلوم أخرى تؤصِّل لها وترسيها على أمتن القواعد، مثل: أصول الفقه، وأصول التفسير، وأصول الحديث.

وقد يعبَّر عن «النقل» أحيانا بـ «السمع» أو «الشرع» أو «الدين» أو «النصِّ» وكلُّها تدلُّ على المطلوب، وهو ما يقابل مصدر «العقل» الَّذي يُعبَّر عنه أحيانا بـ «الحكمة» أو «الفلسفة».

وكثيرًا ما وُضع هذان الأمران المتقابلان في صيغة «الشريعة والحكمة» كما عبَّر ابن رشد في كتابه «فصل المقال في ما بين الشَّرِيعة والحكمة من الاتصال»، أو في صيغة «الدين والفلسفة»، أو في صيغة «العقيدة والفكر»، أو في صيغة «العقل والسمع». ولا مشاحَّة في الاصطلاح، ما دام المراد مفهومًا، والمصطلحات واضحة، واللبس ممتنعًا.

QaradawiBooks.com

## مواقف النَّاس من العقل والنقل:

وإذا عرفنا المقصود بكلٍّ من العقل والنقل، فإنَّ النَّاس في هذا المقام أصناف ثلاثة:

١ ـ العقليون: المبالغون في اعتبار العقلانيَّة.

٢ ـ والنقليون: المبالغون في اعتبار (النقلانية)[1].

٣ ـ والمتوسطون: الجامعون بين العقل والنقل بالقسطاس المستقيم.

## أولًا: المبالغون في العقلانيَّة:

أمَّا القسم الأوَّل، فهم الَّذين يغلون في تقديس العقل، وإعطائه أكثر من حقِّه، واعتباره وحده مصدر معرفة الحقيقة، في كلِّ المجالات، المادِّيَّة والرُّوحيَّة، وهو عندهم الدليل الَّذي لا يخطئ، والهادي الَّذي لا يضلُّ، والميزان الَّذي لا يميل.

## وهؤلاء ينقسمون إلى أنواعٍ شتَّى:

فمنهم الَّذين يزعمون أنَّهم يستغنون بالعقل عن الوحي، وأنَّهم لا حاجة لهم إلى النبوَّة. فإنَّ العقل وحده يستطيع بنوره أن يهدي الإنسان إلى أسباب السعادة.

وهؤلاء هم الَّذين ردَّ عليهم الإمام مُحمَّد عبده في «رسالة التوحيد»، حين بيَّن بمنطقه العقلي القوي: حاجة البشر إلى الرسالة، وأن هداية

(١) مصدر صناعي منسوب إلى (النقل) بمعنى: المنقول من النصوص الدينية، زدنا عليه: الألف والنون، ليكون مقابلًا لـ(العقلانية). فالعقلانية: تبالغ في اعتبار العقل، والنقلانية: تبالغ في اعتبار النقل.

QaradawiBooks.com

الحواس تحتاج إلى العقل ليصحِّح خطأ الحواس، وكذلك هداية العقل تحتاج إلى هداية أكبر منه، لتصحِّح خطأ العقل، وهي هداية الوحي(١).

ومن هؤلاء: مَن يؤمن بالوحي، ولكنَّه يرى أنَّ العقل ندٌّ له، بل ربَّما اعتقد أنَّه مُقدَّم عليه. وهؤلاء أكثر من نوع أيضًا.

فهناك الفلاسفة الَّذين اتَّخذوا العقل أصلا والنقل تبعًا. وبعضهم لم يتَّخذوا العقل الحرَّ المجرَّد، بل العقل المقلِّد لفلسفة الإغريق، المُسلِّم لمقولاتها، المُقدِّس لاتِّجاهاتها وأفكارها. فهي الأصل وما عداها تبع لها، ولو كان هو نص القرآن الكريم، أو حديث الرسول العظيم. وهؤلاء هم رجال «المدرسة الفلسفية المشَّائية الإسلاميَّة» كما تُسمَّى، وهم الَّذين اتَّخذوا الفيلسوف الأكبر (أرسطو طاليس) مصدرا لأفكارهم ومقولاتهم، وسمَّوه «المعلم الأول»، وكلُّ ما خالف مناهجه يجب أن يؤوَّل. وأبرز مَن يمثِّلهم: الكندي والفارابي وابن سينا ومَن وافقهم.

وهم الَّذين لخَّص الغزالي تعاليمهم وأفكارهم في كتابه (مقاصد الفلاسفة»، وردَّ عليهم في كتابه «تهافت الفلاسفة»، وخطَّأهم في سبع عشرة مسألة، وكفَّرهم في ثلاث.

وقد انتصر العلَّامة ابن رشد الحفيد «الفيلسوف الطبيب الفقيه(٢). ت: ٥٩٥هـ) للفلاسفة، وردَّ على الغزالي بكتابه «تهافت التهافت».

---

(١) انظر: رسالة التوحيد للإمام محمد عبده، ضمن الأعمال الكاملة له (٤٢١/١ ـ ٤٢٣)، تحقيق د. محمد عمارة، نشر دار الشروق.

(٢) تجلت هذه الموسوعية في شرحه لفلسفة أرسطو، وعن طريقه تلقتها أوربا، ورسائله مثل: فصل المقال، والكشف عن مناهج الأدلة، والكليات في الطب، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد.

QaradawiBooks.com

ومهما يكن من خلاف حول الفلاسفة، وهل كفروا أو لم يكفروا؟ فإنَّ الَّذي لا خلاف عليه بين دارسي الفلسفة ومؤرِّخي الفكر: أنَّ الفلاسفة الَّذين سمَّوهم الإسلاميين، لم يكونوا أحرار الفكر تمامًا في بحوثهم فيما وراء الطبيعة، وهو ما سمَّاه أستاذنا الدكتور مُحمَّد البهي: «الجانب الإلٰهي من التفكير الإسلامي»، بل بحثوا وهم مبهورون بفلسفة اليونان، معجبون كلَّ الإعجاب بحكمائهم الكبار: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، مسحورون بعبقرية آخرهم أرسطو.

لم يسمحوا لأنفسهم بامتحان هذه الفلسفة ومناقشة قضاياها، وفرز الجوانب الطبيعيَّة والرياضيَّة منها، (ممَّا دخل الآن في نطاق العلم)، من جوانب ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقيا). إنَّهم أخذوها كلَّها قضايا مسلَّمة. وإذا تعارض معها شيء آخر ـ ولو كان هو النصُّ الإلٰهي ـ فإما أن يُؤوَّل وإما أن يُرفض.

لقد قدَّم الفلاسفة الإسلاميون ـ كما يُسمُّونهم ـ عقولهم على شرع الله. وأوَّلوا كثيرًا من عقائد الإسلام وغيبياته، الَّتي ثبتت بقواطع الكتاب والسُّنَّة، وأجمعت عليها الأُمَّة، وأمست معلومة من الدين بالضرورة. ومثلها لا يقبل التأويل؛ لأن تأويل القطعيات تحريف للكلم عن مواضعه.

فالله الَّذي آمنوا به ـ واجب الوجود عندهم ـ ليس هو خالق هذا العالم، الَّذي أنشأه من عدم. فالعالم عندهم قديم غير مخلوق!

وليس هو مدبِّر كل صغيرة وكبيرة فيه، ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ لأن واجب الوجود عندهم

QaradawiBooks.com

لا يعلم الجزئيَّات في هذا العالم الناقص. بل هو عند أرسطو لا يعلم إلَّا ذاته، ولا يعلم عن الكون شيئًا ولا يدير فيه أمرًا! حتَّى قال ول ديورانت: يا لَإله أرسطو من إلٰه مسكين! إنَّه كملك الإنجليز، يملك ولا يحكم[١]!

وليس هناك بعث تحيا فيه العظام وهي رميم، ويعيدها الَّذي خلقها أوَّل مرَّة. ويُحشر النَّاس إلى ربِّهم حفاةً عراةً غُرلًا، كما بدأهم يعودون. وليس هناك نعيمٌ حِسِّيٌّ ولا عذاب ماديٌّ، ولا جنَّة حقيقيَّة ولا نار حقيقيَّة. إنَّما هذه رموز لمعان رُوحيَّة مُثِّلت للناس في هذه الصورة ترغيبًا وترهيبًا، ابتغاء صلاح عوامِّ النَّاس!

وليس هناك معراج إلى السماوات العلا، لأنَّ الأفلاك أجسام لا تقبل الخرق ولا الالتئام، إنَّما هو معراج الرُّوح.

وليس هناك مَلَك ينزل بوحي الله على قلب الرسول، إنَّما هو تخيُّل أو تخييل.

إلى آخر ما قالوا وتأوَّلوا، وتعسَّفوا فيما تأوَّلوا[٢]، ممَّا كفَّرهم به مَن كفَّرهم: الغزالي ومَن بعده. وآفتهم: أنَّهم قدَّموا دائمًا العقل على الشرع. وليتهم قدَّموا العقل الحُرَّ المُجَرَّد، إنَّما قدّموا العقل اليوناني، على العقل الإسلامي، قدَّموا تصوُّر الوثنيِّين على عقيدة المُوَحِّدين. قدَّموا فكر أرسطو على دين محمّد. أي على وحي الله، جلَّ ثناؤه، وتباركت أسماؤه.

---

(١) مباهج الفلسفة صـ ١٦١، ١٦٢، ترجمة د. أحمد فؤاد الإهواني، نشر مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٦م.

(٢) للتأويل شروط فصلها علماء الإسلام، انظر كتابنا: كيف نتعامل مع القرآن العظيم صـ ٢٨٤ ـ ٣١٥، فصل: سوء التأويل، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٧، سنة ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

وهذه الأشـياء الَّتي حسـبوها قطعيات وبرهانيات، تؤوّل من أجلها ثوابت الدين، ليست إلَّا تصورات توهموها، وبعضها خرافات اعتقدوها، وما هي إلَّا بناء على شفيرٍ هارٍ!

ليتهم اكتفوا ممَّا نقلوه عن اليونان بجوانب الطبيعيات والرياضيات والتجريبيـات، وهذّبوها وطوّروهـا ونقلوها من النظـر إلى الملاحظة والتجريب. كما صنعوا بالفعل، وتركوا الجانب الإلٰهي من فلسفتهم، فلم يولوه اهتمامًا[1]، فعندهـم من الماء ما يُغْنِي عن السـراب، ولديهم من الحق الخالص من وحي السماء ما يغنيهم عن الحق المختلط بالباطل، والتوحيد المشـوب بالوثنيَّة، والتنزيه الَّذي مضمونـه التعطيل، والتأليه الَّذي يكاد ينتهي إلى النفي والإنكار. وذلك: أن ما اعتبره اليونان عقلًا، لم يكن عقلًا خالصًا، بل كان عقلًا لم يصفُ من الشِّعْر والخيال.

لقد كان فقهاء الإسلام على حقٍّ، حين اتَّهموهم بالكفر، إذ لم يجدوا لديهم توقيرًا لما جاء به مُحمَّد ﷺ من الهُـدَى ودين الحقِّ، ورغم فتح الإمام الغزالي لباب التأويل على مصراعيه، ولا سيَّما في كتابه: «فيصل التفرقة بين الإسـلام والزندقة»، لم يسـتطعْ أن يُدخلهم منه، لمناقضة ما قالوه مناقضة صريحة لقواطع الإسلام، وثوابت العقيدة.

وبهذا خسروا الفلسفة، وخسروا الدين معًا.

أمَّا الفلسفة، فإنَّ جوهرها عندهم ـ كما بيَّن الدارسون المُتَخَصِّصون[2] ـ هو التوفيق بيـن الدِّين والفلسـفة، أو بين الشَّـرِيعة والحكمة، وهذا

(١) كما فعلوا مع الأدب اليوناني، فقد أغناهم البيان العربي والأدب العربي، بشعره ونثره عن الاهتمام به.

(٢) راجع في هذا الكتاب القيم: ابن سـينا بين الدين والفلسفة للمرحوم الدكتور حمودة غرابة صـ ٣٤، نشر دار الطباعة والنشر الإسلامية، مصر.

QaradawiBooks.com

ما أخفقوا فيــه. فكل ما صنعوه: أنَّهم نصروا الفلســفة على الدِّين، حين أخضعوا منطق الدين لمنطق الفلسفة، وأعلوا كلمة «الحكمة» على كلمة «الشريعة». وبعبارة أخرى: أَعْلَوا كلمة الإنسان على كلمة الله، وكلمة الله يجب أن تكون أبدًا هي العليا.

وبهذا باءت مهمتهم الفلسـفية بالخيبة، ورجعــوا منها ـ كما يقول العرب ـ بخفي حنين. أو بغير خف أصلًا!

وأمَّا خســرانهم للدين، فيتمثــل في إعراض الأمة المســلمة عنهم، واتفاق جمهور علمائها على تكفيرهم، برغم تحوطهم في قضيَّة التكفير. وبهذا خســروا الصفقتين ولم يظفروا بإحدى الحسنيين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦].

لقد أتعب (الفلاســفة) المســلمون ـ أنصار المدرســة الأرســطية المشائية ـ أنفسهم فيما لا طائل تحته في الجانب الميتافيزيقي، وقد قيم مجهودهم أســتاذنا الدكتور مُحمَّد البهي في كتابه: «الجانب الإلٰهي من التفكير الإسلامي» الَّذي بين فيه حصيلة هذا المجهود، فقال:

«ما أفاده فلاسفة المسلمين المشائيون في المشرق من الاستدلال على وجود (الله) من (الوجود) نفســه، إلى جانب ما في الديــن من دليل عليه مشــتق من العالم الواقعي نتيجة قبولهم فكرة (واجب الوجود) الإغريقي: لا يتكافأ مع مجهودهم العقلي في التوفيق بين الإسلام والفلسفة، فيما أثاره واجب الوجود في هذه الفلسفة من إشكالات، وعلى الأخص في وصف الله بصفاته الَّتي وردت في القرآن الكريم، وفي علمه لما يجري في ملكوته.

ثم بعد هذا كله لا يصلح تفلســفهم أن يكون أساس توجيه ديني... لأنَّه لا يلتئم مــع طبيعة الدين كديــن، كما لا يصلح أن يكون أساسًــا

QaradawiBooks.com

لتوجيه عقلي، لما فيه من كثرة التعاريج والالتواءات، نتيجة الخلط من عدة مذاهب وآراء.

ولو درى فلاسفة المسلمين المشائيُّون قيمة الفكر الإغريقي، وأنَّه لم يخلص تمامًا من الشعر والخيال، لآثروا أن يكون لهم منطق خاصٌّ بهم.

ولو علموا نتائج قبولهم آراء أفلاطون وأرسطو في شرح العقيدة، على العقيدة من حيث هي عقيدة، لتركوا للقرآن الكريم وحده ـ كما هو ـ الطريق إلى قلوب المصدقين، وعقول الخاصَّة من الناس»[1] اهـ.

هذا ما قرَّره أستاذ مُتخَصِّص في الفلسفة، عاش عمره دارسًا لها، ومُعلِّمًا إيَّاها، ومُؤَلِّفًا فيها، ومُؤَرِّخًا لها، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ولا أجد كلمة هنا أبلغ من كلمة أديب الفلاسفة، وفيلسوف الأدباء: أبي حَيَّان التوحيدي في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» فقد حكى على لسان شيخ له عرض عليه بعض الرسائل (لإخوان الصفا) فنظر فيها أيامًا، واختبرها طويلًا، ثمَّ ردها عليه وقال: «تعبوا وما أغْنَوا، ونصبوا وما أجْدَوا، وحاموا وما وردوا، وغنَّوا وما أطربوا، ونسجوا فهلهلوا، ومشطوا ففلفلوا، ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاعُ... أن يدسّوا الفلسفة في الشَّرِيعة وأن يضمُّوا الشَّرِيعة في الفلسفة... وقد تَوَفَّر على هذا من قبل هؤلاء قوم كانوا أحدَّ أنيابًا، وأحضر أسبابًا، فلم يتم لهم ما أرادوه... وحصلوا على لوثات قبيحة، ولطخات فاضحة، وعواقب مخزية، وأوزار مثقلة»[2].

(١) الجانب الإلٰهي من التفكير الإسلامي للدكتور محمد البهي صـ ٥٦٥، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ٤.

(٢) الإمتاع والمؤانسة صـ ١٦٤، نشر المكتبة العنصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

**عقلانيَّة المعتزلة:**

وهناك فئة أقرب منهم، وأكثر احترامًا للنص الإلٰهي، وإن كانوا يحسنون الظن بعقولهم أكثر من اللازم، وهم طائفة من المتكلمين. الَّذين آمنوا بالقرآن، وآمنوا بالجملة بالسُّنَّة، ولكنَّهم عند التعارض يقدِّمون ما يفيده العقل على ما يفيده الشرع أو الوحي.

وأظهر من يمثل هؤلاء هم: المعتزلة، ويطلق عليهم: «القَدَرية» وهم أصحاب المبادئ الخمسة: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبعد المعتزلة يأتي الأشاعرة والماتُريديَّة، وهم وإن خالفوا المعتزلة وردوا عليهم مقولاتهم المخالفة لأهل السنة لم يستبعدوا العقل تماما من ناحيتهم، بل استخدموه في إثبات كثير من القضايا، وفي الردِّ على كثير من الخصوم. ولكنَّهم عند التعارض يقدمون الشرع على العقل[1].

وظهور المعتزلة في ساحة الفكر الإسلامي، كان أسبق من ظهور الفلاسفة، فقد ظهروا منذ عصر التابعين، فقد انشقوا عن حلقة الإمام الشهير الحسن البصري الَّذي توفي سنة ١١٠هـ، حين خالفه تلميذه واصل بن عطاء في قضيَّة عقدية كبيرة، وأعلن عن مخالفته شيخه، فقال الحسن: اعتزلنا واصل!

وكان مع واصل زميله في الاتجاه: عمرو بن عُبَيد، وكلاهما مفكر وداعية، وكان لهما تلاميذ، خالفوا الاتجاه العام في الأمة.

---

(١) هذا إذا كانا ظنيين، أمَّا إذا كان أحدهما قطعيًا والآخر ظنيًا، فالقطعي مقدم على الظني. أمَّا أن يكون كل منهما قطعيًا، فلا يتصور؛ لأنَّ القطعيات لا تتعارض.

QaradawiBooks.com

وكان الخلاف في أوَّل الأمر محدودًا وبسيطًا وذا طابع ديني، ثمَّ ما زال يتوسع ويتعمق، ويدخل في مسائل هي أقرب إلى الفلسفة منها إلى الدِّين، على أيدي رجال معروفين منهم، مثل: أبي هُذَيْل العَلَّاف (ت: ٢٣٥هـ) وإبراهيم النَّظَّام (ت: ٢٣١هـ) والجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) وغيرهم من أصحاب النزعة العقليَّة، الَّتي لا تعطي الاهتمام الكافي للنصوص الدِّينيَّة، وبخاصة نصوص الحديث النبوي، بل كانت لهم حملاتهم العنيفة على عدد من الأحاديث، الَّتي يتناقلها من عرفوا بـ «المحدّثين» والَّتي كانوا يسخرون منها، ويرونها منافية للعقل، أو للقرآن، أو للعلم، أو للواقع.

والتي جعلت رجلًا من كبار علماء السنة (وهو الإمام ابن قتيبة ت: ٢٧٦هـ) ـ الَّذي كان لهم، مثل الجاحظ للمعتزلة ـ يقوم بالردِّ على المعتزلة، والدفاع عن الحديث، وتأويل ما سخر منه أهل الاعتزال، ذلك في كتابه الشهير: «تأويل مختلف الحديث».

وكان للمعتزلة موقفهم من تفسير القرآن الكريم، حيث يؤولون الآيات والجمل في القضايا الَّتي لا تتفق مع أصولهم ومعتقداتهم، مهما يكن في هذا التأويل من تكلف واعتساف.

ولعلَّ أبلغ تفسير يعبر عنهم هو تفسير العلامة الزمخشري المعروف، وهو «الكشاف» الَّذي تلمس فيه النزعة الاعتزالية بوضوح.

فتراه فيما يتعلق برؤية الله تعالى في الآخرة، أو بما يشير إلى أن كل ما في الكون يقع بمشيئة الله تعالى حتَّى المعصية، أو بصفات الله تعالى من العلم والقدرة والإرادة ونحوها، يميل بها إلى ما يوافق مذهب المعتزلة.

QaradawiBooks.com

كان أبرز ما يميـز المعتزلـة عن سـائر الاتِّجاهـات ـ أو الفرق ـ الإسلاميَّة الأخرى: اعتدادهم بالعقل إلى أبعد مدى. حتَّى إنَّهم غالبًا في مقولاتهم وتفسيراتهم يقدمون العقل على الشرع، فالأدلَّة الشرعيَّة متهمة عندهم، ولا يتهمون عقولهم يومًا، أو يمتحنونها.

ربما أثارهم بعض الحشوية من الجامدين، ولكنَّهم لم يقفوا عند حد في تجاوز النصوص البينات، فقد حكّموا فيها فكرهم القاصر، وعلمهم المحدود بحدود البيئة والعصر، واعتبارهم كثيرًا من الأفكار «مسَـلّمات عقليَّة» ولم تكن كذلك، لو أنصفوا وتحرروا.

ولهذا أنكر من أنكـر منهم: الجن رغم ثبوت ذلـك بصريح القرآن ومتواتر الحديث.

وأنكر مَن أنكر سؤال القبر وما فيه من نعيم وعذاب.

وأنكر من أنكر الصراط والميزان.

وأنكروا جميعًا رؤية الله تعالى في الآخرة.

وعلّة ذلك أنَّهم سـجنوا أنفسـهم في إطار العوائد الجارية، وكأنَّما المعتاد المعروف لازم لزومًا عقليًّـا، مع أن خرق العوائد ممكن، بدليل وقوع المعجزات للأنبياء. وهو ما ناقشـهم فيه الإمام الشـاطبي مناقشة عميقـة في «الاعتصـام» حيث ذكر: أنَّـه يصح قضاء العقـل في عادي بانخراقه، مع أنّ كون العـادي عاديًّا مطّردًا (غيـر) صحيح أيضًا، فكل عادي يفرض العقل فيه خرق العادة، فليس للعقل فيه إنكار، إذ قد ثبت في بعض الأنـواع الَّتي اختص الباري باختراعهـا. والعقل لا يفرق بين خلق وخلق، فلا يمكن إلَّا الحكم بذلك الإمكان على كل مخلوق.

QaradawiBooks.com

**فهو أصل اقتضى للعاقل أمرين:**

**أحدهما**: ألَّا يجعل العقل حاكمًا بإطلاق، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع، بل الواجب عليه أن يُقدِّم ما حقه التقديم ـ وهو الشرع ـ ويُؤخِّر ما حقه التأخير ـ وهو نظر العقل ـ لأنَّه لا يصح تقديم الناقص حاكمًا على الكامل، لأنَّه خلاف المعقول والمنقول، بل ضد القضيَّة هو الموافق للأدلة، فلا معدل عنه، ولذلك قيل: اجعل الشرع في يمينك، والعقل في يسارك، تنبيهًا على تقدم الشرع على العقل.

**والثاني**: أنَّه إذا وجد في الشرع أخبارًا تقتضي ظاهرًا خرق العادة الجارية المعتادة، فلا ينبغي له أنْ يُقدِّم بين يديه الإنكار بإطلاق، بل له سعة في أحد أمرين:

١ ـ إمَّا أن يُصَدِّق به على حَسَب ما جاء، ويكل علمه إلى عالمه. وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. يعني الواضح المحكم، والمتشابه المجمل، إذ لا يلزَمُه العلم به، ولو لزم العلم به لجُعِلَ له طريق إلى معرفته، وإلا كان تكليفًا بما لا يطاق.

٢ ـ وإمَّا أنْ يتأوله على ما يمكن حمله عليه، مع الإقرار بمقتضى الظاهر؛ لأنَّ إنكاره إنكار لخرق العادة فيه[1] اهـ.

**ثانيًا: المبالغون في اعتبار النقلانيَّة:**

وإذا كان هناك مبالغون في اعتبار (العقلانيَّة) فمن الطبيعي ـ وفق سنة التدافع ـ أن يكون في مقابلهم مبالغون في اعتبار (النقلانيَّة) بمعنى

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (٣٢٦/٢، ٣٢٧)، نشر مطبعة الإعلانات الشرقية، توزيع المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

QaradawiBooks.com

عدم الاهتمام بالعقل وإعطائه حقه في الفهم والاستنباط والنقد، وأخذ النقول الجزئيَّة دون التدقيق في ثبوتها، وعدم ربطها بالمقاصد الكُلِّيَّة.

غير مرخصة للطباعة

وهؤلاء هم الَّذين أسميناهم في بعض كتبنا: «الظاهريَّة الجدد» وإن لم يكن لهم علم الظاهريَّة وتبحرهم، كما تجلَّى ذلك في ممثلهم الأكبر: أبي مُحمَّد ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) صاحب «الإحكام» و«المُحَلَّى» و«الفِصَل في الملل والنحل» وغيرها. وهو أحد العقول العبقرية في تراث الإسلام. ولكنَّهم أخذوا من «الظاهريَّة» جمودها على النصِّ، و«حرفيَّتها» في التفسير، ورفضها للقياس كلِّه ولتعليل الأحكام، واعتبار أنَّ لها مقاصد شرعيَّة وحِكَمًا واقعيَّة، تنشد من ورائها.

قد يُسَمِّي هؤلاء أنفسهم أو يسميهم الناس: «أهل الحديث»، أي الَّذين يعتمدون في استدلالهم الشرعي على الحديث النبوي، ولا يكادون يعتمدون على القرآن الكريم. وهم أيضًا لا يدققون كثيرًا في صحَّة الحديث وثبوته، ولا سيَّما ما يتصل بالمتن أو المضمون، ولا يعنون كثيرًا بموافقة الحديث للعقل.

وقد عرفنا أئمَّة الحديث الكبار، لا يقبلون الحديث إلَّا بشروط، وخصوصًا ما كان منه مصدرًا لاستنباط الأحكام من الحلال والحرام، كما لهم فقههم المعتبر في الاستنباط من الأحاديث المروية، كما رأينا ذلك في «فقه مالك» رضي الله عنه، وهو محسوب على مدرسة الحديث والأثر، وقد عدَّه العلَّامة الشيخ أبو زهرة في كتابه عنه، من «فقهاء الرأي». وأنا أؤيده في ذلك. وممَّا في مذهبه: القول بالمصلحة المرسلة، واعتبار عمل أهل المدينة، والتشدد في ثبوت الحديث. ولهذا قال من قال: لولا مالك لضاقت المسالك.

نسخة إلكترونية مجانية

ومثل ذلك: الإمام أحمد، الَّذي يُروى عنه في المسألة الواحدة عشرُ روايات أو تزيد. وما ذلك إلَّا لأنَّه يجيب عن كل حالة بما يناسبها، زمانًا ومكانًا، وحالًا وعرفًا.

ومثل ذلك: الإمام البخاري، الَّذي كان له مذهبه الفقهي الخاص، الَّذي يلمسه الدارسون في تراجمه الشهيرة، ولذا نراه يتميز أحيانًا عن الأئمة المتبوعين. كما في قضيَّة الطلاق، حيث يميل إلى التضييق في الطلاق، فلا يقول بوقوع طلاق السكران والغضبان والناسي والهازل والمخطئ ومن لا وطر له.

فالذين يسمون «أهل الحديث» في عصرنا ليسوا على سُنَّة مالك ولا أحمد ولا البخاري ولا أمثالهم، ممَّن يسمونهم «فقهاء الحديث» فهم يجمعون بين الحديث والفقه، ولا يضربون أحدهما بالآخر.

أمَّا هؤلاء، فقد ظلموا الحديث حين نسبوا أنفسهم، أو نسبهم النَّاس إليه، وهم يزعمون أبدًا: أنَّ الحقَّ معهم وحدهم، وأنَّ الباطل مع غيرهم، ولا يقولون ما قال المحققون من أهل العلم: رأْيُنا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب. بل يقولون دائمًا: رأْيُنا هو الصواب الَّذي لا يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا هو الخطأ الَّذي لا يحتمل الصواب.

فهم دائمًا شديدو الهجوم على مخالفيهم، ولا تتَّسع صدورهم لتقبُّل النقد من أحد غيرهم.

يقولون: نحن معنا الحديث، وهو وحي من الله. وغيرنا معه الرأي، وهو من البشر.

وهذه دعوى غير مُسَلَّمة على إطلاقها، فإنَّ من الحديث ما هو وحي،

QaradawiBooks.com

ومنه ما لا يدخل في باب التشــريع أصلا، كما ذكره حكيم الإسلام في الهند ولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ) وغيره[1].

على أنَّ الحديث إذا كان وحيًا، ففهمهم للحديث ليس وحيًا، إنَّما هو من إفراز عقل البشر. والرأي ـ وإن كان من البشر ـ فليس مرفوضًا دائمًا، بل هو مطلوب إذا استعمل في أهله وفي موضعه.

وممَّا أخذنـاه عليهم: أنَّهم يبنون موقف الإسـلام في بعض القضايا الكبيرة على أحاديث ليست بذاك، مثل موقف الإسلام من المرأة، أو من غير المسـلمين، أو من الزهد، أو من التوكل، وغيرها. وهذه في نظري أهم من أحاديث «الحلال والحرام»، الَّتي شدَّد فيها العلماء، وهي تتعلق بأمور جزئيَّة، وتلك تتعلق بقضايا ومبادئ كلية.

## لوازم عقليَّة للمسرفين في النقليَّة:

هؤلاء لهم «لوازم» لا تفارقهم في فقه الإسـلام وعرضهم لأحكامه وتعاليمه، ومنها:

١ ـ اهتمامهم بالشكل قبل الجوهر، وبالظاهر قبل الباطن.

٢ ـ تركيزهم على النصوص الجزئيَّة دون وصلها بالمقاصد الكُلِّيَّة.

٣ ـ عنايتهم بالمختلف فيه قبل المتَّفق عليه.

٤ ـ إسـقاطهم لفقه مراتب الأعمال، أو فقه الأولويَّـات. ولذا كثيرًا ما تراهم يهتمـون بالنوافل أكثر من الفرائـض، وبالمكروهات أكثر من المحرمات، وبالفروع أكثر من الأصول.

(١) انظر كتابنا: السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة صـ ١٢ ـ ٨١، فصل: التشريعي وغير التشريعي من السنة، نشر دار الشروق، ط ٤، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

٥ ـ ومن ذلك: أنَّهم يعنون بالسُّنَّة أكثر من عنايتهم بالقرآن، ولا يهتمون بأن يكون فهم السُّنَّة في ضوء القرآن، بحيث لا تعارضه.

٦ ـ كما لا يجمعون بين النصوص بعضها ببعض، فإنَّ أحكام الشَّرِيعة لا تتعارض، وكلمات الله يفسر بعضها بعضًا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٧ ـ ومن لوازم هؤلاء أنَّهم يسرفون في التحريم، فهم يحرمون بالأحاديث الضعيفة، وإن كانوا يقوونها بكثرة الطرق، وهذا ليس حكمًا على إطلاقه، أو تكون الأحاديث غير صريحة في الدلالة على التحريم، فهم يستدلُّون بصريحٍ غير صحيح، أو بصحيحٍ غير صريح.

ولذا تراهم يكادون يُحَرِّمون على النَّاس كل شيء، فالتصوير كلُّه حرام، حتَّى التصوير الفوتوغرافي، الَّذي يُسَمِّيه الخليجيُّون «عَكْسًا» وهو فعلًا بمثابة انعكاس الصورة على المرآة.

وعلى هذا الأساس حرَّموا استخدام التلفزيون؛ لأنَّه يقوم على التصوير، والتصوير كلُّه حرام، والسينما كلُّها حرام؛ لأنَّها تقوم على التصوير.

والغناء كلُّه حرام، ولا سيَّما إذا كان مع الآلات، وخصوصًا إذا كان المُغَنِّي امرأة.

وكشف المرأة وجهها حرام؛ لأنَّ وجهها عورة، وتغطيته واجبة. ولا يكفي المسلمة أن تلبس الخمار الَّذي تُغَطِّي به رأسها وعنقها ونحرها. كما تفعل «المُحَجَّبات» في عصرنا. فهؤلاء المحجبات آثمات في نظر هؤلاء.

ومن ذلك قولهم بتحريم حلق اللحية.

٨ ـ وكما يسرفون في تحريم المحرمات: يسرفون في إيجاب الواجبات.

QaradawiBooks.com

وكما حرَّمــوا بالأحاديث الضعيفة، نراهم يوجبــون، ويزيدون على النَّــاس في التكاليــف، بالأحاديث الَّتي لم تسـلم مــن الاعتراض، أو الأحاديث الصحيحة غير الصريحة في الدلالة.

فيوجبون على كلِّ رجل: أنْ يقصر إزاره أو قميصه أو ثوبه إلى نصف الساق، وما دون ذلك فهو في النار.

ويجعلون الإسبال (إسـبال الإزار ونحوه) من كبائر الإثم، بناء على حديث صحيــح ورد في ذلك. فــإذا قلت لهم: إنَّ هــذا الحديث قيَّدته أحاديث أخرى، تقيد الوعيد بمن فعل ذلك اختيالًا وكِبرًا، والقاعدة: أن يُحْمَــل المُطْلَق على المُقَيَّد، لم ينصتوا إليك، ولا سـيَّما إذا ناقشــتهم بالمنطــق العقلي: أنَّ الوعيد الشــديد الَّذي جاء في الحديث في شــأن «المسبل»: أنَّ الله لا ينظر إليه يوم القيامة ولا يزكِّيه ولا يُكلِّمه وله عذاب أليم، وأنَّ هذا لا يكون إلَّا لمعصية كبيرة تمس جوهر الدين وقيمه، مثل الكبر، الَّذي هو من أخطر معاصي القلوب.

وكما أوجبوا على الرجل تقصير الثوب: أوجبوا على المرأة لُبْس النِّقَاب.

**ثالثًا: التيار الوسطي، ووضْع الضوابط المنهجيَّة للتعامل مع النصوص:**

من أهم ما يميز التيار الوسطي: أنَّه وضع الضوابط المنهجيَّة للتعامل مع النصوص الدِّينيَّة، سـواء أكانت نصوص القرآن أم نصوص السُّــنَّة. وهذه الضوابط من شــأنها أنْ تقيم توازنًا بين النظــرة العقليَّة، والنظرة النقليَّة، بلا طغيان ولا إخسار.

وقد صنفنا كتابين أساسـين في ذلك، أحدهمــا: «كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟» والآخر: «كيف نتعامل مع السنة النَّبويَّة؟».

QaradawiBooks.com

وفيهما وضعنا ضوابط للفهم والتفسير، وحَذَّرنا من المزالق الَّتي تُؤَدِّي إلى سوء الفهم، أو سوء التأويل، أو التحريف.

كما صنفت قبل ذلك كتابي في «الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط» وبيَّنَّا المعالم والضوابط العشرة لاجتهاد معاصر قويم.

وقبل ذلك أصدرت كتابًا بعنوان: «الفتوى بين الانضباط والتسيُّب» حذَّرت فيه من «مزالق المُتَصَدِّرين للفتوى» من الغفلة عن النصوص الثابتة، والجمود على كلِّ قديم، وإهمال تغيُّر الزمان والمكان.

وسنكتفي هنا ببعض هذه الضوابط، لأنَّ المجال لا يتَّسع لها جميعًا.

### أ ـ قطعيَّة ثبوت النص القرآني:

أوَّل ضوابط المنهج الوسطي: ألَّا نقبل بحالٍ أيَّ كلام أو جدال في ثبوت القرآن، فهو كله، قطعي الثبوت بلا أدنى شكٍّ، ثابت بالتواتر اليقيني، حيث تلقاه الصحابة من فم رسول الله، فحفظته صدورهم، وتلته ألسنتهم، وكتبته أيديهم، وتلقاه من الصحابة تلاميذهم من التابعين، وأخذه عنهم أتباعهم. وهكذا تلقته أجيال الأُمَّة بعضها عن بعض، يتلونه سرًّا وإعلانًا، في الصلوات الجهرية، وفي غيرها. لا يستطيع أحد أن يزيد فيه كلمة، أو ينقص منه كلمة.

وقد نُقِل القرآن ملفوظًا ومكتوبًا. فأما ملفوظًا، فلا يوجد كتاب في العالم يُقرأ كما قرأه النبي المنزل عليه وأصحابه، إلَّا القرآن، المحفوظ بمَدِّه وغَنِّه، كما كان يُقرأ في عهد النبوَّة، وأُلِّف في ذلك «علم التجويد».

وأمَّا مكتوبًا، فقد كُتب القرآن في عهد عثمان ـ الخليفة الثالث ـ بشكل رسمي معتمد من الخليفة، ومن معه من الصحابة. ولا يزال الرسم

QaradawiBooks.com

العثماني هو المعتمد لدى الأُمَّة الإسلاميَّة في كلِّ مكان، والَّذي تكتب به المصاحف إلى اليوم.

غير مرخصة للطباعة

**ب ـ التثبُّت من صحَّة الحديث:**

أمَّا الحديث، فهو الَّذي يجب التثبُّت من صحَّة ثبوته. نعرضه على المعايير العِلْميَّة الَّتي وضعها علماء الأُمَّة لقبول الأحاديث وردِّها. وهي معايير منهجيَّة صحيحة، لا مَطْعَن فيها. ولكنَّ الخلل يأتي من عدم تطبيقها تطبيقًا دقيقًا.

فالحديث الصحيح عند أئمَّة الحديث، هو ما اتَّصل برواية العدل التامِّ الضبط من مبدأ السند إلى منتهاه وسلم من الشذوذ والعلَّة.

ولكن بعض العلماء قد يقبلون أحيانًا: من ليس عدلًا كامل العدالة، فهناك من غمزه، أو ليَّنه، أو تردَّد فيه.

وقد يقبلون أحيانًا العدل الكامل العدل، ولكنَّه ليس تام الضبط، حسبت عليه أوهام وأغلاط في روايته، أو تغيَّر بآخر عمره.

وقد يكون ظاهر السند متصلًا، ولكن بالتأمل والتعمق والموازنة، يتبيَّن للباحث المجتهد: أنَّ الحلقات ليست متصلة تمامًا، بل هناك فجوة في الوسط أو في الأول أو في الأخير. وهذا يسبب ضعف الحديث.

وقد يكون السند متصلًا بالثقات العدول الضابطين، ولكنَّه لم يسلم من الشذوذ، فقد يكون الراوي الثقة الَّذي رواه: خالف من هو أوثق منه.

وقد لا يسلم من العلة في سنده أو متنه. فالراسخون في العلم إذا وقفوا في سند الحديث اكتشفوا فيه عِلَّة تخفى على غيرهم.

نسخة إلكترونية

QaradawiBooks.com

وقد تكون العلة في متن الحديث ومضمونه، كأن يكون مخالفًا للقواطع العقليَّة أو القواطع العِلْميَّة، أو التاريخية أو الواقعيَّة، أو لقواطع القرآن، أو قواطع السنة. وهو ما يجعل أهل العلم يرفضونه ولا يقبلونه، كما قال الإمام ابن الجوزي: «إذا رأيت الحديث، تخالفه العقول، أو تباينه النقول، أو تناقضه الأصول، فاعلم بأنَّه موضوع»(١).

وهذا ما جعلنا نتوقف في بعض أحاديث رواها البخاري أو مسلم أو بعض أصحاب السنن، لأنَّها مخالفة للقرآن، مثل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث: «**إنَّ أبي وأباك في النار**»(٢). وأبوه ﷺ، كان من «أهل الفترة» وهم الَّذين لم يبعث لهم رسول يقيم عليهم الحجة، ويستوجبوا بعد بعثته العذاب لمن كفر، وقد قال تعالى في شأن عرب الجاهليَّة: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤].

وكذلك حديث أبي داود: «**الوائدة والموءودةُ في النار**»(٣). فهذا يتنافى مع عدل الله تعالى، ومع ظاهر القرآن، فإذا كانت الوائدة في النار

(١) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١٠٦/١)، تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط ١، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٢٠٣)، عن أنس.

(٣) رواه أبو داود في السنة (٤٧١٧)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات... وفي متن هذا الحديث نكارة، فإنَّ الموءودة ـ وهي البنت التي تدفن حية ـ تكون غير بالغة، ونصوص الشريعة متضافرة على أنَّه لا تكليف قبل البلوغ. وابن حبان في صفة النار (٧٤٨٠)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧١٤٢)، عن عبد الله بن مسعود.
انظر تعليقنا على هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة صـ ١١٦، ١١٧، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

بما ارتكبت من جريمة الوأد، فما ذنب الموءودة؟ والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

ولقد أيَّدت شيخنا الشيخ الغزالي في إنكار حديث البخاري: «**لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَزِ اللَّحْم**»[١]؛ لأنَّ خنوز اللحم وتغيُّره من سنن الكون وقوانينه الطبيعيَّة، وهو موجود قبل بني إسرائيل وبعدهم! ولا نردُّ الحديث إذا أمكن تأويله وحمله على معنى صحيح، مثل المجاز والكناية، مثل حديث: «**النِّيلُ والفراتُ من الجنَّة**»[٢]. بعض النَّاس سارع برد الحديث؛ لأنَّ منابع النيل والفرات معروفة، فكيف يقال: إنَّها تنبع من الجنَّة؟ ولكن الإمام ابن حزم ـ مع ظاهريته ـ قال:

«هذان الحديثان ليس على ما يظنه أهل الجهل من أنَّ الروضة مقتطعة من الجنَّة، وأن هذه الأنهار مهبطة من الجنَّة. هذا باطل وكذب».

ثُمَّ ذكر ابن حزم أنَّ معنى كون تلك الأنهار من الجنَّة إنَّما لبركتها.

ثم يقول في هذا الخبر: «فوضح البرهان من القرآن، ومن ضرورة الحِسِّ على أنَّها ليست على ظاهرها»[٣].

ومن هنا ضعفت بعض الأحاديث الَّتي قبلها كثيرون، ولكنِّي أراها تُنافي المنطق الإسلامي، والرُّوح الإسلاميَّة، والأصول الإسلاميَّة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٧٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الجنة (٢٨٣٩)، وأحمد (٧٨٨٦)، عن أبى هريرة.

(٣) المحلى لابن حزم (٧/٢٨٣، ٢٨٤) مسألة (٩١٩)، تحقيق أحمد محمّد شاكر، نشر دار التراث، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وذلك مثل حديث: «**بُعِثْتُ بين يَدَيِ الساعةِ بالسيف، حتَّى يُعْبَدَ الله وحده لا شــريك له**»(١). وقد صحَّحه مُحَدِّثون كبار، مثل الشــيخ أحمد شاكر، والشيخ الألباني، والشيخ الأرناؤوط، ولكنَّ هذه التصحيحات لم يسغها عقلي، ووقف هذا الحديث في حلقي؛ لأنَّــه يُنافي القرآن الَّذي يقرِّر أنَّ الله أرسل رســوله ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] ولم يرسله بالسيف ولا بالرمح.

وبالبحث وجدت في الحديث راويًــا مختلفًا فيه اختلافًا كبيرًا، وهو عبد الرحمٰن بــن ثابت بن ثوبان، ومثله لا يؤخــذ منه حديث يعلن عن اتجاه الإسلام: أهو مع السلم أم مع الحرب؟

وكذلك حديث: «افتراق الأُمَّة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلُّها في النَّار إلَّا واحدة»(٢). فقد توقَّفت عنده، ولم أجد له ســندًا واحدًا خلا من النقد، وذكرت أقوال من شــكَّك في الحديث، وخصوصًا زيادة:

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الجهاد (١٩٧٤٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائـد (٩٨٩٧): رواه أحمد، وفيه عبد الرحمٰن بــن ثابت، وثَّقة ابن المديني وغيره، وضعَّفــه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقـات. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣١)، عن ابن عمر.

والحديث لم يأتِ من طريق واحدة صحيحة متصلة ســالمة من النقــد، وإنما صحَّحه مَن صحَّحه بطُرُقه، وكلها لا تسلم من مقال، ولنا في الحديث كلام طويل من جهة سنده ومتنه. انظر كتابنا: فقه الجهاد (٣٣٥/١ ـ ٣٤٦)، الفصل الخامس من الباب الثالث، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(٢) رواه أحمد (١٦٩٣٧)، وقال مخرِّجوه: إســناده حســن، وحديثُ افتــراق الأمة منه صحيح بشواهده. وأبو داود في السنة (٤٥٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٤)، عن معاوية. وانظر كلامنا عليه في كتابنا: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤ ـ ٣٩، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

«**كلُّها في النـــار إلَّا واحدة**» فقد حذَّر منها الإمـــام ابن الوزير، وقال: «احذرها فإنَّها من دَسِيس الملاحدة»[١].

ومثل ذلـــك: حديث: «**لا يأتي عليكـــم زمانٌ إلَّا والَّذي بعدَه شـــرٌّ منه**»[٢]. فهذا يخالف الواقع، فقد كان زمن عمر بن عبد العزيز خيرًا من زمن الحجاج قبله. وقد وجدت لـــه تأويلًا مقبولًا، وهو: أنَّه كان خطابًا خاصًّا للصحابة الَّذين خوطبوا به، فظنه بعض من سمعه أنَّه خطاب عام للأُمَّة كلها.

وإذا وجدت تأويلًا مستساغًا للحديث، لم يسعني أن أردَّه وأرفضه، وخصوصًا ما كان في الصحيحيـــن أو أحدهما، وهذا قد رواه البخاري عن أنس.

وفي حديـــث «رضاع الكبير» لم يســـعني أن أردَّه، وقد اشـــتهر بين الصحابة، وعمل به بعضهم مثل: أم المؤمنين عائشـــة، وخالفها ســـائر أمهات المؤمنين، كما خالفهـــا عامَّة الصحابة، واعتبـــروه حكمًا خاصًّا استثنائيًّا، في شأن قضيَّة ســـالم مولى أبي حذيفة وزوجته سهيلة، الَّذي كان يعتبر ابنًا لهما، قبل أن يحرم الإسلام التبني، وقد رُبِّيَ في بيت أبي حذيفة حتَّى بلغ مبلغ الرجال، وشكت سُهَيْلة امرأة أَبِي حُذَيْفة: ما تُحِسُّه من ضيق زوجها أبي حُذَيْفة من وضع سالم في البيت، فقال لها الرسول: «**أرضعيه تَحْرُمي عليه**»[٣].

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير (١٨٦/١)، (١٧٠/٣ ـ ١٧٢)، تحقيق شـعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨)، وأحمد (١٢١٦٢)، والترمذي في الفتن (٢٢٠٦)، عن أنس.

(٣) رواه مسلم في الرضاع (١٤٥٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وليس معنى قوله: «**أرضعيه**» أن تُعطِيَه ثديَهــا ليَلْقُمَه ويمتصَّ اللبن منه. فهذا لا يُتَصَوَّر أنْ يقصده الرســول، بل تَحْلُب لــه اللبن في كوبٍ وتناوله إيَّاه ليشربه.

وقد كان لي موقــف من الحديــث الضعيف، خالفــت به جمهور المُحَدِّثيــن، وهو: تســاهلهم في روايــة الضعيف في فضائــل الأعمال والترغيب والترهيب ونحوها.

فقد ذكرت في مُقَدِّمتي لكتابي: «المُنْتَقــى من الترغيب والترهيب» رأيي وضوابطي لذلك فلتراجع[1].

## ج ـ وصل النصوص الجزئيَّة بالمقاصد الكُلِّيَّة:

ومن الضوابط المنهجيَّة للمدرســة الوســطيَّة: أنَّها تربط النصوص الشــرعيَّة الجزئيَّة الَّتي جاء بها القرآن، أو الأحاديــث النَّبويَّة بمقاصدها الكُلِّيَّة، وأهدافها العامَّة.

وقد بينا في كتابنا «دراســة في فقــه مقاصد الشَّــرِيعة»: أن في هذا المجال مدارس ثلاثة: طرفين وواسطة بينهما.

١ المدرســة الأولى: «الظاهريَّة» الَّتي لا تهتم بالمقاصد، ولا تؤمن بأن أحكام الشــرع معللة، ولا ســيَّما في المعاملات وشــؤون الحياة المختلفة، شؤون الأســرة، والجماعة والدولة، والشــؤون الاقتصاديَّة والسياســيَّة والاجتماعيَّة، والعلاقات الدوليَّة. فهــؤلاء لا ينظرون إلى المقاصد بإطلاق.

---

(١) انظر مقدمة كتابنا: المنتقى من الترغيب والترهيب (٤٦/١ ـ ٥٤)، نشــر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com



غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

٢ ـ المدرسة «المُعَطِّلة للنصوص» في مجال الشَّرِيعة، لا في مجال العقيدة كالمُعَطِّلة القدامى، وهؤلاء نقيض المدرسة السابقة تمامًا، فإذا كان هؤلاء لا ينظرون إلى المقاصد الكُلِّيَّة، فهؤلاء لا ينظرون إلى النصوص الجزئيَّة، من قرآن وسُنَّة، زاعمين أنَّهم يوافقون رُوح الإسلام، أو مقاصد الإسلام. بل يتجاوزون تلك النصوص عمدًا، باسم المصلحة أو التقدُّم، أو مواكبة العصر أو العولمة، أو الحداثة أو غير ذلك. مدعين أنَّ إمامهم في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الَّذي عطل النصوص باسم المصالح! وقد رددنا على هذه الدعاوى على عمر الفاروق، بالمنطق العلمي المُوَثَّق بالدليل في كتابنا: «السياسة الشرعيَّة».

٣ ـ وبين المدرستين تقوم «المدرسة الوسطيَّة» تعطي كلَّ جانب حقَّه: جانب النصِّ الجزئي، وجانب المقصد الكُلِّي، ولا تضرب أحدهما بالآخر.

## د ـ لا تعارض بين عقل صريح ونقل صحيح:

ومن ضوابط هذا المنهج: أنَّه لا يوجد عندنا نقل صحيح يتعارض مع عقل صريح، بل نرى دائمًا: التوافق بين صريح المعقول، وصحيح المنقول، أو بين الثابت عقلًا، والثابت دينًا وشرعًا.

**وأساس هذا:** أنَّ العقل نعمة من الله، والوحي نعمة أيضًا من الله، فكلاهما من آثار الألوهية البارة الرحيمة. وآثار الله تعالى لا تتناقض، ولا تتعارض. وإنَّما يحدث التعارض في أفهام النَّاس.

فقد يظن بعض النَّاس بعض الأمور من صلب الدين، ويجادلون عنها، ويتهمون من عارضها، وعند التحقيق يتبين أنَّها ليست من الدين في شيء، وأنَّها ألصقت بالدين وليست منه.

QaradawiBooks.com

وقد يكــون الأمــر بالعكس: أن يحســب بعض النَّــاس بعض النظريَّات أو الدعاوى العِلْميَّة: حقائق أثبتها العقل، وأيدها البرهان، وهي مجرَّد افتراضات لا أكثر من ذلك، أو تفسيرات أو استنتاجات قابلة للقياس. مثل نظريَّة «داروين»، الَّتــي خالفها فيها «الداروينيون الجدد»، ومثل نظريات بعض الفلاســفة القدماء في شــكل الكون، وغير ذلك.

وقد صنف الإمام ابن تيمية كتابًا في عشرة مجلدات في «درء تعارض العقل والنقل» مبينًا أنَّ العقل الحق لا يتعارض مع النقل الحق.

### هــ ـ الإيمان بســنن الله ورفــض المبالغــة في تصديــق الخوارق والأوهام:

ومن مظاهر العقلانيَّة ـ فــي فهم النصوص ـ الَّتي يؤمــن بها التيار الوسطي: إيمانه المطلق بسنن الله في الكون وفي الاجتماع البشري، وأنَّها لا تتبدل ولا تتحول، ومنها: احترام شبكة الأسباب والمسببات الَّتي أقام الله عليها هذا العالم بمن فيه وما فيه.

ومن هنا نرفض المبالغة في الخــوارق، ونرفض اتِّباع الأوهام، الَّتي لا تســتند إلى علمٍ موثَّق، ولا إلى وحيٍ مُصَدَّق، ولا إلى واقعٍ مشاهد، كأولئك الَّذين يزعمون أنَّ الجِنِّيَّ يدخل في جسم الإنسان، ويتسلَّط عليه ويتحكَّم فيــه، فهذا يتنافى مــع تكريم الله للإنســان وجعله في الأرض خليفة، وتسخير ما في السماوات وما في الأرض له، وقد أخبر سبحانه أنَّ الشــيطان يقول يوم القيامة للناس: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

QaradawiBooks.com

وكذلك رفضت البدعة الَّتي شاعت في بعض العواصم، وروَّج لها المروِّجون، وهي: العلاج بالقرآن، وفتح «عيادات» الاستشفاء بالقرآن. وهو أمر لم يفعله الصحابة ولا التابعون ولا أتباعهم، ولا المسلمون في عصورهم الذهبية، ولو لجؤوا إلى ذلك ما علا شأن الطبِّ عندهم وأصبحوا فيه مُعَلِّمي الدُّنْيا كُلِّها، وغدا لديهم أشهر الأطِبَّاء، وأشهر المراجع العِلْميَّة. وكان منهم من جمع بين علم الدِّين وعلم الطبِّ، مثل ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ)، والفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، وابن النَّفِيس (ت: ٦٨٧هـ) (مُكْتَشِف الدورة الدمويَّة الصغرى) وهو من فقهاء الشافعيَّة الَّذين ترجم لهم ابن السُّبْكي (ت: ٧٧١هـ) في كتابه «طبقات الشافعيَّة الكبرى»[(١)].

**و ـ فهم السُّنَّة في ضوء القرآن:**

وقد تحدَّثنا عن هذا الضابط المنهجي في كتابنا «كيف نتعامل مع السُّنَّة». فإنَّ من المُتَّفَق عليه: أنَّ القرآن هو المصدر الأول للإسلام: عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاقًا وقيمًا ومفاهيم، وأنَّ السُّنَّة هي الشارحة والمُبَيِّنة له، ويجب أنْ يظلَّ القرآن هو المحور الَّذي تدور حوله السُّنَّة، ولا تعارضه بحالٍ؛ إذ لا يجوز للبيان أنْ يعارض المبَيَّن، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد ذهب الإمام الشافعي إلى أنَّ السُّنَّة إنَّما هي ممَّا استنبطه النبيُّ ﷺ من القرآن، فتحريم الجمع بين المرأة وعَمَّتها وخالتها، إنَّما هو قياس على تحريم الجمع بين الأُخْتَيْن.

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣٠٥/٨) وما بعدها، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتّاح محمّد الحلو، نشر دار هجر، القاهرة، ط ٢، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

فإذا وجدنا سُنَّة تعارض القرآن معارضة حقيقيَّة، فإنَّ ذلك دليلٌ على الطعن في ثبوتها، ولهذا لم أقبل صحَّة حديث: «**الوائدةُ والموءودةُ في النَّار**»[1]. وإن صحَّحه مَن صحَّحه من كبار المُحَدِّثين، مثل الشيخ الألباني «في صحيح الجامع الصغير وزياداته»؛ لأنَّه يخالف القرآن الَّذي يقول: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]. وهو يوحي بأنَّها لا ذنب لها فتُقْتَل من أجله، فكيف يكون مصيرها النار؟ وكيف تدخل النار، وقد قُتِلَتْ طفلةً لم تبلغ من التكليف الَّذي يترتَّب عليه الثواب والعقاب؟

### ز ـ ربط النصوص بعضها ببعض:

وهذا ضابط مهمٌّ، فالقرآن يصدق بعضه بعضًا، ويفسر بعضه بعضًا، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. فلا بدَّ من جمع نصوصه في الموضوع الواحد، بعضها إلى بعض، حتَّى تتضح الصورة كاملة، فيحمل المُطْلَق على المُقَيَّد، والعامُّ على الخاصِّ، ويُبَيَّن المُجْمَل بالمُفَصَّل، وكذلك السُّنَّة بعضها ببعض، ونصوص القرآن والسُّنَّة جميعًا: لا يجوز أن ينظر إلى كلٍّ منهما نظرة منفصلة معزولة عن النصوص الأخرى، فهذا يوقع الباحث في الخطأ، وإن لم يقصد إليه.

ومن ذلك ردُّ المتشابهات إلى المحكمات، والظنِّيَّات إلى القطعيَّات، والجزئيَّات إلى الكُلِّيَّات، والفروع إلى الأصول، حتَّى يؤمن الزلل، والوقوع في الخطل والخلل.

(١) سبق تخريجه صـ ١٣٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## ح ـ عصمة مجموع الأُمَّة من الضلالة:

**وأخيرًا**، هناك ضابط في غاية الأهميَّة، يعصم دين الأُمَّة من التفكُّك والانحلال إلى أديانٍ شتَّى، وهو: أنَّ الله تعالى عصم هذه الأُمَّة أن تجتمع على ضلالة؛ لأنَّ هذه الأُمَّة هي آخر الأمم، ورسولها هو خاتم الرسل، وكتابها هو آخر الكتب المنزلة من عند الله. وقد تكفَّل الله بحفظه وصيانته، فلا يُحَرَّف ولا يتبدَّل، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ومن لوازم حفظ هذا الذكر (القرآن): أن يحفظ الله الأُمَّة الَّتي تحمله وتبلغه للناس. وحفظ الأُمَّة ليس بمجرَّد حفظ وجودها المادِّي، بل بحفظ وجودها المعنوي: أنْ تبقى حاملة لرسالتها، حامية لشريعتها، مُبَلِّغة لدعوتها. وذلك بوجود جماعات فيها ومنها، تحافظ على هُوِيَّتها، وتدافع عن وجودها المعنوي والرِّسالي، كما قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

كما صحَّت الأحاديث واستفاضت عن وجود طائفة من الأُمَّة تقوم على الحقِّ حتَّى يأتي أمر الله، وهم على ذلك، يسميهم العلماء «الطائفة المنصورة».

ومن المُؤكَّد: أنَّ القرون الأولى في هذه الأُمَّة هي خير القرون، لأنَّها أقرب إلى عهد النبوَّة، والاقتباس من أنواره. وما أجمعت عليه الأُمَّة في تلك القرون من العقائد والعبادات والمفاهيم والأخلاق والأحكام القطعيَّة: يجب أنْ يظل موضع احترام لا يجوز تجاوزه. فهو يمثل الثوابت لهذا الدِّين. ومن أراد الاجتهاد ـ ممَّن يملك مؤهلات الاجتهاد ـ وجب عليه أن يكون اجتهاده في إطار هذه المسَلَّمات.

QaradawiBooks.com

أمَّـا أن يأتي أناس قليلـو البضاعة من علوم الشـرع، وعلوم اللغة، ويخرجوا علينا باجتهادات ما أنزل الله بها من سلطان، تخالف دين الأمة الَّتي عرفته من كتاب ربها وسـنة رسـولها، بدعوى أنَّ لديهم «قراءاتٍ جديدة» للقرآن. قراءات تُنْشـئ لنا دِينًا جديدًا، وشرعًا جديدًا، لم يعرفه عمرُ ولا عليٌّ، ولم يدُرْ بخاطر ابن مسـعود أو ابن عبَّاس، ولا أحد من الصحابة أو التابعين، ولم يعرف أئمَّة الأُمَّة عنه شـيئًا. فهذا ما يجب أن يرفض منهجيًّا؛ لأنَّ هذا يجعل هذا الدين عجينة طريَّة، يُشَكِّله من يشاء كما يشـاء، ويمكن بذلك أن يكون لكلِّ عصرٍ دين، ولكلِّ بلدٍ دين، بل لكلِّ مجموعة دين، بل لكل شخص دين، ويكون الدين في هذه الحالة مُفَرِّقًا لا جامعًا. ولا يمكن أن تتكوَّن به أُمَّة واحدة.

لهذا قرَّر علماؤنا: أنَّ الأُمَّة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة. وهذا ما يجب على كلِّ باحث عن الحقِّ مراعاته والتزامه.

### الاختلاف في دلالة النَّصِّ:

أمَّا الَّذي يحتمل الخلاف، وتعـدُّد وجهات النظر، فهو دلالة النصِّ، سـواء أكان نصًّا قرآنيًّا، أم كان نصًّا حديثيًّا. فهنا معترك الأفهام، ومَزِلَّة الأقـدام. وفيه يطول الأخـذ والردُّ، والجذب والشـدُّ، بيـن المدارس المختلفة، والاتِّجاهات المتباينة.

والاختلاف هنا قد يكون أساسه عقليًّا، كما نرى ذلك واضحًا في الحَرْفيَّة (المدرسة الظاهريَّة) ومقابلها المدرسة المقاصديَّة، أو مدرسة الفحوى.

وقد يكون أسـاس الاختلاف نفسـيًّا، فهذا يميل إلى التيسير، وذاك يميل إلى التشديد، هذا يأخذ بالرخص، وذاك يأخذ بالعزائم، هذا يجنح إلى الأيسر، والآخر يجنح إلى الأحوط.

QaradawiBooks.com

ويُمَثِّل المدرستين: ما يُعْرَف في تراثنا برُخَص ابن عبَّاس وشدائد ابن عمر رضي الله عنهم جميعًا.

## مكانة العقل في الإسلام:

لا يجهل مسلم يملك الحد الأدنى من العلم بدينه: أنَّ الإسلام يُغالي بالعقل، ويُعلي من قيمته، ويعتبره مناط كل تكليف شرعي، فلا يخاطب بأحكام الشرع وتكاليفه إلَّا العقلاء، ومن فقد العقل ـ لصغر أو جنون ـ فقد عدم أهلية التكليف.

والقرآن ـ كتاب الإسلام ـ هو الكتاب الدِّيني الوحيد الَّذي ينوِّه بأولي الألباب، وأولي النُّهى، أي أصحاب العقول، وهو الدِّين الَّذي يُكَرِّر الأمر بالنظر والتفكر والتدبر، وكثيرًا ما ختمت آياته بمثل هذه الفواصل: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، كما حمل القرآن نصوص مثل قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾، ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ﴾، ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾، ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾، ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾، ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾، وجاء فيه مثل هذه العبارات الَّتي لم تُعهد قبله في ساحة أهل الأديان: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٨]، ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقد ألّفنا كتابًا كاملًا عن «العقل والعلم في القرآن» أبرزنا فيه قيمة العقل، وما يثمره من علم، في كتاب الله.

ومن أهم ما بيَّنَّاه في هذا الكتاب: أنَّ القرآن بتعاليمه وتوجيهاته عمل

QaradawiBooks.com

على إنشاء «العقليَّة العِلْميَّة»(١) الَّتي عليها تقوم النهضات، وتُبْنى الحضارات، وتتأسس المعارف والعلوم، وهي نقيض العقليَّة الخُرافيَّة، الَّتي تصدق كل ما يقال لها، ولو كان يرفضه العقل والنقل.

وهذه العقليَّة أسَّسها القرآن على سبع ركائز، بيَّنَّاها بتفصيل من قبل، ونسردها هنا مركَّزة:

١ ـ رفض الظنِّ في موضع اليقين، كما قال تعالى في ذمِّ المشركين ومنهجهم ﴿**وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [النجم: ٢٨]، ﴿**قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

٢ ـ رفض اتِّباع الهوى، وتحكيم العواطف، فهذا يؤثِّر في النظرة العِلْميَّة والموضوعيَّة للأشياء. قال تعالى: ﴿**وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [النجم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ [ص: ٢٦].

٣ ـ رفض التقليد الأعمى للآباء والأجداد، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠].

٤ ـ رفض التبعية للسادة والكبراء، كما قال سبحانه: ﴿**وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠**﴾ [الأحزاب: ٦٧]. وحمَّل القرآن الشعوب تبعة هذه التبعية، فقال: ﴿**فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ**﴾ [هود: ٩٧، ٩٨].

(١) انظر كتابنا: العقل والعلم في القرآن الكريم صـ ٢٤٧ ـ ٢٨٢، الفصل الخامس، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

٥ ـ الدعوة إلى النظر والتَّفكُّر في الكون والإنسان، أو في الآفاق وفي الأنفس، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٦ ـ ضرورة إقامة الدليل على أيِّ دعوى: الدليل النقلي في الشرعيَّات: ﴿قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، والبرهان العقلي في العَقَدِيَّات والعقليات: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. ودليل المشاهدة في الحِسِّيَّات أو ما يمكن أنْ يُرى. كما قال ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ﴾ [الزخرف: ١٩].

٧ ـ رعاية سنن الله في الكون والمجتمع، وهي سنن لا تتبدَّل ولا تتحوَّل. كما قال تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

ومن هنا أنكر النبيُّ ﷺ السِّحْر والتنجيم وتعليق التمائم، والتبرُّك بالأشجار والأحجار، وكل ما لا يقوم على نظام الأسباب والمُسَبَّبات، إنَّما يقوم على الأوهام والأباطيل.

## العقل أساس النقل:

يقول علماء الكلام أو أصول الدِّين: إنَّ العقل أساس النقل، يعنون: أنَّ الوحي إنَّما ثبت بطريق العقل. فالعقل هو الَّذي دلَّ على إمكان الوحي الإلٰهي للبشر، ودلَّل على الحكمة فيه، ودلَّل على وقوعه بالفعل،

QaradawiBooks.com

وأقام البرهان على صحَّة نبوَّة مُحمَّد ﷺ وصدق رسالته، فلو فقدنا الثقة بالعقل لانهار النقل أيضًا، إذ لم يثبت إلَّا به.

ولهذا كان أوَّل ما درسناه في «علم العقائد» في كلية أصول الدين بالأزهر، هو: تقرير الثقة بالعقل، وذلك في قول الإمام النسفي في أوَّل جملة استفتح بها رسالته في العقائد: قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق، خلافًا للسوفسطائية. وأسباب العلم للخلق ثلاثة: الحواس السليمة، والعقل، والخبر الصادق[1].

ولكن العقل بعد أنْ يقيم الأدلَّة القاطعة على نُبُوَّة مُحمَّد ﷺ، وأنَّه رسول الله حقًّا، وأنَّ الكتاب الَّذي جاء به إنَّما هو من عند الله، ليس له فيه إلَّا التلقي والحفظ ثمَّ التبليغ إلى النَّاس، بعد ذلك يعزل العقل نفسه كما قال الإمام الغزالي[2] ليتلقَّى بعد ذلك عن الوحي ما يخبر الله به من حقائق الوجود وعوالم الغيب، كما يتلقَّى عنه أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

## عناية القرآن بالعقل فعلًا وقوَّة:

ولقد ذكر بعض الباحثين: أنَّ القرآن عُني بالعقل من حيث هو فعل، مثل: «عقِل» و«يعقل» ولم يعنَ به من حيث هو جوهر أو قوة، يتم بها التعقل والتفكير.

وهذه في الواقع نظرة قاصرة لما جاء في القرآن عن العقل، فإنَّ

(١) انظر: العقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني صـ ١٣ ـ ١٥، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧م.

(٢) انظر: المستصفى صـ ٦.

QaradawiBooks.com

القرآن الكريم قد عُني بالأمرين معًا، وقد غفل الباحث أنَّ القرآن عُني بالعقل باعتباره جوهرًا أو قوة حين نوّه في ستة عشر موضعا في كتاب الله بـ «أولي الألباب» فالألباب: جمع لُبٍّ، واللُّبُّ هو: العقل. كأنَّ القرآن يعتبر «العقل» هو لُباب الإنسان، والجسم هو القِشْرة، أو الغُلَاف. وقد تحدَّثنا عن هذا التعبير في كتابنا: «العقل والعلم في القرآن»[1].

كما عبّر القرآن عن العقل بـ «الفؤاد» في آيات كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، ومعنى هذا: أنَّ الله أعطى الإنسان أدواتِ الإدراك والتَّجْرِبة، والفؤاد ـ الَّذي هو العقل ـ وهو أداة التفكير المنطقي والاستدلال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وأحيانًا يُعبّر القرآن عن العقل بالقلب كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال تعالى في شأن أهل جهنَّم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

(١) انظر كتابنا: العقل والعلم في القرآن الكريم صـ ٢٢ وما بعدها.

QaradawiBooks.com

وقد يعبر القرآن عن العقل أو العقول بـ «النُّهى» كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

## شهادات المُنْصِفِين من المُفَكِّرين الغربيِّين:

إنَّ «العقلانيَّة» في القرآن أمرٌ واضحٌ تمام الوضوح، لا يُخطئه أي قارئ للقرآن برئ من العصبيَّة والتقليد، بل يجدها مبثوثة في ثنايا سوره: مكِّيَّة كانت أو مَدَنِيَّة، وليس هذا قول المسلمين وحدهم، بل هذا ما شهد به كثير من الغربيِّين المُنْصِفين بوضوح.

## شهادة جاك بيرك:

وآخر من قرأنا لهم ذلك: ما قاله كبير المستشرقين الفرنسيين المعاصرين، أو كما يُعبِّر هو عن نفسه بأنَّه «مستعرب» وليس بـ «مستشرق»، وهو العالم الاجتماعي الكبير المعروف في عالم الفكر والثقافة: الأستاذ «جاك بيرك»، الَّذي ترجم معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية، بعد أن قضى في ذلك، عشرين عامًا أو تزيد، وقال في ذلك: «لقد تبينت لي بوضوح (عقلانيَّة القرآن) في كلِّ سورة من سوره، وفي كلِّ آية من آياته، وذلك ثمرة مصاحبة ومعايشة طويلة للقرآن».

## شهادة ماكسيم رودنسون:

وهناك شهادة أخرى أكثر تفصيلًا وبيانًا، نجدها في فصل «العقيدة القرآنيَّة» من كتاب الكاتب اليهودي الماركسي الفرنسي المعروف «ماكسيم رودنسون»، الَّذي ألّفه عن «الإسلام والرأسمالية». فرغم ما في الكتاب من مآخذ، نجده ينصف الإسلام ـ أو القرآن ـ في هذا الجانب، ولا بأس أن أنقل بعض فقرات من هذا الفصل.

QaradawiBooks.com

يقول «رودنســـون»: «القرآن كتاب مقدس، تحتل فيه العقلانيَّة مكانًا جد كبير، فالله لا ينفك فيه يناقش ويقيـم البراهين. بل إنَّ أكثر ما يلفت النظر هو أنَّ الوحي نفسه، هو الوحي الَّذي أنزله الله على مختلف الرسل عبر العصور، وعلى خاتمهم مُحَمَّد، يعتبره القرآن هو نفسه أداة للبرهان. فهو في مناسـبات عديدة يكرِّر لنا أنَّ الرسـل قد جاؤوا بالبيّنات. فإذا تساءلت: ما الَّذي يضمن صحَّة الدلالة في هذه البينات، بدا لك أنَّ هذه الضمانة لدى مُحمَّد تكمن في معايير من التلاحم الداخلي، من التوافق الجوهري بين مختلف ما أنزل من وحي في حقب مختلفة، على شعوب مختلفة، وبواسطة رسل مختلفين. بل إنَّ الوحي الَّذي أنزل على مُحمَّد نفســه: يضمنه أنَّه متماثل جوهريًّا مع الوحي الَّـــذي أنزل على غيره من قبل، والَّذي يبدو له أمرًا وثَّقه التاريخ. وهو لا يألو يتحدَّى معارضيه أنْ يأتوا بوحي مثله، وحي يحمل نفس السمات الإلهيَّة شكلًا ومضمونًا، أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى ممَّا أنزل على موسى وعلى مُحمَّد... فإذا لم يقبلوا هذه المعايير، ففي المســتطاع اللجوء إلى محاكمة تماثل «الرهان» المعروف لدى «باسـكال». وذلك هـــو ما يفعله مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه؛ دفاعًا عن موسى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

والقرآن ما ينفك يقدم البراهين العقلانيَّة علـى القدرة الإلهيَّة: ففي خلق السـماوات والأرض، واختلاف الليل والنهـار، وتوالد الحيوان، ودوران الكواكـب والأفلاك، وتنوع خيرات الحيـاة الحيوانية والنباتية، تنـوعٌ رائـع التطابـق مـع حاجـات البشـر، ﴿لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

QaradawiBooks.com

يقول المُؤَلِّف: وفعل «عَقَل» بمعنى: ربط الأفكار بعضها ببعض، فهو «البرهان العقلي» يتكرَّر في القرآن حوالي خمسين مرَّة. ويتكرَّر ثلاث عَشْرة مرَّة هذا السؤال الاستنكاري، وكأنَّه لازمة: «أفلا تعقلون»؟ والكُفَّار، أولئك الَّذين يرفضون الاستماع إلى دعوة مُحَمَّد، يوصفون بأنَّهم «قومٌ لا يعقلون»، لأنَّهم قاصرون عن أي جَهْد عقلي يَهُزُّ تقاليدهم الموروثة، وهم بهذا كالجمادات والأنعام، بل أكثر عجمة، ولذلك كان الأب (هنري لامنس) على حقٍّ في قوله: إنَّ مُحَمَّدًا «ليس بعيدًا عن اعتبار الكفر عاهة من عاهات الفكر البشري»!

فالكُفَّار ككُلِّ المحافظين في كلِّ العصور يقولون: إنَّه يكفيهم أن يتبعوا ما كان عليه آباؤهم، ومُحَمَّد ككلِّ المُجَدِّدين تستثيره هذه الحماقة: أفلا يدركون أنَّ آباءهم قد أهملوا فكرهم قبل أن يضعوا قواعد حياتهم؟ ولذلك يكره الله هؤلاء النَّاس، الَّذين لا يريدون أن يعيدوا النظر في أسس تفكيرهم. ولئن كان يرسل الآيات على وجوده وإرادته، وأهمُّها الآيات المُنزلة على نبيِّه مُحَمَّد، فلكي يفهمها النَّاس، ويجعلوا منها أساسًا لتفكيرهم. ونرى الله يُقَدِّم البيِّنة الفاصلة، ثمَّ يختتم البرهان بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]، ولما كان الإنسان حرًّا، فأقصى ما يسع اللهَ، اللهُ فعله[1]: هو أن يضع أمامهم هذه الآيات، هذه البيِّنات الَّتي ستكون حاسمة قاطعة بمجرد أن يعملوا حواسهم، وملكة المحاكمة فيهم. فإن فعلوا فلعلَّها تهديهم إلى الإيمان. فإن اهتدوا كانوا «عالِمين»، وكان لهم نصيب ممَّا جاء الرسول من العلم، هذا العلم الَّذي هو نقيض الجاهليَّة والجهل، جهل الإنسان البدائي قبل الوحي الَّذي يأتي بالحق والصدق. وأمَّا من ظلَّ على

(١) هكذا تعبير المؤلف، أو لفظ المترجم!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كفره فهو الجاهل بإرادته، ذلك الَّـذي ﴿يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [لقمان: ٢٠] ولأمثال هذا يجب أنْ يقال: ﴿هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

على أنَّ الفهم العقلي للحقيقة لا يكفي وحده، فيهود المدينة مثلًا كانوا يفهمون الدعوة كل الفهم، ولكنَّهم كانوا لا يلبثون أن يُحَرِّفوها عامدين. وكذلك ينبغي الانتقال من العقل المحض إلى العقل العملي، وإدراك أنَّ الخير والمصلحة هما في اتِّباع ما أمر به الله، والالتحام بالجماعة الَّتي يبنيها رسوله بأمر منه»(١).

## اللاهوت القرآني في دقَّة الرياضيَّات:

وينقل «رودنسون» عن دراسة لـ «شارل توراي» عن مصطلحات اللاهوت في القرآن قوله: «من الصعب أن يتصوَّر المرء لاهوتًا أكثر دقَّة رياضيَّة». ويُعَلِّق «رودنسون» قائلًا: «ودقَّة الرياضيَّات تفترض العقلانيَّة، وهذا بالطبع لا يعني أن كل الأشياء، في هذه العقيدة القرآنيَّة، تُدرك بالعقل، فكثير منها لا يبلغه العقل، وهذه بالذات آية من آيات الله على قدرته وعلى إحاطة علمه، وهذه الأشياء الَّتي لا قِبَلَ للعقل البشري أنْ يدركها بقوته وحدها، يكشف الله للناس عن بعض منها بواسطة أنبيائه، أمَّا باقيها فيظل إلى الأبد في عالم الغيب، ومهمة العقل هي أن يفهم صدق ما تقوله رسالات الرسل عن المجهول الَّذي لا طاقة له على معرفته، وأن يدرك أيضًا أن مصلحته هي في إطاعة تعاليمهم»(٢).

(١) انظر: الإسلام والرأسمالية صـ ١٣٤ ـ ١٣٨، ترجمة نزيه الحكيم، فصل: العقيدة القرآنية، نشر دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

(٢) انظر: الإسلام والرأسمالية صـ ١٣٩، فصل: العقيدة القرآنية.

QaradawiBooks.com

وبعد حديــث طويل عن العَهْدَيــن القديم والجديــد، وموقف الآباء والأحبار من العلاقة بين الإيمان والعقل، ينقل عن القديس الشهير «توما الأكويني» في القرن الثالث عشر الميلادي قوله: «إنَّ صفات الله غير المرئيَّة يحيط بها الإيمــان بطريقة لا يســتطيعها العقل الطبيعــي حين يرقى من المخلوقات إلى الخالق، مثلًا إذا رفض المرء ـ أو لم يرد حَقًّا ـ أن يؤمن إلَّا بواسطة العقل الإنساني، فإنَّ إدخال العقل يحطُّ من قدر الإيمان»!

ويعقب «رودنسون» على ذلك بقوله: «في مقابل هذا، تبدو العقلانيَّة القرآنيَّة صلبة كأنَّها الصخر»[(١)]!

## ٢ ـ حاجة البشر إلى الوحي:

مع إيمان التيار الوســطي بمنزلة العقل في الإســلام، وما نيط به من مهامَّ في فقه الدين، ومعرفة الدُّنيا، وما قام بــه القرآن من تكوين العقليَّة العِلْميَّة: يظل العقل الإنساني محدودًا في معرفته بحدود الزمان والمكان، والخبرة والقدرة البشــريَّة. وتظل هناك معارف محجوبة عنه لا يســتطيع إدراكها ولا الوصول إليها، لأنَّها فوق طاقتــه، وليس من اختصاصه. مثل معرفة العالم غير المنظور (عالم الغيب) وما فيه من الملائكة والكرســي والعرش، ومثل الدار الآخرة وما فيها من حساب وميزان، وثواب وعقاب، وجنة ونار.. ومثل معرفة صفات خالق الكون، وبارئ الإنســان، وواهب الحياة، الَّــذي عرفه الإنســان بفطرته وعقله بالإجمــال، ولكنَّه لا يعرف أســماءه وصفاته.. ومثل ما يحبُّه الله تعالى ويطلبه من عباده من التكاليف الَّتي ترضيه عنهم، وما يغضبه من الأخلاق والأعمال الَّتي تسخطه عليهم.

---

(١) الإسلام والرأسمالية صـ ١٥٠.

QaradawiBooks.com

ثمَّ إنَّ هناك قضايا كبيرة يختلف فيها البشر اختلافًا كثيرًا، ويحتاجون إلى كلمة فصل بينهم، من سلطة أعلى منهم، تملك حق أمرهم ونهيهم. ولا يملك هذه السلطة إلَّا رب النَّاس، ملك النَّاس، إلٰه النَّاس، الله وحده. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وبهذا كان النَّاس في حاجة إلى الوحي الإلٰهي، ليهدي النَّاس إلى الَّتي هي أقوم، ينزله الله على من اصطفاهم من خلقه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

إنَّ الوحي الربَّاني هو الَّذي يُسَدِّد العقل إذا أخطأ، ويرشده إذا ضلَّ، ويأخذ بيده في مفارق الطرقات، وهو منارة النَّاس في الظلمات، وملاذهم إذا عميت عليهم المسالك، والتبست عليهم الغايات، واختلفت عليهم الأدلَّة.

فإذا كان العقل نورًا من الله للإنسان، فإنَّ الوحي نورٌ أقوى منه وأثبت، يكمله ويُقَوِّيه ويُسَدِّده، فهو كما قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

## هل يُغْني الفلاسفة عن الأنبياء؟

وربما قال بعضهم: ألا يكفي البشر أن يكون فيهم بين الحين والآخر: عباقرة لهم عقول كبيرة، يستطيعون أن يهدوهم إذا ضلوا، وأن يقوموهم إذا انحرفوا، وأن يحكموا بينهم إذا اختلفوا؟ مثل الفلاسفة الَّذين ظهروا في بلاد وعصور شتَّى.

QaradawiBooks.com

ونقول بصراحة: لقد أثبت تاريخ الفكر الإنساني عجزه أن يقوم بهذه المهمَّة، وأثبت بكل وضوح عجز الفلاسفة الكبار عن الهداية والتقويم والإصلاح والحكم بين المختلفين.

**ركام الفلسفات وتناقضاتها:**

اقرأ تاريخ الفلسفة والفكر في الشرق والغرب، وأجل بصرك في المدارس الفلسفية هنا وهناك قديمًا وحديثًا، فماذا تجد؟

تجد المثاليين من الفلاسفة يعارضهم الواقعيون، وتجد الروحيين منهم يناقضهم الماديون، وتجد الإلهيين يصارعهم الملحدون، وتجد دعاة الواجب في مقابلة دعاة المنفعة.

وتجد من ينادي بالرجوع إلى الضمير، ومن يُصَرِّح بأنَّ الضمير خرافة!

والقائلين بخيريَّة الإنسان، والقائلين بأنَّه ذئب مُقَنَّع!

وتجد الذاهبين إلى أنَّ الأصل في العالم الثبات، والمعارضين لهم أنَّ الأصل هو الصيرورة والتغيُّر، والمنادين بالفلسفة الفرديَّة، والداعين إلى الفلسفة الجماعيَّة، والداعين إلى الديمقراطيَّة، والمُؤَيِّدين للديكتاتوريَّة، والمُتَحَمِّسين لرعاية القيم والأخلاق، والقائلين بأنَّ الغاية تُبَرِّرُ الوسيلة، والمؤمنين بإنسانيَّة واحدة، والمُتَعَصِّبين لنظريَّة تفاضل الأجناس، وتجد من يقول بفلسفة القوَّة، ومن يدعو إلى فلسفة الحقِّ.

وكلُّ فريقٍ يزعم أنَّ الصواب معه، وأنَّ الخطأ عند غيره، وكلُّهم من العقل يستمدُّون، وعنه يَصْدُرون(١)!

---

(١) انظر كتابنا: المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة صـ ٣٢١، فصل: تقديم العقل على الشرع، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

بل وجدنا في مدارس الفلسفة من ينكر وجود أي حقيقة كانت، فلا الدين حقيقة، ولا الدُّنْيا حقيقة، لا الله حقيقة، ولا الإنسان حقيقة، حتَّى أنكروا وجودهم ذاته!

وهؤلاء هم الَّذين يُسَمُّونهم «العِناديَّة»، أي: المعاندين لوجود الحقائق في أيِّ مجال.

وهناك من قالوا بنسبيَّة الحقائق كلِّها، فلا توجد حقيقة مطلقة في أي شيء. فالحقيقة كل الحقيقة عند زيد، لا مانع في أن تكون هي الباطل كل الباطل عند عمرو. وكلاهما صواب، وهؤلاء يسمونهم «العِنْدية».

وهناك من شككوا في الحقائق كلِّها، ولما قيل لهم: إذنْ هناك حقيقة أقررتم بها، وهي الشك في ثبوت الحقيقة، قالوا: نحن نشك، ونشك في أننا نشك! وهؤلاء هم الَّذين يسمونهم «اللاأدرية» أي الَّذين يقولون في كلِّ قضيَّة: لا ندري!

وهكذا كانت الفلسفة «السوفسطائية» الَّتي واجهها سقراط، والَّتي لا تزال تظهر وتتجدد في صور وأشكال مختلفة، وبأسماء مختلفة.

وهذا التعارض في اتِّجاهات الفكر، وثمرات العقل، هو الَّذي جعل أحد أساتذة الفلسفة[1] يقول: إنَّ الفلسفة لا رأي لها. يعني: أنك تجد في الفلسفة الشيء وضده، والرأي ونقيضه، فهي بهذا لن تشفي لك عِلَّة، ولن تنقع لك غُلَّة.

ثُمَّ إنَّ العقل البشرى تَحُدُّه وتُؤَثِّر فيه أوضاع المكان والزمان، أيْ ظروف البيئة والعصر، البيئة الجغرافيَّة، والبيئة الاجتماعيَّة والثقافيَّة، كما

(١) هو: شيخنا وأستاذنا الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود، أستاذ الفلسفة في كلية أصول الدين بالأزهر، وشيخ الأزهر بعد ذلك.

QaradawiBooks.com

تحدُّه وتحكمه طاقة الإنسـان وقدرته على المعرفة، من خلال وسـائل وأدوات هي محدودة أيضًا.

وفوق ذلك كله، نجد هذا العقل، مهما يحـاول التجرد من الذاتية، كثيرًا ما يقع ـ بوعي أو بغير وعي ـ أسيرًا للمؤثرات والميول الشخصية والحزبية، والإقليمية والعنصرية، والمحلية والطائفية وغيرها، ممَّا يوجه أحكامه وجهة معينة بعيدة عن الحياد والموضوعيَّة.

وقد رأينا العقول البشريَّة حين سـارت وحدها بمعزل عن هدى الله تعالى ونوره، ضلَّت ضـلالًا بعيدًا، فعبدت ما لا يسـتحقُّ أنْ يُعبد من الحيوان والنبات والجماد، وحرَّمت على نفسـها الحلال باسـم الآلهة المزعومة، واسـتحلَّت الحـرام القبيح، مثل قتـل الأولاد من إملاقٍ أو خشيةَ إملاق، وقسَّم النَّاس أنفسهم طبقات شتَّى يعلو بعضها على بعض، وكلُّهم من خلق الله تعالى.

ولم يسلم من ذلك كبار الفلاسـفة، حتَّى رأينا مثل «أفلاطون» يقول بشيوعيَّة الأطفال والنساء!

ورأينا مثل «أرسـطو» يقول بتفاضل العروق والأمم، ويقول بصريح العبارة: اليوناني سـيِّد حـرٌّ، والأجنبيُّ (البربري) عبدٌ له، ولا يسـتعبد اليوناني أخاه!

ويُعَلِّق مُؤَرِّخ الفلسـفة الأسـتاذ يوسـف كرم على هذا، فيقول: لم يستطعْ أرسطو أنْ يسمو فوق عُرْف عصره[1].

(١) انظر: تاريخ الفلسـفة اليونانية ليوسف كرم صـ ٢٠٣، نشـر لجنة التأليف والترجمة، ط٦، والتفكير الفلسفي في الإسـلام لسليمان دنيا صـ ٢٩٤، نشـر مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

**حصاد الفلسفة:**

ما حصاد الفلسفة خلال القرون القديمة والوسيطة والحديثة؟ ما الَّذي قدمته الفلسفة للبشريَّة من هداية للعقل. أو طمأنينة للقلب، أو سكينة للروح؟ إنَّها أثارت أسئلة عويصة ولم تجب دائمًا عنها، أو أجابت إجابات ينقض بعضها بعضًا!

إنَّها هدمت أكثر ممَّا بنت، وتكلمت كثيرًا، وكان السكوت أحيانًا خيرًا لها ولأهلها، لو كانوا يعلمون.

وها هو أحد مؤرخي الفلسفة في عصرنا، وهو أحد أنصارها، والمعجبين بها «وِلْ ديورانت» الأمريكي صاحب الكتاب الشهير في التاريخ «قصة الحضارة»، يقول في كتابه الَّذي سماه «مباهج الفلسفة» مبينًا الحصيلة الأخيرة من وراء مشوارها الطويل:

«ما طبيعة العالم؟ ما مادته وما صورته؟ وما مكوناته وهيكله؟ وما مواده الأولى وقوانينه؟ ما المادَّة في كيفها الباطن، وفي جوهر وجودها الغامض؟ ما العقل؟ أهو على الدوام مُتَمَيِّزٌ عن المادَّة وذو سلطان عليها؟ أم هو أحد مشتقات المادَّة وعبد لها؟ أيكون كلا العالَمَيْن: الخارجي الَّذي ندركه بالحسِّ، والباطني الَّذي نُحِسُّه في الشعور، عُرضة لقوانين ميكانيكيَّة أو حتميَّة، كما قال الشاعر: «ما يكتبه الخالق في مطلع النهار نقرؤه في آخر النهار»؟ أم ثمَّة في المادَّة أو العقل، أو في كليهما، عنصر من الاتِّفاق والتلقائيَّة والحُرِّيَّة... هذه أسئلة يسألها قلَّة من النَّاس، ويجيب عليها جميع النَّاس. وهي منابع فلسفاتنا الأخيرة، الَّتي يجب أن يعتمد عليها في نهاية الأمر كلِّ شيء آخر، في نظامٍ متماسكٍ من الفكر. إنَّنا نُؤْثِر معرفة الإجابات عن هذه الأسئلة على امتلاك سائر خيرات الأرض.

QaradawiBooks.com

ولنسلم أنفسنا في الحال لإخفاق لا مناص منه. لا لأنَّ هذا الباب من الفلسـفة يحتاج في إتقانه إلى معرفة كاملة ومناسبة بالرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والميكانيكا وعلم الحياة وعلم النفس، فقط، بل لأنَّه ليس من المعقول أنْ نتوقع من الجزء أن يفهم الكل! فهذه النظرة الكُلِّيَّة ـ وهي فتنتنا في هـذه المغامرات اللطيفة ـ ستبعد عـن فكرنا جميع الفخاخ والمفاتن. ويكفي أن نأخذ أنفسنا بقليل من التواضع وشيء من الأمانة، لنتأكد من أنَّ الحيـاة والعالم في غاية التعقيـد والدقة، بحيث يصعب على عقولنا الحبيسـة إدراكهمـا. وأكبر الظـن أنَّ أكثر نظرياتنا تبجيلًا قد يكون موضع السـخرية والأسـف عند الآلهـة العليمة بكل شيء[1]. فكل ما نستطيع أن نفعله هو أن نفخر باكتشاف مهاوي جهلنا! وكلما كثر علمنـا قلَّت معرفتنـا، لأنَّ كل خطوة نتقدمها تكشـف عن غوامض جديدة، وشـكوك جديدة. «فالجزيء» يكشـف عـن «الذرة»، والذرة عن الإلكترون «الكهيرب»، والإلكترون عن الكوانتوم (Quantum) «الكويميَّة» ويتحدَّى الكوانتوم سـائر مقولاتنـا (Categories) وقوانيننا وينطوي عليها. والتعليم تجديد في العقائد وتقدم في الشك. وآلاتنا كما نرى مرتبطة بالمادة، وحواسـنا بالعقل. وفي خـلال هذا الضباب يجب علينا نحن (الزغب على الماء) أن نفهم البحر!

وينتهي «وِلْ ديورانت» إلى هذه النتيجة فيقول:

«ألنا أنْ نقرِّر أنَّ الفلسـفة تناقض نفسها باستمرار مع تتابع مذاهبها، وأنَّ الفلاسـفة جميعًا خاضعون لثورة جنون قتل الإخْوة!؟ فلا يهدأ لهم بال؛ حتَّى يحطموا كل منافس يطالب بارتقاء عرش الحقيقة؟ وكيف يجد

(١) هذا التعبير وأمثاله شـائع في الفكر الغربي، وهـو من تأثير العقائـد الوثنية القديمة لدى الإغريق والرومان. والعقلية الغربية قلّما تعرف التوحيد المُصَفَّى.

QaradawiBooks.com

الإنسان المشغول بالحياة من فسحة الوقت ما يفسر به هذه المتناقضات، أو ما يهدئ به هذه الحرب»[١] انتهى.

هذه هي ثمرة الفلسفة في النهاية، لم تحل مشكلة، ولم توفر للناس نهجًا صالحًا، يشفي الصدور، ويقنع العقول، وتطمئن به القلوب. ومن هنا بدت حاجة البشر إلى مُعِين، يسدده إذا أخطأ، ويرشده إلى ما لا سبيل إلى معرفته من شؤون الغيب، ويحكم بين العقول إذا اختلفت، ولم تجد فيما بينها من تحتكم إليه؛ فيضع له من المعايير والقواعد والتوجيهات ما يضيء له الطريق، ولم يكن إلَّا الوحي الإلٰهي ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

### ٣ ـ هل ألغى الوحي دور العقل؟

ربما يقول بعض العقلانيين: إذا كان الإسلام منهجًا إلهيًّا وضعه رب النَّاس للناس. أفليس معنى هذا هو إلغاء دور الإنسان وعقله أمام هذا المنهج، وتنحيته من طريقه، والحكم عليه بالسلبية المطلقة تجاهه، فليس له إلَّا التلقي والتنفيذ والتسليم، دون أن يقول: لِمَ؟ أو كيف؟ إذ لا تكافؤ بين الوحي الإلٰهي والعقل الإنساني، فإذا قال الوحي كلمته، فليس على العقل إلَّا الإذعان والتسليم؟

ونقول في الإجابة عن هذا التساؤل:

### الوحي لم يلغِ دور العقل:

إنَّ القدر الإلٰهي لم يلغِ دور «إرادة» الإنسان، وفاعليته في الكون، مع وجود يد الله تعالى فيه، ومع انعدام التكافؤ بين الإرادة الإلهيَّة، والإرادة الإنسانيَّة، أو بين قدرة الخالق، وقدرة المخلوق.

---

(١) انظر: مباهج الفلسفة لول ديورانت صـ ٦١، ٦٢.

QaradawiBooks.com

وكذلك لا يُلْغِي الوحي الإلٰهي دور «العقل الإنساني»، وإيجابيته في فهم الوحي، والاستنباط منه والقياس عليه، وملء ما سكت عنه من فراغات تشريعية.

إنَّ وجود النص الإلٰهي المقدس، ليس عائقًا للعقل عن التحليق والإبداع، فقد ترك الوحي للعقل مجالات شتَّى يثبت فيها ذاته، ويبرز قدراته.

لقد ترك الوحي للعقل أمورًا كثيرة في مجالات متعددة:

## ما تركه الوحي للعقل في مجال العقيدة:

أ ـ ترك للعقل في مجال العقيدة: أن يهتدي إلى أعظم حقيقتين في هذا الوجود:

**الحقيقة الأولى:** وجود الله ووحدانيته، فوجود الله ـ كما تهدي إليه الفطرة السليمة ـ يقتضيه كذلك النظر الصحيح، والعقل الصريح، ولا غرو إذا أقام القرآن الأدلَّة من الكون ومن النفس على وجود الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

ويتبع ذلك الأدلَّة العقليَّة الَّتي ذكرها القرآن على وحدانيَّة الله بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

وفي موضع آخر يقول: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۞ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣].

QaradawiBooks.com

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

**الحقيقة الثانية**: ثبوت الوحي والنبوَّة والرسالة. فالعقل هو الَّذي يثبت إمكان ذلك ووقوعه بالفعل، وأنَّ هذا الشخص المعين رسول من عند الله. العقل هو الحكم الأول والأخير في هذه القضيَّة، ولا مدخل هنا للاستدلال بالنقل ونصوص الوحي، إذ كيف يستدل بما لم يثبت بعد؟ ولهذا قال علماء الإسلام: إنَّ العقل أساس النقل، ذلك أنَّ العقل ـ بعد اقتناعه بوجود الله تعالى وكماله سبحانه ـ يعلم أنَّ من تمام حكمة الحكيم، ورحمة الرحيم: ألَّا يترك عباده سدًى، وألَّا يدعهم في بحر لجيّ من الجهالة والعمى والغيِّ، وهو قادر على أنْ يهديهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور عن طريق مبلغين عنه.

والعقل بعد أن يعلم ذلك، لا يسلم لكلٍّ من ادَّعى أنَّه رسول من الله، بل يطالبه بما يثبت صحَّة دعواه، وأنَّه لا يمثل نفسه، وإنَّما يمثل إرادة الله الَّذي أرسله، فيطالبه بالآية المعجزة الَّتي لا يقدر عليها إلَّا الله تعالى.

والعقل هو الَّذي يميز بين الآيات المعجزة الحقيقيَّة، الَّتي لا تظهر إلَّا على أيدي رسل الله حقًّا وبين مظاهر الخفة والشعوذة الَّتي تظهر على أيدي السحرة والدجالين.

والعقل هو الَّذي يعرف وجه دلالة المعجزة الخارقة على صدق من أظهرها الله على يديه، وأنَّها تصديق من الله له في دعواه، فهي بمثابة قوله: صدق عبدي فيما يبلغ عني. والله تعالى لا يُصَدِّق الكاذب؛ لأنَّ تصديق الكاذب كذب، والكذب محال على الله تعالى. كل هذه مقدمات عقليَّة محضة، ولولاها ما ثبت الوحي أصلًا، ولا قام الدين رأسًا.

QaradawiBooks.com

والعقل ينظر في سيرة كلِّ شخص يدَّعي الرسالة، ويتأمل في صفاته وأخلاقه، وأقواله وأعماله، ومدخله ومخرجه، ليعرف منها: هل هو أهل لاصطفاء الله، فيقبله ويتبعه؟ أو ليس كذلك، فيرفضه ويعرض عنه؟

ومن أجل ذلك احتكم القرآن في إثبات صدق رسالة مُحمَّد ﷺ إلى العقول المُفكِّرة وحدها، فقال في صرامة ووضوح: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

وقال يخاطب الرسول عن القرآن: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

## ما تركه الوحي للعقل في مجال التشريع.

ب ـ وترك الوحي للعقل في مجال التشريع: أنْ يجول ويصول في أمرين:

**الأول**: في فهم النصوص، والاستنباط منها، وربطها بعضها ببعض، ورد فروعها إلى أصولها، وظواهرها إلى مقاصدها، ووصلها بالمقصد العام للإسلام، وحمل مُطْلَقها على مُقَيَّدها، وخاصِّها على عامِّها، وتبيين مُجْمَلِها بمُفَصَّلها، وهنا تتفاضل العقول، وتتفاوت الأفهام ما بين مدرسة الأثر، ومدرسة الرأي، ومدرسة الظاهر، ومدرسة المقاصد، وما بين مُيَسِّر ومُشَدِّد، سُنَّة الله في الخلق.

**والأمر الثاني**: فيما لا نصَّ فيه، وهذا مجال رَحْب، وترك هذا المجال مقصود من الشارع، وهو ما سمَّيناه «منطقة العفو» أخذًا من الحديث

QaradawiBooks.com

النبوي الَّذي رواه أبو الدرداء مرفوعًا: «**ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه عفوٌ، فاقبلوا من الله عافيته، فإنَّ الله لم يكنْ ليَنْسَى شيئًا**» ثمَّ تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][(١)]. وهذه المنطقة يملؤها المجتهد بالقياس على المنصوص بشروطه، أو بالأخذ بالاستحسان، أو بالمصلحة المُرْسلة بضوابطها، أو برعاية العُرْف، أو غير ذلك من الأدلَّة التبعيَّة، أو أدلَّة ما لا نصَّ فيه. فهنا يفرع المجتهد على الأصول، ويقيس على الفروع، ويستنبط الأحكام، ويكيف الوقائع، ويُؤَسِّس القواعد، في جلب المصالح، ودرء المفاسد، ورفع الحرج، وتحقيق اليسر، وتقدير الضرورات والحاجات بقدرها، واعتبار العرف، ورعاية ظروف الزمان والمكان.

ولا عجب بعد ذلك: أن اختلفت المشارب، وتعددت المذاهب، وتنوعت الأقوال، وخلف لنا العقل الإسلامي في ضوء الوحي: ثروة فقهيَّة طائلة لها مكانها الرفيع في تراث الفقه العالمي. بل لا يوجد عند أمة من الأمم ـ دينيَّة أو غير دينيَّة ـ نظير لها في التأصيل والتدليل، والتفريع والتنويع، وفي السعة والشمول.

## ما تركه الوحي للعقل في مجال الأخلاق:

ج ـ وترك للعقل في ميدان الأخلاق: أن يصدر حكمه، وفتواه في كثير من الأعمال، الَّتي يلتبس فيها الخير بالشر، ويشتبه الحلال بالحرام. ولم يغفل شأنه، بجانب الوحي، كمصدر للإلزام الأدبي، ومقياس

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

للحكم الخلقي. فإنَّ الشَّـريعة نفسـها، بعد أن بيَّنـت الحلال الصريح والحرام الصريـح، تركت المنطقة الَّتي تختلط فيها الأوصاف، ويشـتبه فيها الحكم، وفوّضت لكلِّ امرئ أن يسـتفتي فيها قلبـه، ويتحرَّى فيها طُمأنينة نفسـه، أخذًا بالأحوط والأسـلم. هكذا قضى الرسول الحكيم حيث يقـول: «**الحلال بيِّـن، والحرام بيِّـن، وبينهما أمورٌ مُشـتبِهات، لا يعلمها كثيـرٌ من النَّـاس، فمن اتَّقَى الشُّـبهات فقد اسـتبرأ لعِرْضه ودِينِه**»[1]، ويقول: «**استفتِ قَلْبِكَ واستفتِ نفسَـكَ، البرُّ ما اطمأنَّت إليه النفس، واطمأنَّ إليه القلب، والإثم ما حاك في النَّفْس، وتردَّد في الصدر، وإنْ أفتاك النَّاس وأفتوك**»[2].

## ما ترك الوحي للعقل في كشف آفاق الكون والحياة:

د ـ ثمَّ ترك الوَحْي للعقل بعد ذلك أن يجول في آفاق الكون العريض ما شـاء، صاعدًا إلى الأفلاك، وهابطًا إلى الأرض، ومتأملًا في النفس: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، ومتدبرًا في وقائع التاريخ: ﴿ **أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ** ﴾ [الحج: ٤٦]، ﴿ **قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المسـاقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في البيوع (٢٥٣٣)، وحسَّن إسـناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨٣)، وحسَّـنه النووي في الأربعين، الحديث السابع والعشرون. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤): حسن لغيره. عن وابصة بن معبد.

QaradawiBooks.com

ترك له أن يكشـف من ظواهر هذا الكون ما استطاع، وأن يسخّر من قواه ما قدر عليه، فكل ما فيه سخَّره الله لمنفعته: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثيـة: ١٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

ترك الوحيُ للعقل أن يبتكر، ويخترع في وسائل الحياة، وأمور الدُّنْيا ما شـاء، ما دام ملتزمًا حدود الحق والعدل: «**أنتم أعلمُ بأمر دُنْياكم**»(١)، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

كما ترك للعقل أن يسـتفيد مـن تجارب الآخريـن، وينتفع بتراث السابقين، ومعارف اللاحقين: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقـاف: ٤]، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

«**الحكمة ضالَّة المُؤْمِنِ، أنَّى وَجَدَها فهو أحقُّ بها**»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن عائشة وأنس.

(٢) رواه الترمذي فـي العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب، لا نعرفـه إلَّا من هذا الوجه. وابن ماجه فـي الزهد (٤١٦٩)، وقـال الألباني في ضعيـف الترمـذي (٥٠٦): ضعيف جدًّا. عن أبي هريرة. ولكن معناه صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

# ٦
# تردُّد العلم بين ما هو خاصٌّ وما هو عامٌّ

لا شكَّ أنَّ هناك من الحقائق العِلْميَّة ما هو مطلوب من النَّاس جميعًا، وعلينا أن نُعلمهم هذه الحقائق، ونوصِّلها إلى النَّاس بأيسر الطرائق الَّتي تيسّر عليهم، ولا تُكَلِّفهم شططًا في تحصيلها.

والأصل في العلوم أنَّها كلها في خدمة البشر، وأنَّهم جميعًا يحبون الحصول عليها، والإتقان لتعلُّمها، والتفوُّق فيها.

ولكنَّ الله تعالى جعل بعض العلوم فيها خصوصيَّة، فهي ليست لكلِّ النَّاس، وإنَّما لنوع منهم، هيَّأه الله لذلك، وزوَّده بأسباب معرفته، وما يتعلَّق به دون غيره.

## علم تأويل الأحاديث:

من ذلك ما ذكره القرآن الكريم من إعطاء يوسف بن يعقوب ـ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ ما سمّاه القرآن: علم تأويل الأحاديث، ويُعْنَى به تأويل الرُّؤَى والأحلام الَّتي يراها النَّاس، وتفسيرها مهمٌّ، وهذا ممَّا خصّ اللهُ به يوسفَ عليه السلام، كما قال أبوه يعقوب حين عرض عليه ابنُه

QaradawiBooks.com

ما رآه من النجوم والشمس والقمر، حين رآهم له ساجدين، فقال له: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۞ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [يوسف: ٥، ٦].

وكذلك يقول القرآن بعد أن اشتراه عزيزُ مصر يوسف في صِغره: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١].

وحينما أُدخِل يوسفُ السجن، من بعد ما رأوا الآيات الَّتي تثبت براءته ونقاء صفحته، يقول: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

فهذا علم اختصّ الله به يوسف عليه السلام، تكريمًا من الله له، وإعزازًا لأمره، ولم يعطِ ذلك لكل من أراد من النَّاس.

وإلا فمَن مِن الناسِ يمكن أن يؤوّل رؤيا ملكِ مصر في سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر، وأخر يابسات، بما فسّره به يوسفُ عليه السلام، ما كان النَّاس إلَّا أن يقولوا: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

ولذلك قال يوسف عليه السلام من بعد، في أواخر حياته، وبعد أن جمع الله شمله بأبويه، وإخوته وأسرته: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

QaradawiBooks.com

## علم نقل الأشياء بغاية السرعة من أماكن بعيدة:

ومن الأشـياء الَّتي ذكرها لنـا القرآن في قصَّة سـليمان: أنَّه بعد أن عرفتْ ملكة سبأ المعروفُ اسمُها باسم «بِلْقِيس»، أنَّ سليمان ليس مُجرَّد مَلِكٍ من ملوك الدُّنيا، وإنَّما هو نبيٌّ من أنبياء الله الكرام، قرَّرت أن ترحل إليه من اليمن إلى الشام، لتُسْلِم مع سليمان لله ربِّ العالَمِين.

وقد علِم سليمان بذلك: فأراد أن يُريها بعض العجائب الَّتي أعطاها الله له، وذلك بأن يأتوا إليه بعرشـها قبل أن تحضر هي بنفسـها، فقال سـليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨، ٣٩].

أي أنَّ هـذا العفريت يمكنـه أن يأتي بعرش المرأة مـن اليمن إلى فلسطين مُدةَ مُقامه في المجلس، أي نحو خمس ساعات، أو نحو ذلك.

ولكن سـليمان اسـتكثر هذه المدة، واعتبرها طويلة، ولهذا سـمع محاولة أخرى أمْهرَ وأقصى سرعةً من ذلك، عرضها أحدُ الحاضرين من الملأ في مجلسـه: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

أي أنّ هذا الشخص من الحاضرين في ملأ سليمان، ولا شكّ أنّه من الإنس؛ لأنَّ الآخر أطلق عليه أنَّه: ﴿عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، فلا بدَّ أن يكون هذا من الإنس، ولا مجال أن يكون من الملائكـة؛ لأنَّ الملائكة لم يكونوا من ملأ سليمان، وحضورِ مجالسه.

فهو يسـتطيع بما عنده من علم الكتاب، وأسـراره الَّتي لم يشرحها للناس، ولم نعرف عنها شـيئًا، إلَّا أنَّها ممَّا تعلمه من علم الكتاب، أنْ

QaradawiBooks.com

ينقُلَ العرش من بلدٍ إلى آخر، أو من قُطر إلى آخر، في مدّة هي أوْجز ما يتخيّله عقلُ بشر، وهو ما قاله الرجل: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]. أي أنَّه إذا فتح عينه ليرى، فقبل أن يُغلقها، يأتي بالعرش إليه.

سبحان الله العظيم، سبحان ربي الأعلى، في لمح البصر، ينقل هذا الشخص، الَّذي لا نعرف اسمه، عرش الملكة بلقيس من اليمن إلى فلسطين بالشام، وهذا علم منحه الله لهذا المخلوق البشري، ومكّنه منه، وتعلمه بوسائله الخاصَّة المتعلقة بعلم الكتاب، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

ولكن عرفنا من هذه القصَّة أنّ نقْل هذه الأشياء من بلد إلى آخر، ومن مُحيط إلى محيط، ليس مستحيلا، ولكنَّه مقدور للبشر، وعليهم أن يبحثوا عن الوسائل.

### العلم اللّدُنِّي الَّذي منحه الله للخضر:

ومن العلوم الَّتي يمنحها الله تعالى لبعض عباده ولا يحتاج إليها البشر جميعهم: ما سمّاه بعضُهم: «العلم اللدنّي»، الَّذي أُخِذ اسمه من قوله تعالى عن سيِّدنا موسى في رحلته الَّتي حدثنا عنها في سورة الكهف: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥].

### فاعتبر بعضُهم علم البشر الَّذي يصلون إليه نوعين:

نوع من لدُن البشر أنفسِهم، ومن سعيهم بوسائلهم لتحصيله، عن طريق الأسماع الَّتي تستوعب المعلومات، والأبصار الَّتي تشاهد

QaradawiBooks.com

الممكنـــات، والعقول الَّتي تكتشـف الحقائق، كما قـال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وهذا يشمل علوم الدِّين وعلوم الدُّنيا، فكل له مصادره، وله وسائله، ويمكن الحصول عليـه، كلٌّ على قدْر واديه، كمـا قال تعالى: ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

ونوع آخر من العلوم، سمّاه مَن سمّاه: «العلم اللدُني» إشارة إلى قوله تعالى في سـورة الكهف: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥].

فعلمه من لدُن الله ﷻ، وليس من لدُن غيره، لا يأتي بطريقة الآخرين من تحصيل قضايا ألّفها علماء آخرون، ولا من طريق تراتيب معيّنة رتّبها الآخرون، ليصل بها إلى ما يريد اكتسـابه من حقائـق عِلْميَّة، أو قوانين معرفية، أو أخبار منقولة، أو غير ذلك ممَّا يحرص النَّاس على تعَلُّمه.

وهذا العلم له خصوصيّة تميّزه عن غيره ممَّا يتصف به العلم الديني، فهـذا وإن كان داخـلًا في مضمـون العلـم الديني، فيتميـز عن غيره بخصائصه الذاتية.

فمن هذه الخصائص: أنَّه ليس ممنوحًـا للكافة، وإن كانوا من أولي الفضل والنُّهَى والتُّقَى، كما نرى أنَّ سـيِّدنا موسى ﵇، وهو من أولي العزم من الرسـل، وهو الَّذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، وأنزل عليه التوراة، فيهـا هدًى ونور، لم يمنحه الله من هـذا العلم اللَّدُني ما أعطى عبدَه الَّذي لم يذكر لنا اسـمه، وأرشد موسـى إلى أن يتَّبع هذا الرجل ليتعلَّم منه ممَّا علمه الله رشدًا.

QaradawiBooks.com

ولذلك قال له موسى بكلِّ أدبٍ وتلطُّف: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۞ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۞ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۞ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۞ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۞ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۞ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۞ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۞ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ ـ ٨٢].

هذه القصَّة الَّتي سجّلتها سورة الكهف لموسى عليه السلام والعبد الَّذي آتاه الله من لَّدُنْه علمًا، وسَمَّوه «الخضِر»، ووقعت معه هذه الوقائع الثلاث بما لها من تأويـل، وخصوصًا الحادث الثاني، قتل الغـلام، لما علم أنَّه إن عاش فسيرهق والديه طغيانًا وكفرًا.

QaradawiBooks.com

## موسى والخَضِر:

وخلافنا إنَّما هو مع الغلاة من الصُّوفيَّة، الَّذين اعتبروا كشفهم وإلهامهم مصدرًا للأحكام الشرعيَّة، فيُحلّون على أساسِه وحده، ويُحرّمون!

ويأخذون من قصَّة موسى والخضر: أنَّ «**العلم اللّدُني**» مُقدَّم على «**العلم الشرعي**»، وأنَّ هناك «**شريعة**» يعلمها الفقهاء، و«**حقيقة**» يعرفها الأولياء! وأنَّ الحقيقة مُقَدَّمة على الشَّرِيعة! فالشريعة للعوامِّ، والحقيقة للخواصِّ! وأنَّ من نظر إلى الخلق بعين الشَّرِيعة مَقَتَهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم!

ويستدلُّون على هذه التفرقة بهذه القصَّة، الَّتي ذكرها الله في سورة الكهف. فموسى ـ في نظرهم ـ كان ينظر بعين الشَّرِيعة فأنكر خرق السفينة، وقتل الغلام بغير جناية، وإقامة الجدار لقوم لا يستحقُّون إكرامًا ولا معونة.

وأمَّا الخَضِر فكان ينظر بعين الحقيقة، ولهذا بيَّن لموسى ما وراء كلِّ أمرٍ من هذه الأمور الثلاثة من أسرارٍ وغيوب، فسلَّم موسى للخَضِر؛ لأنَّ موسى لم يكن معه إلَّا علم الظاهر، علم الشَّرِيعة، والخَضِر كان معه علم الباطن، وهو علم الحقيقة!

والعلم الَّذي عند الخَضِر لم يأتِ نتيجة تعلُّم أو كسب، إنَّما هو علم وهبي، من لَدُن اللهِ مباشرةً، وبلا واسطة، ويسمُّونه: «**العلم اللّدُني**» أخذًا من قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٥].

ومن هنا جاء عن بعض المتصوفة احتقارُهم لعلم الشرع، الَّذي يُعرف بالنصوص، ويُعلم بالشواهد والأدلَّة، ويُطلب من العلماء، ويُروى بالأسانيد، ويُسمُّونه هم: «**عِلْم الوَرَق**»!

QaradawiBooks.com

وإنَّما يعنيهــم علم «**الباطــن**» أو «**الحقيقة**» أو «**العلــم اللَّدُني**» كما يُسَمُّونه علم الخَضِر، لا علم موســى، علم «أصحاب الأذواق»، لا علم «أصحاب الأوراق»، علم الصُّوفيَّة، لا علم المُحَدِّثين والفقهاء.

بل قال بعضُهم في جراءة عجيبة: إنَّ العلم حجاب بين صاحبه وبين الله جل جلاله!

ولا ريب أنَّ هذا من الجهل والعُجْب، والغرور، والشرود عن سواء الصراط، الَّذي سار عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الغُرُّ الميامين. والتابعون لهم بإحســان، بل هو الَّذي سار عليه شــيوخُ الصُّوفيَّة الأوائلُ أنفسُهم، وربَّوْا عليه مريديهم، وشدّدوا في ذلك، ولم يتهاونوا فيه.

وقد بيّن الإمام الشــاطبي في «**الموافقات**» أنَّ من خصائص الشَّرِيعة عمومها لكل المكلفين في كل الأوضاع والأحوال.

فلا يخرج عنها ولي ولا غيره بدعوى الكشف أو غيره، وأنَّ العوائد الجاريــة ضروريَّــة الاعتبار شــرعًا، فليس الاطِّــلاع علــى المُغَيَّبات، ولا الكشف الصحيح بالَّذي يمنع جريانها على مقتضى الأحكام العادية، والقدوة في ذلك رسول الله ﷺ، ثمَّ ما جرى عليه السلف الصالح رضي الله عنهم.

ثُمَّ تعرَّض لقصَّة «الخَضِــر»، الَّتي يحتجُّ بها قومٌ على جواز الخروج عن ظاهر الشَّــرِيعة لمن ســمَّوهم الأولياء، أو أهل الكشف، وقال فيها: «وأمَّا قصَّة الخَضِر عليه السلام وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]. فيظهر به أنَّه نَبِيٌّ، وذهب إليه جماعة من العلماء استدلالًا بهذا القول.

ويجوز للنبيِّ أن يحكم بمقتضى الوحي من غير إشــكال، وإن سلَّم فهي قضيَّة عَيْن، ولأمرٍ ما، وليستْ جاريةً على شرعنا.

QaradawiBooks.com

والدليل على ذلك أنَّه لا يجوز في هذه الملَّة لوليٍّ، ولا لغيره ممَّن ليس بنبيٍّ أن يقتل صبيًّا لم يبلغ الحُلُم، وإن علم أنَّه طُبِع كافرًا، وأنَّه لا يؤمن أبدًا، وأنَّه إن عاش أرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، وإن أُذِن له من عالَم الغيب في ذلك؛ لأنَّ الشَّرِيعة قد قررت الأمر والنهي، وإنَّما الظاهر في تلك القصَّة أنَّها وقعتْ على مقتضى شريعةٍ أخرى، وعلى مقتضى عتاب موسى عليه السلام، وإعلامه أنّ ثمّ عِلمًا آخر، وقضايا أُخر لا يعلمها هو.

فليس كل ما اطّلع عليه الولي من الغيوب يسوغ له شرعًا أن يعمل عليه، بل هو على ضربين:

**أحدهما**: ما خالف العمل به ظواهر الشَّرِيعة من غير أنْ يصح رده إليه، فهذا لا يصح العمل عليه البتة.

**والثاني**: ما لم يخالف العمل به شيئًا من الظواهر، أو إن ظهر منه خلاف فيرجع بالنظر الصحيح إليها، فهذا يسوغ العمل عليه. وقد تقدم بيانه.

فإذا تقرر هذا الطريق فهو الصواب، وعليه يُرَبِّي المُرَبِّي، وبه يعلِّق هممَ السالكين، تأسّيا بسيد المتبوعين رسول الله ﷺ، وهو أقرب إلى الخروج عن مقتضى الحظوظ، وأولى برسوخ القدم، وأحرى بأن يُتابَع عليه صاحبه، ويُقْتدى به فيه، والله أعلم»[1].

وقبل الشاطبي بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية بالأدلَّة: الغلط الَّذي وقع لأولئك القوم في الاحتجاج بقصَّة موسى والخَضِر على مخالفة الشَّرِيعة، مجتهدًا أن يَرُدَّ ما فعله الخضر إلى الشَّرِيعة.

---

(١) الموافقات (٢/٢٩٦، ٢٩٧)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

QaradawiBooks.com

وممَّا ذكره: أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولا أوجب الله على الخَضِر متابعته وطاعته، بل قد ثبت في الصحيحَيْن: أنَّ الخَضِر قال له: يا موسى، إنِّي على علمٍ من علم الله علَّمنيه اللهُ لا تعلمه، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه[1]. وذلك أنَّ دعوة موسى كانت خاصَّة.

وقد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال فيما فضله الله به على الأنبياء، قال: «**كان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعثت إلى النَّاس عامَّة**»[2].

فدعوة مُحمَّد ﷺ شاملة لجميع العباد، ليس لأحد الخروج عن متابعته وطاعته، والاستغناء عن رسالته، كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وطاعته، مستغنيًا عنه بما علمه الله.

وليس لأحد ممَّن أدركه الإسلامُ أن يقول لمُحَمَّد: إنِّي على علم من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه.

ومن سوّغ هذا، أو اعتقد أنّ أحدًا من الخلق ـ الزُّهّاد والعُبّاد أو غيرهم ـ له الخروج عن دعوة مُحمَّد ﷺ ومتابعته، فهو كافر باتفاق المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسُّنَّة أكثر من أن تذكر هنا.

وقصَّة الخَضِر ليس فيها خروج عن الشَّرِيعة، ولهذا لما بيّن الخضر لموسى الأسباب الَّتي فعل لأجلها ما فعل، وافقه موسى، ولم يختلفا حينئذ. ولو كان ما فعله الخضر مخالفًا لشريعة موسى لما وافقه.

ومثل هذا وأمثاله يقع للمؤمنين بأنْ يختص أحد الشخصين بالعلم بسبب يبيح له الفعل في الشَّرِيعة، والآخر لا يعلم ذلك السبب، وإنْ كان قد

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣٨٠) (١٧٤)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

يكون أفضلَ من الأوَّل، مثل شخصين دخلا إلى بيت شخص، وكان أحدهما يعلم طيب نفسه بالتصرف في منزله، إما بإذن لفظي أو غيره، فيتصرف، وذلك مباح في الشَّرِيعة، والآخر الَّذي لم يعلم هذا السبب لا يتصرف.

وخرْق السفينة كان من هذا الباب، فإنَّ الخضر كان يعلم أنَّ أمامَهم ملكا يأخذ كل سفينة غصبًا، وكان من المصلحة الَّتي يختارها أصحاب السفينة إذا علموا ذلك، لئلَّا يأخذها [وهذا][1] خير من انتزاعها منهم.

ونظير هذا حديث الشاة الَّتي أصابها الموت، فذبحتها امرأة بدون إذن أهلها[2]، فسألوا النبيَّ ﷺ عنها، فأذن لهم في أكلها، ولم يلزم الَّتي ذبحت بضمان ما نقصت بالذبح؛ لأنَّه كان مأذونًا فيه عرفًا، والإذن العرفي، كالإذن اللفظي. ولهذا بايع النبي ﷺ عن عثمان في غيبته بدون استئذانه لفظًا[3]. ولهذا لما دعاه أبو طلحة ونفرًا قليلاً إلى بيته، قام بجمع أهل المسجد، لِما علِمَ من طِيبِ نَفْس أبي طلحة، وذلك لما يجعله الله من البركة[4]، وكذلك حديث جابر[5].

---

(١) في الفتاوى: بياض بالأصل، والسياق يقتضيه.

(٢) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري في الذبائح والصيد (٥٥٠١) بلفظ: أنَّ جارية لهم كانت ترعى غنمًا بسَلْع، فأبصرت بشاةٍ من غنمها موتًا، فكسرت حجرًا فذبحتها. عن ابن عمر.

(٣) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٩٨) بلفظ:... فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان». فضرب بها على يده. عن ابن عمر.

(٤) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «... آرسلك أبو طلحة». فقلت: نعم. قال: «بطعام». فقلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا». فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس. رواه البخاري في المناقب (٣٥٧٨)، ومسلم في الأشربة (٢٠٤٠)، عن أنس.

(٥) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: إنَّا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة... فقال: «قوموا». فقام المهاجرون، والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. رواه البخاري في المغازي (٤١٠١)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٩).

QaradawiBooks.com

وقد ثبت أنَّ لحَّامًا، دعاه فاستأذنه في شخص يستتبعه[(١)]؛ لأنَّه لم يكن يعلم من طيب نفس اللَّحَّام ما علمه من طيب نفس أبي طلحة وجابر وغيرهما.

وكذلك قتْل الغلام، كان من باب دفع الصائل على أبويه، لعلْمه بأنّه كان يفتنهما عن دينهما، وقتل الصبيان يجوز إذا قاتلوا المسلمين، بل يجوز قتلهم لدفع الصول على الأموال.

فلهذا ثبت في صحيح البخاري[(٢)] أن نجدة الحروري (من رؤوس الخوارج) لما سأل ابن عبَّاس عن قتل الغلمان قال: «إن كنتَ تعلم منهم ما علمه الخضر من الغلام فاقتلهم، وإلَّا فلا تقتلْهم»[(٣)].

ونقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» عن الإمام القرطبي كلمةً قَيِّمة تعليقًا على قصَّة موسى والخَضِر وما يُستفاد منها من أحكام وعبر، قال فيها:

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٥٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٨١٢)، لم أجده في البخاري، وأورده الحميدي في الجمع بين الصحيحين في أفراد مسلم (١٢٢٢)، وكذا ابن الأثير في جامع الأصول (١٠٩٣)، والمزي في تحفة الأشراف (٦٥٥٧).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢٥/١١) وما بعدها، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمّد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، وما ذكره عن ابن عباس هنا، فإنما قصد به ـ كما قال السبكي ـ المحاجة والإحالة على ما لا يمكن؛ قطعًا لطمعه في الاحتجاج بقصة الخضر، وليس مقصوده رضي الله عنه أنَّه إن حصل له ذلك يجوز القتل. انظر: روح المعاني للألوسي (٣٣٩/٨)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

«**ولنُنَبِّه هنا على مُغالطتين:**

**الأولى:** وقع لبعض الجهلة أنَّ الخَضِرَ أفضل من موسى، تمسُّكًا بهذه القصَّة، وبما اشتملت عليه، وهذا إنَّما يصدر ممَّن قصُر نظره على هذه القصَّة، ولم ينظر فيما خصَّ الله به موسى عليه السلام من الرسالة، وسماع كلام الله، وإعطائه التوراة فيها علم كل شيء، وأنّ أنبياء بني إسرائيل كلَّهم داخلون تحت شريعته، ومخاطبون بحكم نبوته، حتَّى عيسى، وأدلَّة ذلك في القرآن كثيرة، ويكفي من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

قال: والخَضِر وإن كان نبيًّا فليس برسولٍ باتِّفاق، والرسول أفضل من نبيٍّ ليس برسول، ولو تَنَزَّلنا على أنَّه رسول، فرسالة موسى أعظم، وأُمَّته أكثر، فهو أفضل، وغاية الخَضِر أن يكون كواحد من أنبياء بني إسرائيل، وموسى أفضلهم. وإن قلنا: إنَّ الخَضِر ليس بنبيٍّ، بل وليٌّ، فالنبيُّ أفضل من الولي، وهو أمرٌ مقطوعٌ به عقلًا ونقلًا، والصائر إلى خلافه كافر؛ لأنَّه أمر معلوم من الشرع بالضرورة.

قال: وإنَّما كانت قصَّة الخضر مع موسى امتحانًا لموسى ليعتبر.

**الثانية:** ذهب قوم من الزنادقة إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشَّرِيعة، فقالوا: إنَّه يستفاد من قصَّة موسى والخضر: أنّ الأحكام الشرعيَّة العامَّة تختص بالعامة والأغبياء، وأمَّا الأولياء والخواص، فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنَّما يُراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويُحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم، لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوّها عن الأغيار، فتنجلي لهم العلوم الإلهيَّة، والحقائق الربّانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون الأحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع

QaradawiBooks.com

الكليات، كما اتفق للخضر، فإنَّه استغنى بما ينجلي له من تلك العلوم عما كان عند موسى، ويُؤَيِّده الحديث المشهور: «**استفتِ قلبكَ وإن أفتَوْكَ**»[(١)].

**قال القرطبي**: وهذا القول زندقة وكفر؛ لأنَّه إنكار لما عُلِم من الشرائع، فإنَّ الله قد أجرى سُنَّته، وأنفذ كلمتَه، بأنّ أحكامَه لا تُعلم إلَّا بواسطة رُسله، السفراء بينه وبين خلقه، المبيّنين لشرائعه وأحكامه، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٥]. وقال: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وأمر بطاعتهم في كل ما جاؤوا به، وحثَّ على طاعتهم، والتمسُّك بما أمروا به، فإن فيه الهدى، وقد حصل العلم اليقين، وإجماع السلف على ذلك، فمن ادَّعى أنَّ هناك طريقًا أخرى يعرف بها أمرُه ونهيُه، غيرَ الطرق الَّتي جاءت بها الرسلُ يُستغنى بها عن الرسول، فهو كافر يقتل ولا يستتاب.

وقال: وهي دعوى تستلزم إثبات نبوةٍ بعد نبينا؛ لأن من قال: إنَّه يأخذ عن قلبه، لأنَّ الَّذي يقع فيه هو حكم الله، وأنّه يعمل بمقتضاه، من غير حاجة منه إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصَّة النبوة، كما قال نبينا ﷺ: «**إنَّ رُوح القُدُس نفث في رُوعِي**»[(٢)].

قال: وقد بلغنا عن بعضهم أنَّه قال: أنا لا آخذ عن الموتى، وإنَّما آخذ عن الحي الَّذي لا يموت! وكذا قال آخر: أنا آخذ عن قلبي وعن ربي! وكل ذلك كفر باتفاق أهل الشرائع، ونسأل الله الهداية والتوفيق.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٧٠.

(٢) رواه الطبراني (١٦٦/٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٩٣): رواه الطبراني، وفيه عفير بن معدان، وهو ضعيف. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥)، عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

وقال غيرُه: من استدلَّ بقصَّة الخَضِر على أنَّ الوليَّ يجوز أن يَطَّلع من خفايا الأمور على ما يخالف الشَّرِيعة، ويجوز له فعله، فقد ضلَّ، وليس ما تمسَّك به صحيحًا، فإنَّ الَّذي فعله الخضر ليس في شيءٍ منه ما يناقض الشرع، فإنَّ نقضَ لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها، ثمَّ إذا تركها أُعِيد اللوح، جائز شرعًا وعقلًا، ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسَب الظاهر. وقد وقع ذلك واضحًا في رواية أبي إسحاق الَّتي أخرجها مسلم ولفظه: «**فإذا جاء الَّذي يُسَخِّرها فوجدها منخرقة تجاوزها فأصلحها**»(١)، فيُستفاد منه وجوب التأني عن الإنكار في المحتملات. وأمّا قتله الغلامَ فلعلَّه كان في تلك الشَّرِيعة. وأمَّا إقامة الجدار، فمن باب مقابلة الإساءة بالإحسان»(٢)، والله أعلم.

ومن هنا يتبيَّن لنا أنّ العلمَ الشرعي لا يستغني عنه أحدٌ، ولا يخرج عن حكمه أحد، أيًا كانتْ منزلتُه في دين الله، أو في دنيا النَّاس.

فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

* * *

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٨٠) (١٧٢)، عن أبي بن كعب.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/٢٢١، ٢٢٢)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

## ٧

# تردّد العلم بين الظنِّي والقطْعيّ

من المهم في المجال العلمي: أن تفرّق بين الظنيّ والقطعيّ، فيما يثبت من الأحكام، في الشرعيَّات والعقليات، فللظني حكمه، وللقطعي حكمه، وكثير من النَّاس يخلط بينهما، فتختلط عليه الأمور، وتلتبس عليه المسالك، وتتعارض عنده المسائل بعضها ببعض.

وكل من القطعي والظني يكون في العقليات والشرعيَّات.

### لا تناقض بين القطعيات:

ومن المعروف عند أهل العلم: أنَّ القضيتين القطعيتين إذا ثبتت قطعيتهما بيقين لا يمكن أن يختلفا، أو يتناقضا، فإنَّ القطعيّات لا يُناقض بعضُها بعضًا أبدًا. فلا يمكن أن يجتمعا معًا، ولا يمكن أنْ يرتفعا معًا، هذا في القطعيّات العقليَّة، وفي القطعيّات الشرعيَّة.

فإذا ثَبَت أنّ هناك قضيتيْنِ متناقضتين ادُّعِي أنَّهما قطعيَّتان، فلا بدَّ أن هذه الدعوى غيرُ حقيقيَّة، ولا بدَّ أن فيها غلطًا، فلا بدَّ أن إحدى القضيتين ظنية، أو أن كلتيهما ظنية؛ إذ تناقض القطعيات مستحيل.

وإذا تناقضت قضيَّتان، كلتاهما دينيَّة، وكلتاهما قطعيَّة، فهذا ما ينقضه المنطقُ، وما هو متَّفق عليه، وما هو مقطوع به.

QaradawiBooks.com

أمَّا إذا ثبت أنَّ إحدى القضيَّتَيْن قابلــة للنقض، فلا بدَّ أن فيها خللًا جعلها غير قطعيَّة؛ إذ القطعيُّ لا يناقض القطعيَّ أبدًا، دينيًّا كان أم دنيويًّا

وقد تكون إحدى القضيِّتَيْن دينيَّة شــرعيَّة، والأخرى عقليَّة دنيوية، ولكنَّهمــا قطعيتان، فإذا كانتــا قَطْعِيَّتَيْن، فلا يجــوز أن تُناطح إحداهما الأخرى، ولو حدث ذلك، فلا بدَّ أن يُحذف القطعُ من إحداهما، ويثبت له الظَّنِّيَّة، أو يُحذف القطع من كلتيهما، وتثبت لهما الظَّنِّيَّة.

ومن اللازم أنْ يعــرف الناسُ حكمَ القطعــي والظَّنِّي في النصوص الشرعيَّة من الكتاب والسُّنَّة، وحكم القطعي والظني في الأمور العقليَّة، وحكم القطعي والظني في الأمور المختلطة بينهما.

**تعارض القطعي والظني:**

وإذا تعارض القطعي والظنيّ، قُدّم القطعي لا محالة بالإجماع.

وأمّا إن كان كلاهما ظنيًّا، فهنا يُرجع فيه إلى ما يُعرف بـ «التعارض والترجيح» في الأدلّة، وهو باب معروف فــي أصول الفقه، وفي أصول التفسير، وفي أصول الحديث.

ومن المقرّر المعروف في الدوائر العِلْميَّة: أنّ المسلم لا يُحكم عليه بالكفر إذا أنكر أمرًا ظنيًّــا، فالظني لا يُحكم له بالقطــع أنَّه من صلب الإســلام، بل هو متردد بين هذا وذاك، والكفر غاية في بابه، فلا يدخل المســلم في الكفر، وعنده فرصة ألا يدخل فيه وذلك إذا لم يقتحم باب القطعيات في الدين، أمَّا الظنيات فله فيها فسحة.

أمَّا القطعيات فهي اليقينيّــة، الَّتي يُحكم بالكفر على من أنكرها، أو بعضها، أو واحدة منها، فيكفي أن يُنكر المســلم ـ الَّذي ثبت إسلامُه ـ

QaradawiBooks.com

قضيَّةً واحدةً قطعيَّة، كأنْ يُنكر سورة من القرآن، ولو كانت من قصار المفصّل، مثل سورة العصر، أو سورة قريش، أو سورة الكوثر، أو سورة الإخلاص، ونحوها. ولو أنكر ما ليس بسورة ممَّا هو ثابت في القرآن يكفر به.

أو أنكر حكمًا من الأحكام الشرعيَّة القطعيَّة الثابتة، مثل فرضيّة الصلوات الخمس، أو الجُمعة، أو فرضية الزكاة، أو الصيام، أو الحج، أو تحريم الخمر أو الربا، أو أنكر حِلّ البيع والشراء في الأشياء المباحة، أو أنكر حلّ الزواج بغير المحارم، أو غير ذلك من الأشياء المعروفة بين النَّاس، فهذا يُعدّ من الكفر المقطوع به في نظر الإسلام.

غير مرخصة للطباعة

## منكر القطعي يستتاب:

وممَّا يترتَّب على معرفة القطعيّ والظَّنّي: أنَّ من أنكر قطعيًا من الدين الثابت، يجب أن يُستتاب، ويطلب منه ذلك، ويُعرَّف بخطر ما ذهب إليه، وأنَّه عرَّض نفسَه للخروج من الإسلام، وأنَّه يترتَّب عليه كذا وكذا، وأنَّه مطلوب منه أن يُراجِعَ نفسه، ويتوبَ إلى الله تعالى ممَّا وقع فيه، وهذا متاحٌ لكلِّ من ارتكب خطأ وخطيئة، مهما تكن عواقبها، فإنَّ الله سبحانه يتوب على من تاب، من كافر أو مؤمن، وكان الله توابًا رحيمًا.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧٠، ٧١].

ولا يمكن أن تَحكُم على شخصٍ بالرِّدَّة عن الإسلام، إلَّا بجحود أمرٍ قطعي مُجْمَع عليه من أمور الإسلام، أمَّا الأمر الَّذي يُختلف فيه، فهو يُبقِي صاحبه على أصل الإسلام، ولا يخرجه إلى دين آخر، أو إلى غير دين.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وهذا احتياط مهمٌّ، حتَّى لا يتسرَّع البعض ـ لسببٍ أو لآخر ـ فيكفر النَّاس ويخرجهم من الإسلام، وينضمّوا بسبب حماقة بعض النَّاس إلى أعداء الإسلام.

## مبالغة بعض المتكلمين في التقليل من قطعيَّة القرآن:

هذا وقد بالغ بعض المتكلمين الكبار، ومنهم من ينتسب إلى أهل السنة، مثل الإمام فخر الدين الرازي وأمثاله في الاعتداد بالأدلَّة العقليَّة، والتقليل من قطعيّة النصوص الشرعيَّة من الكتاب والسُّنَّة المتواترة، وسمَّوها: «الظواهر اللفظيّة».

وزعموا أن هناك احتمالاتٍ عشرةً أو تسعة، ترِدُ على كل لفظ أو نصٍّ، تجعله لا يفيد اليقين أو القطع، ومن ذلك ما ذكره الرازي، وهو: احتمال وجود المعارض العقلي.

وهذه دعوى مرفوضة ولا شكَّ، ولا أدري كيف تصدُر من عالم كبير، اشتهر بالتأليف في التفسير، والكلام، والفقه، والأصول، كما اشتهر في علم الطب نظرًا وممارسة، وغدا يشار إليه بالبنان في عصره، وبعد عصره، حتَّى يُذكر في بعض الكتب بوصف «الإمام» دون ذكر اسمه أو لقبه؟!

ولكن هذا يدلُّنا على أنَّ كل واحد يؤخذ من كلامه ويُترك، ما عدا المعصوم بالوحي ﷺ.

كما يدلُّنا على قيمة ما جاءنا من أحاديث مرفوعة وموقوفة في التحذير من زلَّات العلماء، وزيْغات الحكماء.

وهذه النصوص الَّتي سمَّوها «ظواهر لفظيّة»، إنَّما أنزلها الله في كتابه،

QaradawiBooks.com

أو أنطق بها رسوله ﷺ، لتكون: «بيانا للناس»، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

كما وصف الله القرآن بأنَّه «تبْيان»، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ووصفه كذلك بـ «الكتاب المبين» كما في قوله تعالى: ﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: ١، ٢].

وفي سورة الحجر: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

وفي سورة النمل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ١].

وجاء في مطالع عدة سور مثل سورة «يوسف»: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]. وسورة «الزخرف»: ﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١، ٢].

وقبل ذلك وصف اللهُ تعالى القرآن بأنَّه «بيّنات»، كما في قوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

كما أنَّه عَزَّ وَجَلَّ جعل القرآن حَكَمًا بين النَّاس فيما اختلفوا فيه، فهو يبيّن لهم ما غَمُض عليهم، ويحُلّ لهم ما أشْكِل عليهم: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤].

وكذلك شأن كتب الله تعالى ورسله، كما وضّحه القرآن: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

QaradawiBooks.com

**نقض وصف النصّ القرآني بأنّه مُحتمل:**

فكيف يوصف النص القرآني بعد ذلك بأنَّه «محتمل»؟!

لو قيل هذا في الآيات المُتشابهات، الَّتي تحتمل أكثر من تفسير، لكان هذا مقبولًا، أمّا الآيات المُحكمات اللاتي هن ﴿أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، والمرجوع إليها عند الاختلاف، والمُحكّمة عند التنازع، فكيف يقال فيها ذلك؟!

وقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

فكيف يُرَدُّ إلى ما يَقبل في ذاته التنازع، ولا يفصل النزاع؟!

تحدَّث الإمام الرازي في كتابه «المحصول في أصول الفقه»، في الظنون الَّتي تَرِدُ على نصوص القرآن الكريم، والأحاديث المتواترة، وتجعلها دائمًا غير قطعيّة! بل هي أميل إلى إفادة الظَّنِّيَّة، فهناك احتمالات، أو ظنون تنقل النصَّ من القطعيَّة إلى الظنِّيَّة.

فهناك احتمال في صحَّة اللغة، والنحو، والصرف، والمرجوع فيها إلى الأدباء، وهم معتمدون في تصحيح الصحيح منها، وإفساد الفاسد على أقوال هؤلاء الأكابر، من شعراء الجاهليَّة والمُخَضْرَمِين.

وإذا كان الأدباء قدحوا فيهم، وبيَّنوا لحنَهم وخطأهم، في اللفظ والمعنى والإعراب، فمع هذا كيف يمكن الرجوع إلى قولِهم، والاستدلال بشعرهم؟

فثبت أنَّ المقصد الأقصى في صحَّة اللغة والنحو والتصريف: الظنُّ.

**الظنُّ الثاني**: احتمال أن يكون اللفظ مشتركًا، ونفي الاشتراك ظَنِّيٌّ.

**الثالث**: أن يكون اللفظ مجازًا، ونفي المجاز مظنون.

QaradawiBooks.com

**الرابع**: أن يكون اللفظ منقولًا من معناه اللغوي إلى معنى آخر، أراده العُرف، أو الشرع، فيصبح هو المراد وليس الأصل.

**الخامس**: أن يكون هناك إضمار، فإنَّه لو كان هناك مضمر لكان هو المراد لا الظاهر.

**السادس**: عدم التخصيص للعام، فإنّ احتمال التخصيص يخرج عن الظاهر.

**السابع**: أن يكون هناك احتمال للنسخ، ولا شك أنَّ هناك احتمالًا في الجملة، وبتقدير وقوعه لم يكن الحكم ثابتًا.

**الثامن**: أن يكون في الكلام تقديم وتأخير، فإن احتمال هذا في الكلام يخرجه عن الظاهر.

**التاسع**: نفي المعارض العقليّ، وشرح الفخر الرازي هذا بقوله: «فإنَّه لو قام دليل قاطعٌ عقليٌّ على نفي ما أَشْعَرَ به ظاهر النقل، فالقول بهما محال؛ لاستحالة وقوع النفي والإثبات، والقول بارتفاعهما محال؛ لاستحالة عدم النفي والإثبات.

والقول بترجيح النقل على العقل مُحَالٌ؛ لأنَّ العقلَ أصلُ النقلِ، فلو كذَّبنا العقلَ لكُنَّا كذَّبنا أصلَ النقلِ، ومتى كذَّبنا أصل النقل فقد كذَّبنا النقل، فتَصحيح النقل بتكذيب العقل يستلزم تكذيب النقل، فعَلِمْنا أنَّه لا بدَّ من ترجيح دليل العقل، فإذا رأينا دليلًا نقليًا فإنَّما يبقى دليلًا عند السلامة عن هذه الوجوه التسعة، ولا يمكن العلم بحصول السلامة عنها إلَّا إذا قِيلَ: بَحَثْنا واجتهدْنا، فلم نجدْها، لكنَّا نعلم أنّ الاستدلال بعدم الوِجْدان على عدم الوجود لا يفيد إلَّا الظنَّ.

QaradawiBooks.com

فثبتَ أنَّ التمسُّــك بالأدلَّة النقليَّة مبني على مُقَدِّمات ظَنِّيَّة، والمبنيُّ على الظَّنِّيِّ ظنيٌّ، وذلك لا شــكَّ فيه، فالتمسُّك بالدلائل النقليَّة لا يفيد إلَّا الظنَّ»[1].

هذه المحاولات من آثار «علم الكلام»، الَّذي دخل على المسلمين في أوَّل الأمر، متأثرًا بأفكارٍ غيرِ إسلاميّة، تأثرتْ به الفرق المختلفة من المعتزلة وغيرهم، واســتفاد منه بعض الإسلاميين المدافعين عن القرآن والسُّنَّة معًا، للردِّ على بعض الشــبهات، ولكن كان له آثاره الضارَّة على العقل الإســلامي الخالص، حتَّى رأينا الرجال الكبار، مثل الإمام الفخر الرازي، وأمثاله ممَّن اعتبرهم العلماء المشــهورون أئمَّةً في الفقه، وفي الأصول، وفي الديانات، يُعارضون الأصول النقليَّة بهذه المُقَدِّمات، الَّتي تُشــكِّك في قَطْعِيَّتِها، وتنتهي بها إلى الظَّنِّيَّة، وهــذا لا يُقبل في منطق الدِّين، ولا في منطق العقل السليم.

ولهذا قام شيخ الإســلام ابن تيمية بالردِّ على الرازي ومن وافقه في هذه المُقَدِّمــات، وذلك في كتابه الكبير: «**درْء تعــارض العقل والنقل**»، الَّذي ظهر في عشــرة مُجَلَّدات، وناقش فيه القضيَّة من جذورها، وأيَّدها بعلمه الغزير، وثقافته الواسعة، وبمنطقه القوي، وعقله النفَّاذ، الَّذي وَفَّق بين صحيح المعقول، وصريح المنقول.

## تعقيبات الرازي المهمَّة:

كما أننا لكي نكون منصفيــن، وجدنا الإمام الرازي نفســه يعترف أحيانًا بخطر هذا الكلام إذا تُرك بظاهره دون تعقيب عليه.

---

(١) المحصول للرازي (١/٤٠٤ ـ ٤٠٧)، تحقيق د. طه جابر العلواني، نشــر مؤسســة الرســالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

فوجدنا الـــرازي يقول في أعقاب هذا الكلام فـــي «المحصول» هذه الكلمات المهمَّة:

«واعلمْ أنَّ من الإنصاف أنَّه لا ســبيل إلى اســتفادة اليقين من هذه الدلائل اللفظيَّة، إلَّا إذا اقترنتْ بها قرائنُ تفيد اليقين، ســواء كانت تلك القرائن مشاهدة، أو كانت منقولة إلينا بالتواتر»(١).

وكذلك في كتابه: «**الأربعين في أصــول الدِّين**» قال في تعقيبه على ما ذكره من أقوال المتكلمين، كلامًا مُهمًّــا جدًّا، يجب أن يُعرف ويُنقل ويُنشر، لما له من أهميَّة وخطورة، قال:

«واعلمْ أنَّ هذا الكلام على إطلاقه ليــس بصحيح؛ لأنَّه ربما اقترن بالدلائل النقليَّــة أمورٌ عُرف وجودُهــا بالأخبار المتواتــرة، وعلى هذا التقدير تكون الدلائلُ الســمعيَّة المقرونة بتلك القرائــن الثابتة بالأخبار المتواترة، مفيدةً لليقين»(٢).

فهذا الكلام يُقَوِّي موقف الرازي، ويجعل للدلائل القرآنيَّة مجالًا في الأدلَّة القطعيَّة، وليس معقولًا أن تكــون العقليَّات وحدها هي القاطعة، وما أنزله الله من كتاب، ومن بعثه من رســول، لا يفيد الناسَ إلَّا الظن، مع قول القــرآن الصريــح: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [يونس: ٣٦]. وقال ﷻ في سورة النجم: ﴿**وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا**﴾ [النجم: ٢٨].

(١) المحصول للرازي (٤٠٨/١).

(٢) الأربعين في أصول الدين للرازي صـ ٤٢٦، نشــر مطبعة مجلس دائــرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٣٥٣هـ.

QaradawiBooks.com

## غلاة المحدثين في مقابل غلاة المتكلمين:

وفي مقابل هـؤلاء الغُلاة من المتكلمين، نجـد غُلاة آخرين من المحدِّثين، وهم الَّذين يقولون: إن أحاديـث الآحاد تثبت بها العقائد الأساسيَّة، بل يعتبرون مضمون أي حديث صحّ عندهم، عقيدةً يجب الإيمان بها، وإن كان هذا الحديث ليس صحيحًا لذاته، وإنَّما صحيح لغيـره، أي بتعدد طرقـه الضعيفة، ذاهبيـن إلى أن حديـث الآحاد الصحيـح يُوجب اليقيـن، أو العلم القطعيّ، وخصوصًـا ما كان في الصحيحين أو أحدهما.

وأبرز من يمثل هؤلاء في عصرنا هو الشيخ المحدث العلَّامة ناصر الديـن الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الَّذي اعتبـر الحديث الصحيح حُجةً بنفسـه في الأحكام وفي العقائد جميعًا.

وضرب لذلك أمثلة من العقائد اللازمة على كل مسـلم، والمأخوذة من الأحاديث الَّتي صحَّحها بعض العلماء أو صحَّحها هو.

من مثل أنَّ الحجر الأسود نزل من السماء أبيض، فسوَّدته خطايا بني آدم(١)، وأنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء(٢)، وإن طال الزمن.

---

(١) إشارة إلى حديث: «الحجر الأسود من الجنَّة، وكان أشدَّ بياضًا من الثلج، حتى سودته خطايا أهل الشرك». رواه أحمد (٢٧٩٥)، وقال مخرِّجوه: قوله: «الحجر الأسود من الجنَّة» صحيح بشواهده، وأمَّا بقيَّة الحديث فليس له شاهد يُقوِّيه. والترمذي في الحج (٨٧٧)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٥٧٧)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٦١٦٢)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي في الجمعة (١٣٧٤)، وابن ماجه في الصلاة (١٠٨٥)، والحاكم في الجمعة (٢٧٨/١)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١١٥٨)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٢٧). =

QaradawiBooks.com

وما الحكم إذا لم يصحَّ عند المسلم ما صحَّ عند الشيخ من أحاديث؛ لأنَّ المسلم يجدها معارضة للقرآن، أو للعقل، أو للعلم، أو للواقع؟

خذْ مثلًا هذه الأحاديث الَّتي صحَّحها الشيخ الألباني، وذكرها في صحيح الجامع الصغير، حول «لحوم البقر، وأنَّها داء» وحول أنَّ «الموءودة في النار».

- **«عليكم بألبانِ البقر، فإنّها دواء، وأسمانِها فإنّها شفاء! وإيّاكم ولحومها فإنَّ لحومها داء»**(1).

قال الألباني في «صحيح الجامع»: صحيح ونسبه إلى ابن السُّنِّي وأبي نُعَيْم والحاكم، عن ابن مسعود، وأشار إلى أنَّه في كتابه «الصحيح» برقم: (١٩٤٣).

كيف يعتقد مسلم بمضمون هذه الأحاديث، وهو يراها مخالفةً للقرآن وللعلم وللواقع؟!

---

= وقد أعل هذا الحديث جمع من الأئمة الكبار، وعلته أن حسين بن علي الجعفي لم يسمع من عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، وإنما سمع من عبد الرحمٰن بن يزيد بن تميم، وعبد الرحمٰن بن يزيد بن تميم لا يحتج به فلما حدث به حسين الجعفي غلط في اسم الجد فقال جابر.

قال ابن رجب في شرح علل الترمذي (٨١٨/٢) بعد أن ذكر الحديث:... هو حديث منكر، وحسين الجعفي سمع من عبد الرحمٰن بن يزيد بن تميم الشامي، وروى عنه أحاديث منكرة فغلط في نسبته. وممن ذكر ذلك البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود وابن حبان وغيرهم.

(1) رواه الحاكم في الطب (٤٠٤/٤)، وصحَّحه، وتعقبه الذهبي بقوله: «سيف» وهاه ابن حبان. وضعف إسناده ابن حجر في إتحاف المهرة (١٢٨٢٨)، وأبو نعيم في الطب النبوي (٨٥٨). وقال الزركشي اللآلئ المنثورة صـ ١٤٨: منقطع وفي صحته نظر، فإنَّ في الصحيح أنَّ النبي ﷺ ضحَّى عن نسائه بالبقر وهو لا يتقرب بالداء.

و«سيف»: هو ابن مسكين، قال الدارقطني: ليس بالقوي. وقال ابن حبان في المجروحين (٤٤٠): يأتي بالمقلوبات والأشياء الموضوعات.

QaradawiBooks.com

فالقرآن يقــول: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]. وبهيمة الأنعام تشمل الإبل والبقر والغنم.

ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

فذكر هنا البقر باسمها، ودافع عن حِلِّها.

وقد ضحَّى الرسولُ ﷺ بالبقر، وذبَحها بيده، وأكل منها هو وأصحابه.

وصحَّح الشيخ حديث: «**الوائدةُ والموءودةُ في النار**»[1].

ذكره في صحيح الجامع برقم: (٧١٤٢)، وقال: صحيح، رواه أبو داود عن ابن مسعود، وهو في المشكاة: (١٢) في ابن حبان والطبراني، عن الهيثم بن كليب.

وكيف تكون الموءودة في النار، وهي طفلة لا ذنب لها، ولا تكليف عليها يقينًا، والحديث يقول: «**رُفع القلم عن ثلاث: عن الصغير حتَّى يَكْبَر...**»[2] إلخ.

(١) سبق تخريجه صـ١٣٨.

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٩٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وأبو داود في الحدود (٤٣٩٨)، والنسائي في الطلاق (٣٤٣٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩]. وهو يدلُّ على أنَّها لا ذنبَ لها، فكيف تكون في النار؟! وكيف يقبل ذلك الألباني، ولا يجعل معارضة القرآن الصريحة، سببًا في ضعف الحديث؟!

ثم ذكر الشيخ الألباني مع هذا الحديث حديثا آخر جاء في الزيادة، هو قوله: «**الوائدة والموءودة في النار، إلَّا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم**»(١). رقم: (٧١٤٣)، وقال عنه: صحيح. ونسبه إلى أحمد والنسائي، عن سلمة بن يزيد الجعفي.

ومعنى هذا أنَّ الوائدة أصبح لديها فرصة تنقذها من النار، وهي أن تُسْلِم، ولكنَّ الطفلة الموءودة ليس لها سبيل إلى النجاة.

وهذا ما أخذناه على بعض المُحَدِّثين في كتابنا: «**كيف نتعامل مع السنة النَّبويَّة؟**»، إنَّهم يُقَرِّرون القواعد، ويقفون جامدين أمامها، ولا يُطَبِّقونها بقوَّة وصراحة، كما قرَّروا.

## موقفنا من مناقشات بعض الأقدمين حول القطعيَّة والظنيَّة:

لقد تفاوت البشر تفاوتًا كبيرًا فيما بينهم حول القطعيَّات والظنِّيَّات، فكثيرًا ما نرى بعض النَّاس يعتقدون أنَّ ما يشتغلون به من علوم الدُّنيا، أو من علوم الدِّين هو الأمر القطعيّ، الَّذي لا يجوز أن يُشَكِّك فيه أحدٌ، ولا أن يختلف فيه النَّاس.

---

(١) رواه أحمد (١٥٩٢٣)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات... لكن في متنه نكارة. والنسائي في الكبرى في السهو (١١٥٨٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦٦): رجاله رجال الصحيح. عن سلمة بن يزيد الجعفي.

QaradawiBooks.com

فإذا ناقشتَ هذا الأمر، وحللته إلى جذوره الأوَّليَّة، لتختبر جزئيَّاته كلَّها، ومُقَدِّماته كلَّها، هل هي قطعيَّة حقًّا؟ وجدتها: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩].

ولذلك لا بدَّ لنا أن نستيقن من كل شيء، وأن نقف على أرض صُلبة، ونعتمد على قطعيَّات يقينيَّة، لا ادِّعائيَّة، ولا يغرُّنا الصخب، ولا الضجيج، الَّذي تسمعه آذاننا هنا وهناك، فيحدث هولًا مُرعبًا، يُخِيفنا أن نجهر بالحقيقة، وأن نواجه الباطل بالحقِّ، ونخاطب الهوس بالعقل، ونحاسب الظنَّ باليقين، ونضرب التهريج بكلمة الصدق.

لقد رأينا للأسف من علماء المسلمين، الَّذين بلغوا مراتبَ عالية في الثقافة الدِّينيَّة، وفي الثقافة الكونيَّة والعِلْميَّة، من يَفَرِّطون في أمر الدين، خاضعين لمنطق الفلسفات، الَّتي سادت عصرَهم، فجعلوا كلام الله تعالى في كتابه المنزل، على لسان نَبِيِّه المُرْسَل، في آياته المُحْكَمات، اللائي جعلهنَّ الله «**أم الكتاب**»، جعلوا هذه الآيات البَيِّنات، مجرَّد ظواهر لفظيَّة، ليست قطعيَّة ولا يقينيَّة، على خلاف ما هي واضحة المفهوم، بيِّنة المعاني، قاطعة الدلالة، ليس فيها أدنى غموض، ولا مجالَ فيها لاختلاف، أو لشبهة، أو لاعتراض سؤال.

إننا هنا يجب أن نعود بالأمر إلى أصله، ونردَّ العلمَ به إلى أهله، ولا نترك الحقيقة تتسرب منّا، من حيث نشعر، أو لا نشعر.

فماذا يقول علماؤنا الأفذاذ، من القدماء والمحدثين والمعاصرين في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ

QaradawiBooks.com

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

## ممّن نأخذ علمنا ويقيننا؟:

ونحن نسأل هنا: عمن نريد أن نأخذ علمَنا، الَّذي نرجع إليه، ونرتوي به، ونجد فيه كل اليقين الَّذي نطلبه، ونقطع به، ولا نرتاب فيه؟ أنأخذه من الَّذين في قلوبهم زيغ، ممَّن يتبع المتشابهات، ويركض خلفها، ويجد فيها ضالته! أم ممَّن سمَّاهم القرآن: «**الراسخين في العلم**»، المتمكِّنين، الَّذين رسخ العلم في عقولهم، والسكينة في قلوبهم، وظهر لهم الحق واضحًا، فلم يضربوا الأمور بعضَها ببعض، بل ردُّوها بعضَها إلى بعض، حتَّى اتَّضحتْ معالمها، وبرزتْ كوامِنُها، ولاحتْ حقائقها، وتميّز بعضُها عن بعض.

إنَّ الراسخين في العلم في أمتنا من علمائنا الكبار في علم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الأصول، وعلم الكلام، وعلم التاريخ، وعلم السلوك، وعلوم اللغة، وغيرها من المعارف، كل هؤلاء يؤكِّدون لنا أنَّ القرآن هو المصدر الأول لثقافتنا الأساسيَّة، وهو الأساس الأول لقطعياتنا اليقينيَّة، من بيناته نستمد، وعلى محكماته نعتمد، وعلى أصوله نقيم بُنياننا الفكري، ومن قطعيَّاته نغرس معتقداتِنا الأصليَّة، ومفاهيمَنا الفِكْريَّة. وهو ما لا يرتاب فيه مؤمن، ولا يشكك فيه متعلم، ولا يتردد فيه مثقف. انظرْ إلى آيات القرآن، تجدْها في غاية الوضوح، ونهاية الجلاء.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

QaradawiBooks.com

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٤٤].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢].

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٩].

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨].

غير مرخصة للطباعة
نسخة دعائية

QaradawiBooks.com

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢].

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا﴾ [الأنعام: ١١٤].

﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

QaradawiBooks.com

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

QaradawiBooks.com

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝ ۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٠ ـ ٦٢].

ونكتفي بهذه الآيـات من كتاب الله، فلو اسـتمررنا في القرآن كله، لوجدنا الآيـات تلو الآيات كلها أضوأ من الشـمس فـي رابعة النهار، وأوضح من كل كلام يقال للناس في العلم أو الحياة، وكل هذه الآيات المبينة المجتمعة الحاشدة تعطي لكل من يقرؤها بغير شك قضايا يقينيَّة،

QaradawiBooks.com

في الدين خاصَّة، وفي بعض الأمور الَّتي لهــا علاقة بالدين، من قضايا الكون والإنسان والحياة الكبرى.

ومن هنا نحن نعجب، ونستغرب، أو نتوقف كثيرًا، عندما نقرأ بعض ما يقوله علماؤنا الكبار، من رجال علم الكلام أو الفلسفة، ممَّا يتضمن لونا من التشــكيك في أوليات القرآن ومســلماته وقطعياته، ونحن على يقين مطلــق بثبوتها ودلالتهــا القطعيَّة الَّتــي لا يتطرق إليهــا أي ريبة ولا شبهة، والحمد لله رب العالمين.

## الحقائق العِلْميَّة والنظريَّات العِلْميَّة عند سيِّد قُطْب:

ولمْ أرَ في المفسرين، وعلماء القرآن المعاصرين، من هو أشدّ إيمانًا بأنَّ القرآنَ هو مصــدر اليقينيّات والحقائق، وليــس العلم ولا غيره من أدوات البشر، من الشــهيد العلَّامة ســيِّد قُطْب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو لا يسلّم بما يسميه علماءُ الطبيعة، وعلماءُ الكون بـ «الحقائق العِلْميَّة»، الَّتي يلْهج بها الكثيرون؛ لأنّ هذه «الحقائق العِلْميَّة» هي ـ كما يقرِّر العلماء المحدثون كذلك ـ مجرَّد احتمالات راجحة. وليســت قطعيّــةَ الدلالة، ولا مطلقة الدلالة. إنّها حقائق ظنيّة ـ بما أنَّهــا احتمالات راجحة ـ وطبيعة المنهج العلمي التجريبي لا تسمح بغير هذا.

فالإنسان هو الَّذي يقوم بالتَّجْرِبة، ومن ثَمَّ فهو لا يعتمد على نتائج إحصائية، وإنَّمــا يعتمد على نتائج قياســيّة، يُجري تجاربَــه على عددٍ محدودٍ مهما كثر من المادَّة الَّتي هي موضــوع التَّجْرِبة. ثمَّ يقيسُ ما لم تتناوله تجارِبُــه على ما تناولتْه هــذه التجارب؛ لأن كلّ أجـزاء المادَّة ـ موضوع التَّجْرِبة ـ ليستْ في يده، ولا تحت سلطانه البشري المحدود. وكذلك ليســت جميع الظروف والعوارض خاضعة لسلطانه، ولا داخلة

QaradawiBooks.com

في علمه، ولأن عمره ـ لا الفرديّ، ولكن الإنساني ـ محدود كذلك لا يملك فيه إجراءَ التَّجْرِبة على كلِّ أجزاء المادَّة موضوع التَّجْرِبة، والإحاطة بجميع الظروف والعوامل. فهو مضطر اضطرارًا أن يتخذ البرهان القياسي، لا البرهان الإحصائي.

ومن المسلّم به سواء في المنطق العقليّ، أو في العُرف العلميّ، أنَّ البرهان القياسي هو برهان ظنيّ، لا قطْعيّ، وهو برهان مقيّد الدلالة، لا مطلق الدلالة كذلك.. وذلك فضلًا على عامل «**النسبيَّة**» الَّذي يتدخَّل في الموقف، ويجعل كلَّ حقيقة يصِلُ إليها البشر حقيقةً «نسبيَّة» لا مطلقةً، فالحقائق القطعيَّة المطلقة لا يملكها إلَّا الله سبحانه بحُكْم ألوهيَّته المهيمنة على الكون كُلِّه، وبحُكْم علمِه المحيط غيرِ المقيَّد بالزمان والمكان، وبحُكْم أنَّه سبحانه هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن، وهي الصفات اللازمة لعلم الحقيقة القطعيَّة المُطْلَقة، وهي الحقيقة الَّتي يقُصُّ منها في كتابه من القصص ما يشاء.. ومن ثَمَّ لا تحتاج إلى برهان خارجٍ عنها، ولا يستشهد على صدقها وصحَّتها بشيء من الحقائق الظنِّيَّة النسبيَّة المُقَيَّدة، لا من ناحية الاعتقاد وحدها، ولكن كذلك من الناحية المنهجيَّة العِلْميَّة!

## وهذه هي الأخرى..

ثم إنّه لا بدَّ من إدْراك طبيعة المنهج القرآني. فهو منهجُ هداية. هداية للضمير البشري، وللعقل البشري معًا، ليستقيما على منهج واضحٍ ثابتٍ مستقرٍّ في القواعد الكُلِّيَّة الأساسيَّة.

ثُمَّ هو منهج هداية كذلك لنظام الحياة البشريَّة؛ كي يصبح واقع الحياة متناسقًا مع استقامة الضمير والعقل، وبحيث يسمح هذا الواقعُ للضمير والعقل أن يسلكا طريقيهما في سلام واستقامة إلى ما يحبُّه الله ويرضاه.

QaradawiBooks.com

وحين يستقيم نظام الحياة المادِّيَّة الاجتماعيَّة الاقتصاديَّة السياسيَّة الخلقيَّة، ويستقيم الضميرُ والعقل، فإنَّ الله سبحانه يَدَعُ للإدراك البشري أن يبحثَ وأن ينقِّب عن سُنن الكون وقوانينه، وأن يعْرف منها ما هو مقدر له أن يعرف، لينتفع به في تنمية الحياة وترقيتها، وليقوم بوظيفته الأساسيَّة، وهى الخلافة في الأرض، لتعميرها وتنميتها وترقيتها، فالحقائق العِلْميَّة الكونيَّة متروكةٌ تفصيلاتُها للإدراك البشري، وبحثه وكدِّه وتجربته، وصوابه وخطئه، ولم يتكلَّف المنهج القرآني ببيان تفصيلاتِها له؛ لأنَّها داخلة في طوْقه بالقدْر الَّذي يلزم له في أداء وظيفته، وإنَّما تكفَّل الله له ببيان أصول عقيدته، ونظام حياته؛ لأنَّ علمه المحدود لا يكفي في هذا المجال الأساسي، الَّذي تقوم عليه حياته.

**يقول سيِّد قُطْب:**

لم ينْزلِ القرآنُ إذنْ ليكون كتابَ علوم فلكية، أو طبيعية، أو بيولوجية، أو فسيولوجية، أو طبّية، والحقائق الَّتي وردتْ فيه عن مثل هذه المسائل، إنّما وردت في صورة الإشارات الكُلِّيَّة، في معرض الهداية الاعتقادية، ولتصحيح الانحرافات والأضاليل والأوهام والتخبطات الاعتقادية الَّتي أحاطت بهذه المسائل، وبالقدر الَّذي يكفي لتصحيح العقيدة، فلا ينبغي إخراج المنهج القرآني عن طبيعته في هذا الصدد، فإنَّما قيمة هذا المنهج لا تحتاج إلى مزيد من التفصيلات العِلْميَّة! وهو قطعي الدلالة ومطلق الدلالة في موضوعه، فلا يجوز حمله على دلالات ظنّية غيرِ قطعيَّةٍ ولا مطلقةٍ ولا نهائيَّة.

إنّ هذا لا يمنع من الانتفاع بما يثبت من «**الحقائق العِلْميَّة**» ـ وليس «النظريَّات العِلْميَّة» قط ـ في توسيع مدَى الرؤية البشريَّة لدلالاتِ بعض

QaradawiBooks.com

النصوص القرآنيَّـة، ونضرب لذلك أمثلة للمنهـج المأمون في الانتفاع بالكشوف العِلْميَّة في هذا المجال:

حيـن يقـول الله سـبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقـان: ٢]. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعـد: ٨]. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجـر: ٢١] إلخ، فإنَّه يجوز لنا أن ننتفع بما تكشـفه البحوثُ العِلْميَّة من دِقة النظام الكوني، ومن الموافقات الكثيرة في تركيبه لضمان التناسـق المُطلق بين أجزائه، ومن الضبط المطلق في حركته وفي ظواهره، سـواء في المجال الفلكي أو الطبيعي، أو الحيوي؛ لتوسعة مدى الرؤية البشـريَّة لدلالة هذه النصوص، كذلك حين يقول الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فإنَّه يجوز لنا أن ننتفع بالكشـوف العِلْميَّة المستحدثة، فيما تكشـف عنه من الدقّة الباهرة، والتعقيد المدهش في أجهزة السـمع والبصر، وفي الإدراك العقلي للإنسـان، لتوسيع مدى الرؤية البشريَّة لحقيقة هذا الَّذي يمْتنّ اللهُ به على عباده من الأجهزة الباهرة الفائقة، الَّتي لا يقاس إليها بشيء كل ما صنعته البشر من الأجهزة والمعامل!

ولكن حين يقول الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فإنَّه لا يجوز لنا أن نحمل هذا النص على نظريَّة أنّ الأرض كانت قطعة من الشـمس فانفصلـتْ عنها، فهذه ليست سوى نظريَّة، أيْ مجرَّد فرض ظنِّيٍ، وليست نهائيَّة في موضوعِها، بل إنَّ هناك الآن نظريَّاتٍ أخرى تُعادلها، وترْجح عليها!

كذلك حين يقول سـبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]. فإنَّه لا يجوز لنا أن نحمل هذا النص على نظريَّة «السـديم»، فالسـديم

QaradawiBooks.com

ليس إلَّا مجـرَّد نظريَّة، ومثلها سـائر النظريَّات الأخرى عن نشـأة هذا الكون، الَّتي لم يَشْهَدْها أحد من البشـر، ولا غيرهم من خلق الله: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥١].

ولعلَّ هذه الأمثلة أن تُوَضِّح المنهـج الصحيح المأمون في التعامل بين الإشـارات القرآنيَّة، والنظريَّات والحقائق العِلْميَّة البشريَّة، وفي هذا القدر كفاية، لنخلص منه ـ على بصيرة ـ إلى النظر في تلك الإشـارات الواردة في النصوص القرآنيَّة الَّتي نحن بصددها.

نحن ـ كما أسلفنا ـ لا نملك تحديدَ مدلول الأيام السِّتَّة الَّتي خلق الله فيها السماوات والأرض، ولكنَّها ـ قطْعًا ـ غيرُ أيامِ هذه الأرض، أو أيام أي كوكب أو نجم، فأيام الأرض، وأيام الكواكب والنجوم الأخرى، إنَّما وُجِدتْ بعد وجود تلك الكواكب والنجوم، ونتيجة لدوراتها.

والذي نأخذه من هذه النصـوص القرآنيَّة الأخيرة أنّ نشـأة الأرض، وإعدادها لاستقبال الحياة والأحياء، وتزويدها بأقوات هذه الأحياء، تم في أربعة أيام، وأن نشـأة السـماوات وإعطاءها مداراتها وأفلاكهـا وهيئاتها ونظامها، تم في يومين من هذه الأيام السِّتَّة، الَّتي لا نملك تحديد مدلولها.

وأنّ السماءَ في فترةٍ من فترات نشأتها كانت دُخانًا، ولا نملك نحن تحديد الهيئة الَّتي كانـت عليها وهي دخان، ولا نحب أنْ نحدد مدلول هذا النص بنظريَّة «السديم»، الَّتي تقول: إنَّ هذه الكواكب والنجوم قبل تجمعها هكذا في كُتل، كانت سـديمًا، فمدلول السديم ذاته غير محدد علميًّا فـي هذه النظريَّة، وليس هناك اسـتقرار علمـي حتَّى اليوم على طبيعة مادة الكون الأساسـيَّة، فبعد أن تبين سذاجة التصورات الفلسفية الأولى، الَّتي كانت ترجع الكون إلى العناصـر الأربعة: «الماء والهواء

QaradawiBooks.com

والتراب والنار»، اتَّجه التفكير إلى «السـديم» الغامض، ثمَّ إلى الذَّرَّة، حتَّى تبيَّن أنَّ الذرَّة ليسـت أصغر عنصر، وأنَّهـا مُركَّبة من إلكترونات وبروتونات، وأنَّ هذه حين تنطلق بتحطيم الذرة فإنّها لا تسـلك سلوكًا موحدًا، فهي تارة تتصرف كما لو كانت حزمة من الأشعة، وتارة تتصرف كما لو كانت وابلًا مـن القذائف! ومن يدري غدا ماذا يُكتشَـف وراء الإلكترونات والبروتونات؟!

كذلك قد تفيد كلمة «دُخان» الحالة الغازية، وأنَّ السماء كانت مجرَّد غازات، ولكن لا يجوز تقييدها بهذا المعنى على وجه التحديد.

والذي يخلص لنا من وراء هذا كله، أن هناك نشأة للسماوات، كانت فيها على غير ما انتهت إليه.

**السماوات في نظر سيِّد قُطْب:**

ولكن ما السماوات؟

«إنَّ النصوص القرآنيَّة تقول: إنَّها سبع سـماوات طباق، وأنَّها قائمة على غيـر عمد، وأنَّ السـماء الدُّنيـا ـ أي القريبة مـن الأرض ـ مُزينة بمصابيح، فما معنى هذا؟ ما معنى السـماوات؟ وما معنى أنَّها طِباق؟ هل معناها أنَّها طبـاق بعضُها فوق بعـض، وأنّ منها سـماءً قريبة من الأرض، يظهر فيها نورُ الكواكب، أمّا الأخـرى فبعيدة، أو ليس لها جوٌّ تنتقل فيه الأشـعة، ومن ثَمّ لا يرى أهلُ الأرض نورَهـا، كما يرون نورَ الكواكب الَّذي يخترق جوَّ كوكبهم ويُرى فيه؟

أو هل يعني أنَّها مطابقة بعضُها لبعض من ناحية التركيب والتكوين؟ وهذا العدد (سـبع) ماذا يعني على وجه التحديد؟ مـن المتعذر القطع

QaradawiBooks.com

بشيء في هذا الشأن. وكل ما يمكن القطع به هو أن هناك سبع كائنات، كل منها سماء، وأن واحدة منها هي الَّتي نراها قريبة منا.

وقد يكون الكون الَّذي نتصوره نحن بتقديراتنا العِلْميَّة، وبكل أجهزتنا ومراصدنا، والَّذي يحتوي ملايين المجرات، كل مجرة منها تحتوي ملايين النجوم كشمسنا هذه القريبة، وأكبر منها.

قد يكون هذا كله مجرَّد سماء واحدة من هذه السماوات السبع، وهي السماء الدُّنيا، أمّا الأكوان السِّتَّة الأخرى، فلا سبيل لنا إلى كشف شيء منها. أمّا أنَّها بغير عمَد، فظاهرٌ أنَّ النجوم والكواكب معلقة في فضاء لا يعرف النَّاس سعته، وأنَّها قائمة هناك بقدرة الله، وهو الَّذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا»[1].

## رأينا فيما ذهب إليه سيِّد قُطْب:

ونحن مع ما قرَّره سيِّد قُطْب عن قيمة العلم الكوني ومدى قطعيَّته، والتشكيك في كثير ممَّا يحسبه الكونيون من العلميين قطعيات ويقينيات، وهو ليس كذلك.

وهذا ما أكَّدناه من قديم في كتابنا «الإيمان والحياة» حين نقلنا عن بعض العلماء:

### «نتائج العلم تقريبيَّة لا يقينيَّة:

إنَّ نتائج العلم ليست ـ كما يظنُّ بعض النَّاس ـ قطعيَّة يقينيَّة، مائة في المائة (١٠٠٪) وبصورة دائمة، فإنَّ قابليَّة الشكِّ والاحتمال قائمة في

(١) مقومات التصور الإسلامي صـ ٣٢٣ ـ ٣٢٦، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

كثير من نتائج العلم، ذلك أنّ أساس العلم هو التَّجْرِبة، والتَّجْرِبة أساسها الحسُّ، والحواسُّ كثيرًا ما تُخدع؛ وهذا ما أقرَّ به المُحَقِّقون من العلماء.

يقول عالِم أمريكي معاصر هو الأستاذ «ماريت إستانلي كونجدن» في مقال له «إنَّ العلوم حقائق مختبرة، ولكنَّها مع ذلك تتأثَّر بخيال الإنسان وأوهامه، ومدى بعده عن الدِّقَّة في ملاحظاته، وأوصافه، واستنتاجاته.

ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود، فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمّية في الوصف والتنبؤ، وهي تبدأ بالاحتمالات، وتنتهي بالاحتمالات كذلك، وليس باليقين، ونتائج العلوم بذلك تقريبيّة وعُرضة للأخطاء المُحْتَملة في القياس والمقارنات، ونتائجها اجتهاديّة وقابلة للتعديل والإضافة والحذف وليست نهائيَّة»[1].

وتاريخ العلم يبيّن لنا أنّ كثيرًا من الآراء الَّتي كانت في بعض العصور حقائق عِلْميَّة، لا تقبل الجدل، ولا تحتمل الشك، دار عليها الفلك دورته، فإذا هي في عصور تالية أغاليط وأباطيل، لا يقوم عليها برهان، ولا شِبْهُ برهان.

بل إنّ بعض العلوم الأساسيَّة قد تغيرت أسُسها، وتبدلت موازينها، كما رأينا ذلك في قرننا العشرين.

يقول الكاتب التركي الأستاذ «بيامي صفا» في بحث له عن «المفهوم الجديد للإنسان»: «إنَّ إنسانَ القرن العشرين يعيش في أزمة منذ أن بدأ

(١) الله يتجلى في عصر العلم، لنخبة من العلماء الأمريكيين، مقال: درس من شجيرة الورد صـ ٢٤، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، نشر دار القلم، بيروت.

QaradawiBooks.com

يدرك خطأ هــذا المعنى الَّــذي أضْفاه على نفســه، منذ نهايــة القرون الوســطى، أي بدأ يدرك خطأ «تأْلِيه» نفســه. وما حــركات التجديد في العصر الحديث إلَّا بداية للنفور الموجه إلى هذا المعنى.

فقد عرف الإنسانُ عدم كفاية العلم الَّذي أراد أن يضعه مكان الدين، ومكان موازين القيم المعنويّة، فلقد شــهد العِلم نفسُــه انهيارَ أساسين وقاعدتين من قواعده، هذين الأساســين اللذين كانا بمثابة البداهة حتَّى نهاية القرن الماضي. فكما قال «أورتاكاي كست» في اجتماع جنيف: بأنَّ الفيزياء والمنطق اللذين هما أساســا العلم ـ العلم الَّــذي قام عليه بناء المدنيَّة الغربيَّة ـ قد هَدَمَا نفسَيْهما، بنفســيهما: «إنَّ فجاعة الدراما ربما لا تكون ظاهرة لكل عين، لأنّ عينَ غيرِ الخبيرِ لا تكشــف في قطرة دم تحت الميكروسكوب علاماتِ مرضٍ قاتل.

ولكنّ كل خبير يستطيع أن يقدّر بأنَّ الوضع الَّذي سقط فيه المنطق والفيزياء اليوم لهو أبلغ في الإشــارة إلى الأزمة الَّتي تعانيها مدنيَّتنا من جميع فجائع السياسة والحرب؛ لأن هذين العلمين كانا بمثابة الصندوق الَّذي يخبِّئ فيه الغربيون فائضَهم من الذهب، اســتعدادًا لاستقبال الأيام المقبلة بأمن وطمأنينة».

وبعد أن شــرح العالِم الشــهير كيف غيَّر الفيزياءُ أساسَه، وكيف أنَّ المنطق ـ في ظرف خمســين ســنة بواســطة أبحاث ودراســة «رسل» و«وايتهيد» و«هليبرت» ـ قد غيَّر أساســه أيضًا، تابع كلامه: «إنَّ مدنيَّتنا أصبحت تعلم الآن أنّ أسُســها في حالة إفلاس، ولذلك نراها تشك في نفسِــها، ولكن ليس من الممكن أن تموت حالًا أيــة مدنية لمجرد هزّة شك، وإنَّما على العكس فإنَّني أرى أنَّ المدنيَّات لا تموت إلَّا من تصلُّب

QaradawiBooks.com

المُعْتقدات وتحجُّرها. وكلُّ هذه تشير إلى أن شكل مدنيَّتنا، أو بالأصحِّ شكل المدنيَّة الَّتي يُبَجِّلها الغرب قد جفَّ وانتهى»[1].

ولكنَّنا نعتقد أنَّـه يوجد بعض اليقينيَّات الكونيَّة الَّتي لا نشـكُّ في قطعيَّتها، ولا نرتاب فيها بحال؛ لأنَّها لا تحتمل غير ما بدا لنا، وأدركناه بعقولنا، واجتمعت عليه كلمتنا.

انظر مثلًا: إذا قلت: إنَّ القدماء أخطؤوا في اعتبار الماء عنصرًا طبيعيًّا واحدًا، وإنَّه ثبـت أنَّه مركب كيماوي من عنصريـن طبيعيين ظهرا عند التحليل للماء، هما الأكسجين والهيدروجين فهذه حقيقة عِلْميَّة اكتشفها علم البشر، وقامت عليها تطبيقاتهم وسلوكياتهم.

ومثل ذلك ما كان يعتقده الفلاسـفة والعلميون الكبار قديمًا من أنَّ التراب مثل الهواء والنار، كلها عناصر أولية، ثمَّ اكتشف الإنسان بوسائله وبإمكاناته خطأ النظريَّة القديمة القائمة علـى أنَّ الدُّنْيا كلها تتركب من عناصر أربعة طبيعية فقط، هي: المـاء والهواء والتراب والنار، ثمَّ عرف الإنســان خطأ ذلك كله، وأنَّ كل واحد من هذه الأربعة ليس مفردًا كما كان يظـن، وإنَّما هو مجموعة مـن العناصر، عرفها العلمـاء وحللوها، واستفادوا منها.

ومثل ذلك: مـا كان يعتقده كثير مـن المتعلمين، مـن أنَّ الأرض مبســوطة، وأنَّها واقفة ثابتة والشـمس تجري حولها لمستقر لها، وكان المسـلمون في كتبهم يعتقدون أنَّهـا كروية، وأقاموا علـى ذلك الأدلَّة

(١) مجلة «المسلمون»، المجلد (٨)، العدد (٨)، ذو الحجة ١٣٨٣هـ - أيار (مايو) ١٩٦٤م، ترجمة الأستاذ أورهان محمّد علي، وانظر: الإيمان والحياة صـ ٣٠١، ٣٠٢، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٨، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

العِلْميَّــة والعقليَّة، ثمَّ أصبح ذلــك حقيقة كونيَّة ثابتة بالمشــاهدة الَّتي لا تكذب، والناس يطوفون حولها، فهذه مــن الحقائق الكونيَّة الجازمة والثابتة الَّتي لا يجوز التشكيك فيها أو في ثبوتها بحال.

وهناك أشــياء، وحقائق كثيرة من هذا النوع، لا أظن مفكرنا ســيِّد قُطْب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرتاب فيهــا أو في قطعيتهــا، ولو قيل ذلك، لاســتحق أن نخالفه، فنحــن أيَّدناه بالحق للحــق، ولا مانع أن نخالفــه أيضًا للحق بالحق.

**أهمّية النصوص القطعيَّة في التفسير:**

كما أنّ النصوصَ القطعيَّة يُستفاد منها في تفسير القرآن، حيث يعتبر الاعتصامُ بها من المعالم البارزة، والضوابطِ المهمَّة، لحُســن الفهم عن الله ورسوله، فمن تمسك بها لا يزيغ أبدًا.

وهذا الضابط يكمّل ضابطًا آخر ويعضّده، وهو رد المُتشابهات إلى المُحْكَمات.

وأعني بالنصوص القطعيَّة هنا: ما اجتمع فيه الأمران: قطعيّة الثبوت، وقطعيَّة الدلالة.

وقطعيَّة الثبــوت إنَّما تتحقَّــق في القــرآن الكريــم، والمتواتر من الأحاديث، وما يلحــق بالمتواتر من أحاديث الصحيحيــن، الَّتي تلقتها الأمة بالقبول، واحتفّ بهــا من القرائنِ والدلائــل، ما يرفعها من مرتبة الظنِّ ـ الَّذي هو الأصل في أحاديث الآحاد ـ إلى مرتبة القطْع واليقين.

فالأصل في قطعي الثبوت أن يكون من القرآن، والقليل من السُــنَّة، فمن المقرر المعلوم أنَّ جمْهرة السُنَّة من أحاديث الآحاد.

QaradawiBooks.com

أمَّا قطعيّة الدلالة، فنعني ألا يحتمل النص إلَّا تفسيرًا واحدًا، ووجهًا واحدًا، بحكم وضعه اللغوي أو الشرعي، أو بدلالة القرائن المُحتفّة به، الَّتي تزيل أي احتمال لفهمٍ آخر.

ومن هذه القرائن والدلائل: إجماع الأمّة على هذا الفهم، واتفاق طوائفِها ومذاهبِها عليه.

فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

يدلّ بطريق القطع واليقين على تحريم الخمر والميسر، بدليل الأمر بالاجتناب (الذي لا يُذكر في القرآن إلَّا مع الأوثان، والطاغوت والكبائر)[١] وترتيب الفلاح عليه، وقرَنها بالأنصاب والأزلام، وجعلها رجْسًا من عمل الشيطان، مع بيان بعض آثارها الرُّوحيَّة والاجتماعيَّة الضارة.

ولا غرو أنْ أجمعت الأُمَّة على تحريم الخمر، بل على اعتبارها من الكبائر، فلا مجال لمُماحكٍ يُماري بالباطل، ليُشكّك في هذا التحريم القاطع؛ لأنَّ القرآن لم يذكر لفظ «التحريم» صراحة، بل «الاجتناب».

وقد رددْنا على هذا الهُراء الباطل في بعض كتبنا فلتراجَع[٢].

(١) مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ [الزمر: ١٧]. وقوله ﷻ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١]. وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧].

(٢) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٦٤٤/١ ـ ٦٤٨)، تحت عنوان: تحريم الخمر من قطعيات الدين، نشر دار القلم الكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

فهـذا دالٌّ على تحريم الربا تحريمًا شـديدًا، بهـذه الألفاظ الزاجرة الهائلة، وهو ما لا خلاف عليه، كما لا خلاف بين الأمة على تحريم «ربا النَّسِيئة» وهو: الزيادة المشروطة على رأس المال في مقابل الأجل، وإنَّما الخلاف بين الأمة فيما عُرِف باسـم «ربا الفَضْـل» وهو ربا البيوع، وهو مُحرَّم بالحديث سدًّا لذريعة الربا الحقيقي، الَّذي هو ربا النسيئة، فتحريمُه هو تحريم الوسـائل، لا تحريم المقاصد، كما بيَّن ذلك الإمام ابن القيِّم في «إعلام المُوَقِّعين»[1]. وتسمية هذا النوع «ربا» تسمية مجازية، كما قال شيخنا دراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]. فلا محلَّ لمُتقَوِّل مجترئ يزعم أنَّ «الربا» الَّذي آذن اللهُ مرتكبيه بحـربٍ من اللهِ ورسـوله، والَّذي لُعِنَ آكلُـه ومؤكله وكاتبه وشـاهداه، على لسـان مُحمَّد ﷺ، لم يكن معلومًا للأُمَّة، وأنّ الصحابة والتابعين والأتباع، والأئمة المجتهدين من جميع المذاهب، الَّذين حرَّموا ربا النسيئة، أخطؤوا الفهم عن الله ورسـوله، وقالوا في الدين بغير علم، وحرَّموا ما أحلَّ الله، افتراءً على الله، أو أنَّ الرسول ﷺ لحق بربه، ولم يَقُمْ بما أوجب اللهُ تعالى عليه، مـن بيان ما أنزل إليه للنـاس، فكأنّ هؤلاء يتهمون الرسولَ الكريم بالخيانة في التبليغ عن ربه، أو التقصير في بيان ما نُزِّل إليـه، أو يتّهمون الأمّة كلهـا بالغباءِ والجهالـة، ففهمتْ عن اللهِ ورسوله غيرَ ما أراداه، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله!

---

(١) انظر: الإعلام (١٣٥/٢ ـ ١٤٦)، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة السعادة، مصر، ط ٢، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

(٢) انظر: الربا في نظر القانون الإسلامي صـ ١٨، نشر بنك فيصل الإسلامي، مصر.

QaradawiBooks.com

والعلماء متّفقون على أنَّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، فكيف بتركه بالكُلِّيَّة؟!

وممَّا ينبغي التنبيه عليه هنا: أنَّ النصّ الواحد، قد يتضمن عِدّة أحكام، بعضُها قطعي في دلالته، وبعضُها ظنيّ، فلا يجوز اتخاذ الجزء الظني في النصّ دليلًا على إنكار القطعي منه.

فقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

يدل جزمًا على وجوب قطع اليد من السارق والسارقة، ولا احتمال فيه بوجه من الوجوه أن يكون هذا الأمر للاستحباب، ولا احتمال لأنَّ يكون قطع اليد مجازيًّا، على نحو ما قال بعضهم في شاعرٍ هجاه: اقطع لسانه، أي بالعطاء والنوال. كما زعم ذلك بعض المعاصرين، الَّذين يسْتشْنِعون إقامة الحدود، تأثرًا بالفكر الغربي.

ولكن أي يد تُقطع؟ ومن أين تُقطع؟ وما النصاب ـ أو الحد الأدنى من المال ـ الَّذي تُقطع فيه؟ وما الشروط اللازمة لإقامة الحدّ؟ وما الشُّبهات الَّتي تدْرؤه؟

هذه التساؤلات والإجابة عنها، تدخل في الدلالات الظنية للنص، وهي معترك الأفهام بين الفقهاء، ولكل فيها رأيه، واجتهاده، وترجيحه، في دائرة الأصول المرعيّة، والقواعد المُتّبعة.

ومن المؤكد: أنَّ النصوص القطعيَّة ـ ثبوتًا ودلالة ـ لا تُناقض القواطع العقليَّة، ولا اليقينيّات العِلْميَّة بحال، كما لا يمكن أن تُناقض المصالحَ القطعيَّة للناس.

QaradawiBooks.com

أمّا قواطع العقل والعلم، فلأنّ القطعيــات لا يُناقض بعضُها بعضًا، وإلا لم تكن قطعيَّــةً، وهو خلاف المُفْترض؛ وما يُظَــن من تناقضٍ في ذلك، فلا بدَّ أن يكون أحد الطرفيــن من الدين أو العقل أُدْخِل في دائرة القطع واليقين خطأً، وهو لا يعْدُو دائرةَ الظنِّ.

وأمّا المصلحــة القطعيَّة، فلا يمكــن أن تُناقضَ النــصَّ القطعي أو يُناقضها بحال؛ وهو ما أكّده علماء الأمة قديمًا وحديثًا.

وإذا تُوهِّم هذا التناقض، فلا بدَّ من أحد أمرين:

إمّا أن تكون المصلحة مظنونة، أو موهومة، مثل مصلحة إباحة الربا لطمأنة الأجانب، أو إباحــة الخمر لاجتذاب السياحة، أو إباحة الزنى للترفيه عن العُــزَّاب، أو إيقاف الحدود، مراعاة لأفــكار العصر! أو غير ذلك ممَّا يموِّه به مموِّهون من عبيد الفكر الغربي.

وإما أن يكون النص الَّذي يتحدثون عنه غير قطعي، وهو ما وقع فيه كثير من الباحثين، ولا ســيَّما من غير المتخصصين والمتضلعين من علوم الشَّرِيعة وأسرارها، فحسبوا بعض النصوص قطعيَّة، وليست كذلك.

ومن أمثلة ذلك: أنَّ العلَّامة الشيخ مُحمَّد أبا زهرة، ذكر في كتابه عن «الإمــام أحمد بن حنبل» عندمــا تحدَّث عــن رأي نجم الدين الطوفــي (ت: ٧١٦هـ) في تقديم المصلحة على النــصِّ إذا تعارضا، فقال: «إنَّه لا يمكن أن يكون ثمَّت تعارضٌ بين مصلحة يقينيَّة، ونص قطعي»[1].

(١) انظر: ابن حنبل لأبي زهرة صـ ٣١٠، نشر دار الفكر العربي.

QaradawiBooks.com

### تعليق الدكتور متولي على كلام الشيخ أبي زهرة:

وعلَّق الدكتور عبد الحميد متولي أستاذ القانون الدستوري المعروف في كتابه «مناهج التفسير في الفقه الإسلامي» على كلمة الشيخ أبي زهرة بقوله: الواقع أنَّ هذا القول ـ فيما نعتقد ـ لا يتفق مع الواقع، ومع ما كان يراه بعض كبار الصحابة، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، بل ولا مع ما كان يراه الرسول ذاته.

«فالرسول نهى عن قطع يد السارق في زمن الحرب، خشية أنْ ينتقل السارق إلى صفوف الأعداء هربًا من القِصاص؛ الأمر الَّذي يدلُّ على أنَّ الرسول رأى أنَّ النص القرآني المعروف (الذي يقضي بقطع يد السارق) لم يكن يتفق تطبيقه في تلك الحالة (حالة الحرب) مع المصلحة.

وعمر بن الخطاب لم يطبق نص الآية القرآنيَّة المعروفة الَّتي وردت بشأن إعطاء الصدقات إلى «المُؤَلَّفة قلوبهم»؛ لأنَّه وجد المسلمين، لم يعودوا بحاجة إلى المُعَضِّدين والمُؤَيِّدين من تلك الطائفة، ومن ذلك نرى أنَّه لم يُطَبِّق النصَّ لزوال حكمته؛ أو بعبارة أخرى: وجد أن تطبيق النص أصبح في عصره لا يتَّفق مع المصلحة»[1] اهـ.

والواقع أن تعليق الدكتور متولي على شيخنا أبي زهرة في غاية الخلل والاضطراب وسوء الفهم، فهو يجعل بيان الرسول ﷺ للنص

(١) انظر: مناهج التفسير في الفقه الإسلامي للدكتور متولي صـ ٩١، نشر شركة عكاظ، السعودية، ط١. والكتاب يحمل عنوانًا كبيرًا، لم يتأهل له مؤلفه بما ينبغي من عُدة، ولهذا اضطربت آراؤه، وخف ميزانه، ومَن أراد أن يقرأ في الموضوع فليرجع إلى كتاب د. محمّد أديب صالح: تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، في مجلدين، وهو دراسة جادة متخصصة، حصل بها على الدكتوراه من جامعة القاهرة، وأثنت عليها لجنة المناقشة ثناءً طيّبًا، طبعة المكتب الإسلامي في بيروت.

QaradawiBooks.com

القرآني من باب تعارض المصلحة مع النص، ونسـي أن مهمة الرسول ـ بنص القرآن ذاتـه ـ أن يبيِّن للناس ما نزل إليهـم، وأنّ مِن هذا البيان تخصيصَ العام، وتقييدَ المطلق بإجماع العلماء كافة.

وقد بيَّن الرسـول بالنسـبة للنص القرآني في حد السرقة: النصاب الَّذي يوجب القطْع، فلا قطع في أقل من ربـع دينار، أو فيما دون ثمن المِجنّ، ولا قطع فيمـا يؤخذ من غير حِرْز، كالـذي يؤخذ من الحقول للأكل، ولا قطْع فيمن أخذ من مال ابنه أو ابنته لقوله ﷺ: «**أنت ومالُك لأبيك**»[(١)] ويقاس عليه كل مَن سـرق من مالٍ له فيه حـقّ. والقطع إنّما يكون لليد اليمنى، ومن الرُّسْغ، لا من المِرْفق، ولا من العَضُد، إلى آخر ما جاءت به السُّنَّة مبينة للقرآن، وكان من ذلك: نهيه ﷺ أن تقطع الأيدي في الغزو[(٢)].

فكيـف اعتبر الباحـث هذا الأمـرَ وحْـده معارضةً للنصّ باسـم المصلحة؟ وهل يعتبر الدكتور متولي النصَّ من القرآن وحدَه؟ أم يشملُه، ويشمل النص من الحديث النبوي أيضًا؟

فما ذكره في هذا المقام لا يدخل في باب التعارض قطّ، لا بين نصٍ ومصلحة، ولا بين نصّين، بل هو من باب بيان السُّنَّة للقرآن[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٦٩٠٢)، وقال مخرِّجوه: حسـن لغيره. وأبو داود في البيوع (٣٥٣٠)، وابن ماجه في التجـارات (٢٢٩٢)، وصحَّحـه الألباني في صحيح ابن ماجـه (١٨٥٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (١٧٦٢٦)، وقال مخرِّجوه: رجاله موثقون. وأبو داود (٤٤٠٨)، والترمذي (١٤٥٠)، وقال: غريب. كلاهما في الحدود، وصحَّحه الألباني في المشكاة (٣٦٠١)، عن بسر بن أرطاة.

(٣) وممَّا يدخل في بيان السُّنَّة للقرآن هنا: اعتبار التوبة مسقطة للحق، كما رجح ذلك ابن تيمية وابن القيم. انظر: إعلام الموقعين (١٩/٣ ـ ٢٢).

QaradawiBooks.com

أمَّا ما ذكره الدكتور متولي عن موقف عمر من «المُؤلَّفة قلوبُهم» وأنَّه عطَّل النصَّ لتعارُضِه مع المصلحة في عصره، فهذه دعْوى عريضةٌ على ابن الخطَّاب رضي الله عنه، فهو لم يُعَطِّل نصًّا، وما كان له أن يفعل، ولا يملك هو ولا غيره ذلك. وما قاله الدكتور هنا ترديد لقول أناس سبقوه. لم يعطوا الموضوع حقَّه من الدرس والتأمل.

وقد رددنا على ذلك في بعض كتبنا، ولا بأس أن نضع هنا شيئًا منها، يستلزمه هذا الكلام.

**الردُّ على هذه الدعوى:**

لقد ردّ كثيرون من أهل العلم والفقه على هذه الدعوى العريضة، الَّتي تنتهي إلى تجميد النصوص، بل إلى إلغاء شريعة الخالق بأهواء المخلوقين.

ولكنّي أكتفي هنا بردّ عالم واحد متمكّن، هو العلَّامة الشيخ مُحمَّد المدني، أحدُ كبار علماء الأزهر وأدبائه وكُتَّابه، وعميد كلية الشَّرِيعة بجامعة الأزهر، رحمه الله.

**رد الشيخ مُحمَّد المدني:**

ردَّ الشيخ مُحمَّد المدني رحمه الله على هذه الدعوى في أثناء ردِّه على مقالة اللَّبَابِيدي المثيرة في مجلة «رسالة الإسلام» حيث أصدر رسالة صغيرة مُرَكَّزة في الردِّ عليه تحت عنوان «السلطة التشريعيَّة في الإسلام: بحث على بحث». كما ردَّ الشيخ أيضًا على هذه الدعوى في إحدى مقالاته الَّتي نشرها في مجلة الأزهر تحت عنوان «نظرات في فقه عمر» والَّتي نشرت أخيرًا في كتاب تحت عنوان «نظرات في اجتهادات الفاروق

QaradawiBooks.com

عمر بن الخطاب»[1]، ومن هذا الكتاب نقْتبس هــذه الكلمات المضيئة بنور الحقِّ والدليل.

يقــول رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ حقيقة الأمر في ذلــك: أنَّ عمــرَ والصحابة الَّذين وافقوه، ومن جاء بعدهم مــن العلماء، لم يخرجوا عن دائرة النصِّ، ولم يُعلِّقوه، وإنَّما فهموا أنَّ الله ســبحانه وتعالى لما قال: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أثبت لفريــقٍ من النَّــاس نصيبًا مــن الزكاة بوصــفٍ مُعَيَّــن هو مناط الاستحقاق، ووجوب الإعطاء، ذلك هو كونُهم «مُؤلَّفةً قلوبُهم».

ولمــا كان التأليف ليس وصفًــا طبيعيًّا يحدث للنــاس كما تحدث الأعراض الطبيعيَّة، بل هو شيء يقصد إليه وليُّ الأمر، إنْ وجد الأُمَّة في حاجة إليه، ويتركه إنْ وجدها غيرَ محتاجة إليه، فإنْ اقتضتْ المصلحة أن يؤلّف أناسًا وألَّفهم فعلًا، أصبح الصنْف حينئذ موجودًا فيستحق، وإذا لم تقتضِ المصلحة ذلــك، فلم يتألف أحــدًا، فإنّ الصنــف حينئذٍ يكون معدومًا، فلا يقال: (إنّه منعه)؛ لأنَّه ليــس معَنَا أحدٌ يجري عليه الضمير البارز في «منعه».

وبذلك يتبيّن أنَّ النــصّ لم يُعطَّل ولم يُعلَّق، وإنَّمــا المحلّ هو الَّذي انْعدَم، فلو أنَّ ظرفًا من الظروف على عهد عمر أو غيره من بعده، قضى بأنْ يتألَّف الإمامُ قومًا فتألفهم، لأصبح الصنف موجودًا، فلا بدَّ من إعطائه.

وقد يردُّ على هذا: أنَّ المؤلَّفة قلوبهم كانوا موجودين فعْلًا على عهد عمر، وهم الَّذين كان رسول الله ﷺ قد تألَّفهم، فعُمر منعهم مع وجودهم، فلا يقال إذنْ: إنَّ عــدَم الإعطاء لعدم وجود الصنــف، وإنَّما هو لمعنى

(١) نشرتها دار النفائس، ودار الفتح، بيروت.

QaradawiBooks.com

مصلحي قدره عمر، وهو: أنَّ الإســلام قد أعزّه الله، ولم يعُدْ هناك سبب للتأليف، وهذا يتّفق مع ما يقرره بعض العلماء، مــن أنّ إعطاء المؤلفة قلوبهم، حُكْمٌ معلّل بحاجة الإسلام إلى التأليف، فإذا انتفتْ عِلَّته انتفى؛ لأنَّ الحكم المُعَلَّل، يدور مع عِلَّته وجودًا وعدمًا.

قد يرد علينا هذا، وربّما كانت عبارة عمر المرويّة في هذا الشــأن، وهي قوله: «إنَّ الله قد أعزَّ الإسلام، وأغنى عنكم»[١] مُؤَيِّدة لهذا الإيراد.

ونقول في الردِّ على ذلك: إنَّ قوْل عمر للمؤلّفة قلوبُهم، الَّذين كانوا يأخذون على عهد رسول الله ﷺ: «إنَّ الله قد أعزَّ الإسلام وأغنى عنكم» معناه أنَّ رسول الله ﷺ قد ألَّف قلوبَكم لمصلحة الإسلام، فصار لكم هذا الوصف، وصف «المُؤَلَّفة قلوبهم» فأعطاكم، لكن هذا الوصف لم يستمرَّ لكم إلى الآن؛ لأنَّ الإسلام قد عزَّ واستغنى، فزالت الحاجة إلى التأليف، فلم يبقَ بيننا «مُؤَلَّفة قلوبُهم» بمعنى أنَّهم موصوفون بهذا الوصف الآن، وإن كانوا «مُؤَلَّفة قلوبهم» باعتبار ما مضى.

وهذا الوصــف ممَّا يتغيَّر ويتبدَّل كوصف الفقــر، فقد يكون المرْء فيما مضى فقيرًا، فيكون له في الزكاة نصيبٌ، ثمَّ يصبح غنيًّا فلا يكون له فيها نصيب.

ولا ينبغي أنْ يتوهم أنَّ هؤلاء النَّاس استحقوا هذا الوصف إلى آخر عمرهم، أو أنَّ الإمــام يجب أن يعدّهم كذلك إلى آخــر عُمْرهم، وإنَّما الأمرُ أمرُ تقديرِ المصلحة في نظر الإمام، فإن أدَّاه اجتهادُه إلى أن يتألَّف أعطى، وإلَّا فلا.

---

(١) رواه البيهقي في قسم الصدقات (٧/٢٠)، عن عَبيدة السَّلماني.

QaradawiBooks.com

وإذن فليس معَنَا نصٌّ وقف العملُ به أو عُلِّق، أو نُسخ أو عُدّل، ولكن معنا نصٌّ معمول به؛ لأن معْناه مقيّد مِن أوَّل الأمر بالقيد الطبيعي، الَّذي لا يعقل انفكاكه عنه، كأنه قيل: «والمؤلفة قلوبهم إن وجدوا»، كما يقال مثل هذا في الفقراء والمساكين مثلًا، إنَّما الصدقات للفقراء إنْ وجد فقراءُ، والمساكين إن وجد مساكينُ، وفي الرّقاب إن وجدتْ رقابٌ مملوكة.

فإذا كان هناك من يريد أنْ يحاول أنْ يجادل عمر ﵁ في أنّ التأليف، أيْ: إيجاد صنف المؤلفة، واجبٌ على الإمام في كل حال، فهذا جدال في موضع من مواضع الاجتهاد، وليس في محلّ نصٍّ، والفرق بين وجوب التأليف، ووجوب إعطاء المؤلفة قلوبهم حين يكون هناك تأليف واضح، فالأوّل: أمر مصلحي يختلف فيه النظر، والثاني: حكم نصي لا يمكن التصرف فيه بالإبطال، أو التعْديل، أو التعليق[1] انتهى كلام الشيخ المدني.

## تعليق الشيخ الغزالي:

ويعلق الداعية الكبير الشيخ مُحمَّد الغزالي ﵀ على موقف عمر فيقول:

«فهْم صنيع عمر على أنَّه تعطيلٌ للنصِّ: خطأ بالغ، فعمر حرَمَ قومًا من الزكاة، لأنَّ النصَّ لا يتناولهم، لا لأنَّ النصَّ انتهى أمَدُه.

هبْ أنّ اعتمادًا ماليًّا في إحدى الجامعات خُصص للطلبة المتفوقين، فتخلّف في المضمار بعضُ من كانوا يصرفون بالأمس مكافآتهم، فهل

(١) السلطة التشريعية في الإسلام بحث على بحث للشيخ محمّد محمّد المدني صـ ٢٤ ـ ٢٧، نشر مطبعة أحمد علي مخيمر.

QaradawiBooks.com

يُعدُّ حرمانهم إلغاءً للاعتماد؟! إنّه باقٍ يصرف منه من استكملوا شروط الصرف.

وقد رفض عمر إعطاء بعض شـيوخ البدْو ما كانوا ينالونه من قبل، تألّفًا لقلوبهم، أو تجنّبا لشـرورهم... أبعد هزيمة كسـرى وقيصر يبقى الإسـلام يتألَّف حفنة من رجال القبائل الطمَّاعين؟ ليذهبوا إلى الجحيم إنْ رفضوا الحياة كغيرهم من سائر المسلمين[1]؟!

* * *

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين صـ ٤٤، ٤٥.

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٨

# تيارات الفكر الإسلامي الأصيل
# هل لها قدرة على التحوُّل والتعديل والتغيير؟

وممَّا ينبغي أن يكون موضع البحث هنا: الجواب عن سؤالٍ مهمٍّ، وهو: هل تقدر تيارات الفكر الإسلامي الأصيل على التحرُّك والنمو؟ وهل تستطيع في مسيرتها أن تُعدِّل أو تُغيِّر، فتنتقل مِن سلبٍ إلى إيجاب، ومِن إيجابٍ إلى سلب؟ أم إن طابع هذه التيارات هو الجمود الَّذي لا يقبل التطور، والثبات الَّذي يرفض التغيُّر؟

والذي نجيب به، ونحن مُطمئنُّون: أن هذا التيار تيار حيٌّ مُتحرِّك، وما دام حيًّا متحرِّكًا، فهو قادر على النمو، وعلى التغْيير، وعلى التطوُّر، مثل كل الكائنات الحيَّة العاقلة.

وإذا كان الفكر موصولًا بالدين، فالدين لا يمكن أن يجمِّد الفكر، بل هو يعطيه قُوّة، ويمنحه قُدرة على الأخذ والرد، والجذب والشد، والمجادلة والمصاولة، والتفكير المجرَّد، التفكير للوصول إلى الحقِّ، التفكير بإخلاص لله، كما يقول القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

فالله تعالى يأمر رسوله أن يعظ أمَّته بموعظةٍ واحدة، يوصيهم بهذه الوصيَّة الفذَّة: أن يقوموا لله، أن ينهضوا ويتحركوا، ولا يقعدواويناموا،

QaradawiBooks.com

وأن يثوروا من مقاعدهم ومضاجعهم لله، أي: مخلصين لوجهه، لا طلبًا للدنيا، ولا للمال، ولا للجـاه، ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾، أن يقوم الواحد مع صديقه ورفيقه وزميله، أو وحـده بعيدًا عن «العقل الجمعيِّ» ثمَّ يتفكَّر ـ أو يتفكـرا ـ التفكيـرَ الحـر، غير مربـوط بمـاضٍ، ولا بمجتمع، ولا بأفكار سابقة.

وهذا أقصى ما يُطالِب به دينٌ فردًا من الأفراد، أو جماعة من النَّاس، أو أمة من الأمم.

وقد رأينا في تيارات الفكر الإسلامي، وبين كبار العلماء المستقلِّين، تحرُّكات إيجابية فـي تفكيرهم، وتنقُّلات في السـاحة العقليَّة، بعضها يُعتبر تنقلات كبيرة، بهـرتِ الناظرين، وبعضها يوشـك المخالفون ألَّا يصدقوه، مع أنَّه أمر واقع، ما له من دافع.

**• تغيُّر إمام الحرمين:**

وأبرز مَن نرى فيهم التغيُّر الفكري، الَّذي هزَّ العالم مِن حوله. هو تغيُّر العقل الكبير، عقلِ الرجل الأشعري البارز، الَّذي كان له صولاته وجولاته، فـي ميدان الكلام، وفي مجال الفقـه، وأصول الفقه، وهو الَّذي إذا قال الشافعيَّة: «الإمام» في علم الفقه، لا ينصرف هذا اللقب إلَّا إليه.

إنَّه إمـام الحرمين، صاحـب الكُتـب الكلامية الشـهيرة في علم الأشاعرة: «الإرشاد»، و«الشـامل»، و«اللُّمَع» الَّتي تمثِّل المرحلة الأولى من مراحل علم الكلام عند الإمـام. ثمَّ تبدأ المرحلـة الثانية والأخيرة بكتابين هما: «البرهان» في أصول الفقه، وهو عمل لا سابق له غيرُ رسالة الشافعي، و«العقيدة النظامية» في علم الكلام.

QaradawiBooks.com

وله في الفقه كتابه الفريد، الَّذي سبَقَ به مَن قبله، وأعْجَزَ به مَن بعده، إنَّه «نهاية المطلب في دراية المذهب»، الَّذي حقَّقه وعلَّق حواشيه أخونا العلَّامة الأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب، عليه رحمة الله.

**• تغيُّر الغزالي:**

وكذلك تغيُّرات تلميذه، حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، الَّذي اتَّفق المسلمون على أنَّه مُجدِّد القرن الخامس الهجري، كما قال السيوطي في رجزيَّته:

**والخامسُ الحَبْرُ هو الغَزَالِي وعدُّه ما فيه من جِدَالِ**(١)

وقد بدأ الغزالي بما بدأ به علماء الأُمَّة، فأتقَنَ علوم الفقه، والأصول، والكلام، والملل والنحل، والفلسفات المختلفة، واعترف هو أنَّ بضاعته مزجاة في علم الحديث، ودرس الفلسفة اليونانيَّة، ولخَّصها في كتابه «مقاصد الفلاسفة»، ثمَّ ردَّ عليهم في كتابه «تهافُت الفلاسفة»، مركِّزًا على عشرين مبدأً من مبادئهم، فخطَّأهم في سبعة عشر منها، وكفَّرهم في ثلاثةٍ:

ـ أنَّ العالم قديم ولم يخلقه الله.

ـ وأنَّ الله تعالى لا يعلم الجزئيات في هذا الكون.

ـ وأنَّ البعث الأخروي بعث روحاني لا جسماني، ولا توجد جنَّة ولا نار، بالصورة الَّتي يتصورها ويصوِّرها المسلمون.

(١) وهي رسالته تحفة المهتدين بأسماء المجدِّدين. انظر: كشف الخفاء (٢٤٣/١).

QaradawiBooks.com

وردَّ الغزالي على الباطنيَّة، وبيَّن أن ما قالوه: ظاهرُه الرفْض، وباطنه الكفر المحض.

ثم بعد ذلك ترك الغزالي هذا كلَّه، وهجَرَ النَّاس، وترك الإمامة والأستاذية، ومالَ إلى طريقة المتصوِّفة، وأعجب بهم، وألَّف في طريقتهم «إحياء علوم الدِّين»، وما يتعلَّق به من كتب التصوُّف.

وقد سجَّل ذلك الغزاليُّ في كتابه الرائع «المُنقذ من الضلال»، ولكنِّي هنا لن أتحدَّث عن الإمام الغزالي، ومراحل فِكره وتنقُّله، وأكتفي هنا بذكر شيخه وإمامه: إمام الحرمين الجويني.

**• ماذا عن التطور الفكري عند إمام الحرمين؟**

نذكر هنا ما أتحفنا به قلم الدكتور مُحمَّد عبد الفضيل القوصي، في كتابه أو كُتيِّبه: «تطوُّر الفِكر الكلاميّ عند إمام الحرمين الجويني»، وهو دراسة مُوجزة، ولكنَّها قيِّمة، وممَّا قال فيها:

«لقد احتفظ لنا التراث الأشعري المدوَّن ـ لحُسن الطالِع ـ ببعض الملامح الَّتي يمكن أن نستشفَّ منها مجرى التطور الفكري عند الجويني، على نحو ربما يماثل ما نجده لدى الرازي، بل احتفظ لنا ذلك التراث بما برِح يُحْدِثه هذا التطور مِن ردود الأفعال المتعاقبة، الَّتي تراوحت ما بين المدح والقدح، والاستحسان والاستهجان، لكنَّها ـ على أيَّة حال ـ ملامحُ شحيحة، لا وجه لمقارنتها بتجربة الغزالي، الَّتي تكفَّل هو نفسُه بوصف شِعابها ومُنعرجاتِها. على أنَّ هذا التطور عند الجويني يُثير مِن الإشكالات والاحتمالات بقدر ما يحمل مِن الحلول والإجابات، وهذا شأن إمام الحرمين.

QaradawiBooks.com

ألم يكن ـ كما قال التاج السُّبْكي[(١)] ـ: «لا يُخْلي مسألة عن إشكال، ولا يخرج إلَّا عن اختيار يخترعه لنفسه، وتحقيقات يستبدُّ بها»؟

بيْدَ أنَّ الحديث عن التطوُّر الفكري ـ سواء عند الجويني، أو عند غيره ـ لا يمكن أن تقوم له قائمة إلَّا إذا رُتِّبت المصنفاتُ ترتيبًا متدرِّجًا، بحسب زمان تصنيفها حتَّى يتبيّن السابق من اللاحق، فبدون هذا الترتيب الزمني: يكون الحديث عن التطوُّر رجمًا بالغيب وتخرُّصًا على غير هدى.

فماذا نفعل بإزاء ترتيب مصنَّفات الجُوَيْني، والمصادر الَّتي بين أيدينا تسرد قائمة تلك المصنفات سردًا مُجردًا في الأغلب الأعمِّ؟

لا مناص إذن من تلمُّس الشواهد حينًا، ومن الاستعانة بالاستبطان النقديّ حينًا، وقُصارى ما نُحصِّله من هذا وذاك: الرُجحان، وغلبة الظن.

١ ـ فإمام الحرمين يذكر في «الإرشاد»[(٢)]: «ومن ابتغى مزيدًا فليتأمَّل «الشامل»»، وفي هذا ما يدل على أنَّ الشامل سابق على الإرشاد، وإذا قارنَّا بين عديد من أفكار «الشامل» و«الإرشاد» من جهة، وبين «لمع الأدلَّة» من جهة أخرى، كالمقارنة بين عناصر قضيَّة حدوث العالم، أو الآيات المتشابهات[(٣)]، فلن نجد كبير فرق، ممَّا يجعلنا نرجِّح أن يكون «الإرشاد»، و«الشامل» و«اللمع» ثمارًا لمرحلة واحدة، هي المرحلة

(١) طبقات الشافعية للسبكي (١٩٢/٥).

(٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني صـ ٣٣٧، تحقيق د. محمّد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

(٣) اللمع للجويني صـ ٧٦ وما بعدها، صـ ٩٤ وما يليها، تحقيق د. فوقية حسين، نشر الدار المصرية للتأليف والنشر، ط١، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

QaradawiBooks.com

المتقدمة من فكر الجويني، وممَّا يجعلنــا نرجِّح هذا: أنَّ الجويني ـ في الشامل والإرشــاد ـ يجْهر بالقول بـ «الحال»: «الذي هو صفة لموجود، لا موجودة ولا معدومة»[1] ويعتمد عليه في براهينه.

ومِن المعلوم طبقًا لما ذكره الشهرستاني في «نهاية الإقدام»[2]، وابن تيمية في «التســعينية»[3]، وغيرهما: أنَّ الجويني كان من مُثْبِتي (الحال) أوائلَ عمره، ثمَّ انتهى إلى نفيه.

أضفْ إلى ذلك ما يسُــود هذه الثلاثة من جهامة الأســلوب، وقوَّة الشكيمة في الحجاج، وتصلب المواقف، وتلك سمات المراحل المبكِّرة مِن العمر في غالب الأحيان.

١ ـ أمَّا «البرهان»: فإنَّ الجويني فيه لا يذكر شــيئًا عــن «النظامية»، ولكنَّه يقول فيه ـ أعني: في «البرهان»[4] ـ: «وأمَّا سرُّ ما نعتقده في خلق الأعمال، فلا يحتمله هذا الموضوع»، ولمَّا كان هذا السرُّ هو ما كشف عنه في «النظامية» ـ وفي «النظامية» دون ســواها كما تُجمع المصادر ـ ولمَّا كان الســياق الَّذي وردت فيه العبارة الســابقة مشابهًا لسياق عبارة مماثلة في الموضوع نفسه، وردتْ في «النظامية»: فإنَّ في هذا ما يجعلنا نرجِّح أن يكون «البرهان» و«النظامية» متقاربين زمنًا.

---

(١) الإرشاد صـ ٨٠.

(٢) نهاية الإقدام للشهرســتاني صـ ٧٩، تحقيق أحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٣) التســعينية لابن تيميــة (٨٤٠/٣، ٨٤١)، تحقيق محمّد بــن إبراهيم العجلان، نشــر مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٤) البرهان للجويني (١٠٤/١) فقرة (٢٨) تحقيق د. عبد العظيم الديب، نشــر على نفقة الشــيخ خليفة بن حمد آل ثاني، ط١، ١٣٩٩هـ.

QaradawiBooks.com

٢ ـ ومن المعلـوم أنَّ «النظامية» مِن أواخر ما ألـف الجويني، فلقد كتبها بعد أن ألقى عصا التسـيار في المدرسـة النظامية بنيسـابور في أخريات عمره، كما أنَّ كثيرًا مِن المصـادر تذكر ذلك صراحة، كما فعل صاحب «اللمعـة»[١]، فالأرجح إذن أن «البرهان» سـابق على «النظامية» سبقًا ليس بالبعيد.

فلئن ترجح لنا أن «الشـامل»، و«الإرشـاد»، و«اللمع»: مِن ثمار المرحلة الأولى، أو المتقدمة من مراحل إمام الحرمين، فإنَّه ليترجح لدينا أيضًا أن نجعل «البرهان» و«النظامية» من ثمار المرحلة الثانية، أو المتأخرة»[٢].

## • قضايا التطور الملحوظ في فِكر الجوينيّ

يقول الأستاذ الدكتور القوصي:

«ليس مِـن غرضنا ـ بطبيعة الحال ـ اسـتقصاءُ القول في كل تعديل أدخله إمام الحرمين في فكره، كبيرًا أو صغيرًا، جوهريًّا أو هامشيًّا، فكم مِن التعديلات والمنحنيات يمكن أن يضطلع بها فكر خصب وقَّاد كفكر إمام الحرمين، يقوم ـ كما يقول ابن عساكر[٣] ـ على استنباط الغوامض، وتحقيق المسـائل، وترتيب الدلائـل. فِكْر لا يترك سـامقة إلَّا علاها، ولا غاية إلَّا قطع منتهاها... كما يقول التاج السبكي»[٤].

(١) اللمعة للمذاري صـ ٥٤، تحقيق الشيخ زاهد الكوثري، القاهرة، ١٩٣٩م.
(٢) انظر: تطور الفكر الكلامي عند إمام الحرمين الجويني للدكتور محمّد عبد الفضيل القوصي صـ ١٥ ـ ١٨، نشر دار الرازي، عَمان، ط ٢، ٢٠٠٧م.
(٣) تبيين كذب المفتري لابن عساكر صـ ٢٨٢، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
(٤) انظر: تطور الفكر الكلامي عند إمام الحرمين الجويني صـ ١٨.

QaradawiBooks.com

لكننَّا هنا سنكتفي ببعض القضايا المهمَّة، منها: ما أثاره أخونا الدكتور القوصي في رسالته.

ومنها: ما أثاره أخونا وزميلنا في قطَر، صاحبُ إمام الحرمين، ورفيق دربه، والباحث في تراثه، ومحقق الكثير من أمهات كتبه: الدكتور عبد العظيم الديب، الَّذي كَتَبَ عنه في رسالته للدكتوراه: «إمام الحرمين: حياته، وعصره، وآثاره، وفكره»، وإن لم ينشرها إلَّا بعد عشر سنوات مِن تأليفها، فأضاف إليها كثيرًا ممَّا عَرَفَه عنه بعد ذلك.

ومنها: ما أثرناه مِن قديمٍ في رسالتنا عن: «الجوينيّ إمام الحرمين بين المؤرخَيْن: الذهبيِّ والسبكيِّ»، ونُخرِج منها ما نراه لازمًا هنا لإبراز الملامح العامَّة للتطوُّر الفكريِّ لدى إمامنا الكبير. وهو ما عرضناه للمؤتمر الَّذي عُقد بالدوحة، خاصًّا بإمام الحرمين، برعاية كلية الشَّرِيعة والدراسات الإسلاميَّة، وعناية الدكتور عبد العظيم الديب بلا شك.

**• رأي إمام الحرمين في إثبات حدوث العالم:**

ويحدِّثنا الدكتور عبد العظيم الديب عن تلك القضيَّة في تراث إمام الحرمين، قائلًا:

«ومِن أخطر القضايا الَّتي كانتْ تشغل المجتمعَ الإسلامي المتلاطم بالثقافات والفلسفات، والمتزاحم بالفِرَق، وعقابيل المذاهب والنحل: مسألةُ حدوث العالم. ولذا انبرى إمامُ الحرمين يردُّ على الفلاسفة والملاحدة، مُثبتًا حدوثَ العالم بكل دليل يتهيَّأ له، فاستخدم برهانَ أهل الحق، دليلَ الأشاعرة الَّذي يُسمَّى: دليلَ الجوهر الفرد:

ويتلخَّص في أنَّ الأشياء الماديَّة تتقلَّب عليها أحوالٌ تَعرِض لها، ثمَّ تنتقل منها، لتحلَّ مكانَها أعراضٌ أخرى: مِن الأشكال والألوان،

QaradawiBooks.com

والحركات والنمو والانحدار، وغير ذلك مــن التغيُّرات الَّتي تطْرأ على جميع الكائنات. وهذه الكائنات تقبل القســمة تدريجيًّا حتَّى تنتهي إلى أجزاء لا تتجزَّأ، وهــي الَّتي يطلقون على كل جزء منها اســم: «الجوهر الفرد»، فإذا كانــت الجواهر لا تنفكُّ عن الأعــراض، وكانت الأعراض حادثةً، وَجَبَ أن تكون الجواهــرُ حادثةً؛ لأنَّ ما لا يخلو عن الحوادث، فهو حادثٌ، تَبَعًا لمبدئهم الكلاميِّ المشــهور. وما دام العالم حادثًا في جوهرِه وأعراضِه، فلا بدَّ من مُحدِثٍ، وهو الله(١).

كان هذا دليل الأشــاعرة يجادلون به، ويدحضون حُجَجَ الفلاســفة والملاحــدة، وجاء إمام الحرميــن، وأتى بدليلٍ جديد، لم يُســبَقْ إليه، يُسمَّى: «دليل الجواز»، أو «دليل الممكن والواجب».

وأحْسَبُ أن سَماعَنا لهذا البرهان مِن إمام الحرمين بألفاظه خير مِن تلخيصنا له، فلنســمعْه مِن «العقيدة النظاميَّة»، ولنلاحــظ أنَّه يقول في مقدمتها، وهو يهديها إلى «نظــام المُلك»: «ولقــد صدَّرْتُها بقواعدَ عن العقائدِ، على أساليبَ لم أُسبَقْ إليها».

أمَّا برهانُ إمامِ الحرمين، فتراه في يقول:

«العالمُ كلُّ موجودٍ سوى الله تعالى، وهو:

ـ أجسام محدودة متناهية المنقطعات.

ـ وأعراضٌ قائمة بها، كألوانها وهيئاتها في تركيباتها وسائر صفاتها.

وما شــاهدْنا منها، واتصلتْ به حواسُّــنا، وما غاب منها عن مدارك إحساســنا: متســاويةٌ في ثبوتِ حُكم الجواز لها، ولا شــكل يُعايَن، أو

(١) مناهج الأدلة عن عقائد الملة لابن رشد صـ ١٢، تحقيق محمود قاسم، نشر مكتبة الانجلو، ١٩٦٩م.

QaradawiBooks.com

يُفرَض منَّا، صغُر أو كبُر، أو قرُب أو بعُد، أو غاب أو شهد، إلَّا والعقل قاضٍ بأنَّ تلك الأجسامَ المتشكِّلة لا يستحيل فرضُ تشكيلِها على هيئةٍ أخرى، وما سكَنَ منها، لم يُحِلِ العقلُ تحرُّكَه، وما تحرَّك لم يُحِلْ سكونَه، وما صُودِف مرتفعًا إلى مُنتهى سَمْكٍ مِن الجوِّ: لم يبعُد تقديرُ انخفاضِه، وما استدار على النطاق: لم يبعُد فرْضُ تدْواره نائيًا عن مجراه، وتَرَتُّبُ الكواكبِ على أشكالِها يجوزُ على خلاف هيئاتِها وأحوالِها، فيتَّضِح بأدْنَى نظرٍ استمرارُ مقتضَى الجواز على جميعِها. وما يثبتُ جوازُه استحالَ الحُكْمُ بوجوبِه. ولا يَنْساغُ في عقلٍ موفَّقٍ اعتقاد قديم عن وفاق، وهو مُجوَّز غيرُ ممتنعٍ تقديرُه على خلاف ما هو عليه، فإذا لزِم العالَمَ حكمُ الجواز: استحالَ القضاءُ بقِدَمِه، وتقرَّر أنَّه مُفتقِر إلى مقتضًى اقتضاه على ما هو عليه، وإنَّما يستغنِي عن المؤثِّر ما قَضَى العقلُ بوجوبه، فيستغنِي بوجوبه ولزومِه عن مقتضًى يقتضيه، فأمَّا ما يثبُتُ جوازُه وتعارضَتْ فيه جهاتُ الإمكان، فمِن المُحال ثبوتُه اتفاقًا على جهة منها من غير مقتضًى...

وإذا بَطَلَ ثبوتُ الجائزات مِن غير مقتضًى، قسمنا الكلام وراء ذلك، وقلنا: مقتضَى العالَمِ لا يخلو: إمَّا أنْ يكون موجبًا مِن غيرِ إيثارٍ واختيار، وإمَّا أن يكون مؤثِّرًا مريدًا مختارًا، فإن كان موجبًا مِن غير إيثارٍ كان ذلك مستحيلًا، فإنَّ الموجب الَّذي لا يؤثِّر يستحيل أن يقتضِي شيئًا دون مماثلة...

وإذا تقرر ذلك قلنا: العالَم بجملته قارٌّ في جوٍّ معلوم، وتقديره واقعًا في ذلك الخلاء: يُماثل تقديرَه في خلاءٍ عن اليمين أو عن الشمال، وهذا يقرب من مدارك البداهة، وإذا تماثلتْ الأحياز والجهات: استحالَ اعتقادُ موجب يخصِّص العالَمَ بقُطرٍ تماثلُه سائرُ الأقطار، فإنَّ الموجب

QaradawiBooks.com

لا يخصص شـيئًا مِن أمثالــه، والمؤثِّر المختارُ هو الَّــذي يُجيز بإرادته ومشــيئته مثلًا مِن الأمثـال، فَلاحَ بُطْـلانُ المصير إلـى موجب قديمٍ، لا اختيارَ له.

فإن قيل: العالَم قديمٌ، وموجبه مؤثِّرٌ مُختــار، قلنا: هذا باطلٌ قطعًا، فإنَّ القديم يســتحيلُ أن يكون ثبوتُه بإرادتِه، إذِ المُوقع المخصص الَّذي لم يكن فــكان هو المراد، فأمَّــا ما لم يزل واقعًا يســتحيل ارتباطُ كونِه بإرادة في الإيقاع.

فإذا فسَــدَ القولُ بقِدَمِ العالَم، مع ظهور الجواز في أحكامِه مِن غير مؤثِّر وموجِب، وبطل كونه قديمًا عن موجِب قديم، واستحال إسناده مع كونه قديمًا إلى إرادة، لم يبْقَ إلَّا القطعُ بأنَّ العالَمَ فِعْل مُوقع على وجهٍ، دونَ وجهٍ من وجوه الجواز، بإرادة مؤثِّرة مُختــارة، أوقعه على مقتضَى مشيئتِه»[1].

وهذا الفصل في إثبات حدوث العالم: «أنجعُ وأرفعُ مِن طُرق حوتْها مجلدات، وهو خيرٌ لفاهمِه من الدُّنْيا بحذافيرها، لو ساوَقَه التوفيق»[2].

## ما أصاب إمام الحرمين بسبب خروجه على الأشعري:

قال الدكتور الديب:

وقد أشرنا من قبلُ إلى ما جرَّه على إمام الحرمين تحرُّرُه، وخروجُه على رأي مَن سبَقَه مِن الأئمة، وبخاصَّة الإمام الأشعري.

---

(١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية للجويني صـ ١٢٩ ـ ١٣٣، تحقيق د. محمّد الزبيدي، نشر دار سبيل الرشاد، بيروت.

(٢) انظر: إمام الحرمين حياته وعصره وآثاره وفكره صـ ١٠٢ ـ ١٠٥، نشر دار القلم الكويت، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

وينقل لنا العلَّامة مُحمَّد زاهد الكوثري ما أصاب إمامَ الحرمين بسبب هذا الرأي فيقول:

«لقي كلام إمام الحرمين هذا[1] بعض عنتٍ من بعض تلاميذه جرْيًا على التقليد الأعمى، لكن أيَّده كثيرٌ من المحققين، وعدُّوا هذا القولَ لُبَّ الصواب. حتَّى ألّف العلامة أحمد بن مُحمَّد المقدسي الدجاني كتابًا سمَّاه: «الانتصار لإمام الحرمين فيما شفع عليه بعض النُّظَّار»، وعدَّ هذا الرأي آخرَ ما استقر عليه رأيُه، وقد قال القائل عن هذا الرأي:

**تنكَّبْ عن طريق الجَبْرِ واحذَرْ وقوعَك في مهاوي الاعتزال**
**وسِرْ وسطًا طريقًا مستقيمًا كما سار الإمامُ أبو المعالي**

## رأي إمام الحرمين في القول بالأحوال:

كذلك كان من الجديد الَّذي أتى به إمامُ الحرمين في علم الكلام: القول بالأحوال، الَّتي حلَّتْ في رأيه المشكلة الدقيقة، الَّتي تتصل بذات الله وصفاته.

إذ إنَّ الحال، ولو أنَّها صفة ملتصقة بالشيء الموجود، ولكنَّها لا تصفه سواء بالوجود أم بالعدم.

فالأمور ثلاثة على مذهبه:

١ ـ موجود.

٢ ـ معدوم.

٣ ـ واسطة، وهو المسمَّى بالحال.

(١) الإرشاد إلى رأيه في أفعال العباد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ـ فالموجود: ما له تحقُّق في الخارج، وفي نفسه، وفي الذهن عند ملاحظته.

ـ والمعدوم: ما ليس له وجود إلَّا في الذهن فقط عند إدراكه وتعقُّله.

ـ والحال: ما له وجود في نفسه وفي الذهن عند ملاحظته، وليس له وجود في الخارج.

ومن هنا أمْكَنَ حلُّ مشكلة الصفات المعنويَّة. فالإمام الأشعريُّ يرى أنَّها ليست بصفات زائدة على صفات المعاني، وأنَّه لا وجود لها، لا في خارج الأعيان، ولا في خارج الأذهان، بل هي أمور اعتبارية، لا وجود لها إلَّا في الذهن، ولكن القول بالأحوال وضع تفسيرًا مقبولًا للصفات المعنويَّة، وأمكن القول بأنَّها صفات زائدة على صفات المعاني، وأنَّها أمور ثابتة في نفسها، بقطع النظر عن الاعتبار والذهن، وأنَّها واسطة بين الموجود والعدم.

وعلى هذا فالمعنويَّة أحوال، وهي صفات قائمة بذاته تعالى، لها وجود في نفسها، ولا يصح أن تُرى، والمعاني صفات موجودة قائمة بذات الله تعالى، يصح أنْ تُرى، وعلى القول بثبوت المعنويَّة، فلا تعلُّق لها؛ لأنَّها أحوال، والتعلُّق حالٌ، فلو تعلَّقتْ لزِم قيامُ الحالِ بالحالِ، وهو باطل[1].

(١) راجع في مسألة الأحوال: شرح الخريدة للدرديري صـ ٣٤، نشر مكتبة صبيح، مصر، ١٩٥٤م، وفلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية لويس غارديه وجورج قنواتي (١١٤/١) وما بعدها، ترجمة صبحي الصالح وفريد جبر، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م، والشامل للجويني، وانظر الدراسة التي كتبها في مقدمته د. على سامي النشار، تحقيق علي سامي النشار وآخرين، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

QaradawiBooks.com

ولم يكن أثر إمام الحرمين في علم الكلام ظاهرًا بإبداعه وابتكاراته في هذا الفنِّ فقط، بل كان أسلوبه، وطريقة تفكيره، وطريقة جداله، وطريقة تأليفه. كل ذلك كان له ابتكار وإبداع وتأثير، حتَّى قيل: «إنَّه كان أوَّل رجلِ دينٍ أوجَدَ منهاجًا على الأُسُس الأشعريَّة»[١].

تلك لمحة سريعة عن جهود إمام الحرمين في علم الكلام. ومنها يتضح جهود هذا الإمام في هذا الفن وأصالته. حتَّى أصبح حقيقًا بأنْ يُلقَّب بأنَّه مُجدِّد عِلم الكلام، أو بأنَّه باني المدرسة الأشعريَّة الحديثة، كما أُطلق عليه من قبل»[٢] اهـ.

وإن كُنَّا نقول نحن عن إمام الحرمين: إنَّه مجدد الأشعريَّة تجديدًا غيرَ عادي، تجديدًا غيَّرها مِن داخلها، وردَّها إلى أشعريَّة سلفيَّة متوازنة واضحة كالشمس في الضُّحى، والمعول في ذلك على كتبه الأخيرة: «البرهان»، و«النِّظَاميَّة»، و«الغياثي»، فهي الَّتي تحمل الومضات الأخيرة في تفكير الإمام، الَّذي لم يقدَّر له أنْ يكمل الستين بالتقويم العربي، وهو بالتقويم الشمسيّ سبعٌ وخمسون عامًا رحمه الله.

### • إمام الحرمين ومسألة العلم بالجزئيات:

ومع ما بذله إمامُ الحرمين من جهود لنصرة أهل الحقِّ، وللدِّفاع عن مذهب أهلِ السُّنَّة لم يسلم مِن الهجوم والاتِّهام.

وكنَّا نظن أن ذلك فعْل العامَّة والدهماء، أو كيْد الخصوم والأعداء، فلا طائل وراء بحثه، ولا داعي لنقله وتتبع فساده.

(١) انظر: فلسفة التفكير الديني بين الإسلام والمسيحية (١١٤/١) وما بعدها.

(٢) انظر: إمام الحرمين حياته وعصره وآثاره وفكره صـ ١٠٥ ـ ١٠٧.

QaradawiBooks.com

ولكــن رأينا القائلين بهــذا الاتهام يريــدون أن يؤيِّــدوه ويؤكِّدوه، فاختاروا من كلام إمام الحرمين ما فسَّروه على وجهٍ يُثبِت لهم ما يبغون.

ومن هنا كان لنا أن نقِفَ لنناقش هذه المسألة.

جاء في «المنتظم»: «وشــاع عن أبي المعالي أنَّــه كان يقول: إنَّ الله يعلم جُمَل الأشــياء، ولا يعلم التفاصيل. فواعجبًا! أترى التفاصيل يقع عليها شيء أولًا...»، ويســتمر في ذكر آياتٍ ردًّا لهذا الرأي الَّذي حكاه. ثمَّ يقول: «ونقلتُ مِن خطِّ أبي الوفا ابن عقيل... وذكر إمام الحرمين في بعض كتبه ما خالف به إجماع الأمة. فقــال: إنَّ الله يعلم المعلومات من طريق الجُمْلة، لا من طريق التفصيل»، ثــمَّ ذكر آياتٍ أُخَر ردًّا على هذه الشبهات أيضًا(١).

وإذا كان ابن الجوزي قد أورد الاتِّهــام على ما وصل إليه، ولم يقُلْ لنا دواعيه، ولم يُفَسِّر لنا أسبابه: فإنَّ الذهبي قد أشار إلى مصدر الاتِّهام وسببه.

جاء في «سير النبلاء»: قال المَازَري في «شرح البرهان» في قول إمام الحرمين: إنَّ الله يعلم الكُلِّيات لا الجُزئيَّات: وودت لو محوتُها بدمي.

ثم يقول الذهبي: وقيل: لم يقُلْ بهذه المسألة تصريحًا، وإنَّما أُلْزِم بها لِمَا قاله بشأن استرسال نعيم أهل الجنَّة... والله أعلم.

ثم يعقِّب بقوله: قلتُ: هذه هفوة اعتزالٍ، هُجِر أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القُشَــيْري لا يُكلِّمه، ونُفِيَ بســببها، فجاور وتاب

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (١٩/٩ ـ ٢٠)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ.

QaradawiBooks.com

ـ ولله الحمد ـ منها، كما أنَّه في الآخر رَجَعَ إلى مذهب السلف في الصفات وأقرَّه[1] اهـ.

وقبل أن نُناقش التهمة موضوعيًّا، نحاول أن ننفي الحواشي والأطراف تأثُّرًا بمنهج إمام الحرمين ـ فنقول:

قال السبكي في مناقشته لهذه المسألة: إنَّ الذهبيَّ عدوٌّ لإمام الحرمين، متحامل عليه، مُتَعَصِّب ضدَّه ـ وقد يكون لدى السبكي دليل آخر على ذلك ـ أمَّا هذه العبارة الَّتي أخذناها من «سير النبلاء» آنفًا، فليس فيها شيء من ذلك، فالذهبي نقل الكلام عن المازري، بل نقله بإيجازٍ واقتضاب، لا برُوح المهاجم المُتعصِّب. ثمَّ إنَّه شكَّك فيه بقوله: فالله أعلم. مُتَبَرِّئًا من التُّهَمة تاركًا أمر صدقها لعلام الغيوب.

وأمَّا قوله: قلت: هذه هفوة اعتزال هُجِرَ أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القُشَيْري لا يكلِّمه، ونُفِيَ بسببها، فجاور وتعبَّد وتاب ـ ولله الحمد ـ منها. فأوَّل ما يُنبِّهنا إلى ما فيه من خلط وفساد، مخالفته جميع مَن ترجم لإمام الحرمين في قولهم: إنَّ خروج إمام الحرمين كان بسبب فتنة الوزير أبي نصر الكندري على ما أوضحنا في الصفحات الأولى من هذا البحث. وإنَّه كان هاربًا من جحيم المعتزلة الَّذي أشعلوا لأهل السُّنَّة بنيسابور، وإنَّه كان ضحية من ضحايا المعتزلة، لا مُتَّهمًا بالاعتزال.

أمَّا أن أبا القاسم القشيري حلف ألَّا يُكلِّمه، فيردُّه أيضًا أنَّ القشيري كان رفيقَ إمام الحرمين في مهجَره، وقد لحِق به بعدما أخرجه أبو سهل

(١) سير أعلام الذهبي (٤٧٢/١٨)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

ابن الموفق، على نحو ما أشرنا من قبل. ثمَّ هو القائل: لو ادَّعى إمامُ الحرمين النبوةَ لاستغنى بكلامه هذا عن المعجزة.

ثم بقِي أمر آخر وهو محاولة السبكي أن يردَّ موقف المازَري إلى التعصُّب المذهبيّ. ولكن المطلع على كلام المازري فيما رواه السبكي نفسه: يرى أنَّ المازري لا يحاول الانتقاص أبدًا من إمام الحرمين، حتَّى في أثناء اعتراضه أو هجومه عليه، وحتى العبارة الَّتي قالها وتناقلها الناقلون، وأعني بها قوله: «ودِدْتُ لو محوتُها بدمي»، أو «وددتُ لو محوتُها بماء عيني»، فهو يتمنَّى أن تتطهر كُتب إمام الحرمين وآثارُه منها، بل يذكر صراحة فضلَه وعظمته، ويتحدَّث عن جهاده في سبيل الدين، ويتمنَّى ألَّا يخوض أحدٌ في هذه الشبهة، وألَّا تُنسب إليه.

## والآن نبدأ في بيان أصل التُّهمة وسببها:

جاء في «البرهان» (فقرة: ٥٩) عند حديثه في الفصل الَّذي عقده لبيان مدارك العقول قولُه: «وأمَّا الميز بين الجواز المحكوم به، وبين الجواز بمعنى التردد والشك، فلائح واضح، ومثاله: أنَّ العقلَ يقضِي بجواز تحرُّك جسْم ساكن، وهذا الجواز حكم مبتوت للعقل، وهو نقيض الاستحالة، وأمَّا الجواز بمعنى التردد والشك فكثير.

ونحن نكتفي فيه بمثال واحد فنقول: تردَّد المتكلمون في انحصار الأجناس، كالألوان، فقطَعَ قاطعون: بأنَّها غير متناهية في الإمكان، كآحاد كل جنس، وزعم آخرون: أنَّها منحصرة، وقال المقتصدون: لا ندري أنَّها منحصرة أم لا، ولم يثبتوا مذهبهم على بصيرة وتحقيق.

والذي أراه قطعًا أنَّها منحصرة، فإنَّها لو كانت غيرَ منحصرة لَتَعلَّقَ العلمُ منها بأجناس لا تتناهى على التفصيل، وذلك مستحيل، فإنِ

QaradawiBooks.com

استنكر الجَهَلَةُ ذلك، وشمخوا بآنافهم، وقالوا: الباري سبحانه عالِم بما لا يتناهى على التفصيل، سفَّهْنَا عقولَهم، وأحلْنَا تقريرَ هذا الفنِّ على أحكام الصفات. وبالجملة: عِلْمُ الله تعالى إذا تعلَّق بجواهر لا تتناهى، فمعنى تعلُّقه بها: استرساله عليها من غير فرض تفصيل الآحاد مع نفي النهاية، فإنَّ ما يُحِيل دخولَ ما لا يتناهى في الوجود: يُحيل وُقُوعَ تقديرات غير متناهية في العلم والأجناس المختلفة، الَّتي فيها الكلام يستحيل استرسال العلم عليها، فإنَّها متباينة بالخواص، وتعلُّق العِلْم بها على التفصيل مع نفي النهاية: مُحال، وإذا لاحت الحقائق، فليقلْ الأخرقُ بعدها ما شاء».

فعند شرح المازري لهذه العبارة من البرهان وقف تجاهها، وفهم منها أن إمام الحرمين يُنكِر عِلْمَ اللهِ للجزئيَّات.

والآن هذه هي العبارة أمامنا، وهذه هي التهَمة! أو هذا هو الفهم، فهل تساعد العبارة المازري على أن يفهم منها ما فَهِم، أو لا؟ سنتناول في الإجابة عن هذا التساؤل أطرافًا ثلاثة:

**أولًا**: إن كلام إمام الحرمين هنا في مجال الحديث عن النظر وإدراكه للجواز والاستحالة، ثمَّ تطرَّق في هذه العبارة للتفرقة بين معنيين للجواز، فبيَّن أن أحد المعنيَيْنِ هو: حكم قاطع للعقل، والثاني هو: التردُّد والشكُّ في بناء رأي.

ثم مثَّلَ ذلك النوع من الجواز بالشك والتردد في انحصار الأجناس عند طائفة من المتكلمين، واستطرد من هذه النقطة قائلًا: إنَّها منحصرة. وردًّا على القائلين بأنَّها غيرُ منحصرة، وعلى المتردِّدِين: تعرَّض لمسألة العلم. أي: أن تعرُّض إمام الحرمين لهذه المسألة هنا أمر عرَضِيّ غيرُ

QaradawiBooks.com

مقصود. بل هو حين وصـل الأمر إلى الخلاف في هذه المسـألة قال: أحلْنا تقريرَ هذا الفن على أحكام الصفات.

فهو يُحيل بكل وضوح على الموضع المختصّ بهذه المسألة في علم الكلام. وقد رأينـاه يقول في مواضع أخرى: ولنا فيـه مجموع في علم الكلام، فليتأمَّلْه طالبُه.

ولذا مِن حقِّه علينا إذا أردْنا أن نرى رأيَه في هذه المسـألة: الاتِّجاهُ إلى حيث أشار، أي: إلى مصنَّفاته الكلامية، وكأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحسَّ بأنَّ كلامه هنا قد يُفهم علـى غير وجهه، فنبَّه إلى ضـرورة البحث عن كل فنٍّ في مظانِّه ومكانه.

ـ فماذا نجد في كتب إمام الحرمين الكلامية في هذا الشأن؟

لقد رأيت في «الشامل» (نسخة خطية بدار الكتب المصرية صـ ٧٦) عبارة هي نصٌ في الموضوع، لا يتطرَّق إليها تأويل أو شـك، قال إمام الحرمين: «الربُّ سبحانه وتعالى عالم بالمعلومات على تفاصيلها، متعالٍ عن العلم بها على الجملة؛ إذِ العلمُ بالجملة يقارنُه الجهلُ بالتفصيل».

وقد جاء في «البرهان» (فقرة: ١٤٢٥): «إنَّ الربَّ تعالى كان عالمًا في أزله تفاصيلَ ما يقع فيما لا يزال»، وأحسب أن هاتين العبارتين كافيتان في إثبات رأي إمام الحرمين، وبخاصة العبارة الثانية: عبارة البرهان؛ لأنَّها في نفس الكتاب الَّذي فيه العبارة المُوهِمة الَّتي أثارت الشـبهة، فلا تكون هناك فرصة لقائلٍ يزعم أنَّه عادَ في قوله، ورجَعَ عن رأيه، فعبارة البرهان هذه تقطع بفسـاد هـذا الفهم، وبأن ظاهر عبارة البرهـان الأولى غيرُ مقصود، فكيف يذكـر في نفس الكتاب ما يناقض قولَه؟!

QaradawiBooks.com

ومع ذلك لا علينا إذا استظهرنا بعبارات أخرى نأخذها عن السبكي الَّذي رآها في كتب إمام الحرمين.

يقول السبكي: لقد بحثتُ عن كلمات هذا الإمام في كتبه الكلاميَّة، فوجدتُ إحاطة علم الله تعالى عنده بالجزئيَّات أمرًا مفروغًا منه، وأصلًا مقرَّرًا، يُكَفِّرُ مَن خالفه فيه، وهذه مواضع من كلامه:

قال في «الشامل»: «فلم يبقَ إلَّا ما صار إليه أهلُ الحق من إثبات عِلمٍ واحد قديم متعلِّقٍ بجميع المعلومات».

ثم قال: «فإن قال: إذا جوَّزتُم أن يخالف عِلمُ القديم العلمَ الحادث، ولم تمنعوا أنْ يتعلَّق العلمُ الواحد بما لا يتناهى، ومنعتُم ذلك في الحادث، واندفع في سؤال أورده. ثمَّ قال: قلنا: الدلالة دلَّتْ على وجوب كون القديم عالِمًا بجميع المعلومات».

وقال في باب القول في أنَّ العلم حادث، هل يتعلَّق بمعلومَيْنِ. ما نصُّه: «إذا عَلِمَ العالمُ مِنَّا أنَّ معلوماتِ الباري لا تتناهى: انبهر».

وكرَّر في هذا الفصل أنَّه تعالى يعلم ما لا يتناهى على التفصيل غيرَ ما مرَّة. ونقل السبكي من «الإرشاد» نحوَ هذا، ثمَّ قال: «ولا معنى للتطويل في ذلك، وكتبه مشحونة به»[1].

**ثانيًا**: بعد أن أحالنا إمام الحرمين على كتبه الكلاميَّة، ورأينا رأيه في المسألة واضحًا، يمكن أن ننظر إلى عبارة «البرهان»، ونحاول فهمها، ولا شك أننا يمكن أن نرى فيها رأيًا غيرَ ما رآه المازري، وهذا ما ننقله عن السبكي في «الطبقات»:

(١) طبقات الشافعية للسبكي (١٩٢/٥).

QaradawiBooks.com

«فإمام الحرمين يستدلُّ على رأيه في أنَّ الأجناس منحصرة، بأنَّها لو كانت غيرَ منحصرة، لتعلق العِلْم بآحادٍ لا تتناهى على التفصيل، لأنَّ الله عالِم بكل شيء، فإذا كانت الأجناس غيرَ متناهية، وَجَبَ أن يعلمَها غيرَ متناهية؛ لأنَّه يعلم الأشياء على ما هي عليه، إنْ مُجْمَلةً فمجملة، وإنْ مُفَصَّلةً فمفصَّلة، والأجناسُ المختلفة متباينة بحقائقها، فإذا عَلِمَها وَجَبَ أنْ يعلَمَها مفصَّلة مُتَمايزة بعضها عن بعض.

وأمَّا أن ذلك يستحيل؛ فلأنَّ كل معلوم على التفصيل، فهو منحصر متناهٍ، لوجوب تشخيصها في الذهن، كما في الخارج. ثمَّ قال: إنَّ إمام الحرمين بنى دليله على أنَّ الأجناس منحصرة على قواعد هي:

١ ـ إنَّ الله ﷻ عالِم بكل شيء، الجزئيات والكليَّات، لا تخفى عليه خافية.

٢ ـ إنَّ الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه، فيعلم الأشياءَ المُجْملةَ الَّتي يتميَّز بعضُها عن بعض مفصَّلةً، وهذا خلاف مذهب ابن سينا.

٣ ـ إنَّ المعلومات الجزئيَّة المتميِّزة المفصَّلة لا يمكن أن تكون غيرَ متناهية، تشبيهًا للوجود الذهنيّ بالوجود الخارجيّ، وإلى هذا أشار بقوله: «فإن ما يُحِيل دخولَ ما لا يتناهى في الوجود: يُحِيل وقوعَ تقديراتٍ غيرِ متناهية في العِلْم».

٤ ـ إنَّ الأجناسَ المختلفة الَّتي فيها الكلام متناهيةٌ بخواصِّها، أي: بحقائقها، متميِّزة بعضها عن بعض[(١)].

(١) الطبقات الكبرى للسبكي (١٩٧/٥ ـ ١٩٩) بتصرف.

QaradawiBooks.com

وهذه محاولة لتوجيه عبارة البرهان والخروج بها عن المعنى الَّذي اتُّفِق على استهجائه، وخروجه عن مذهب أهل الحق.

ونرى الشريف أبا يحيى، وهو أحد شُرَّاح البرهان الثلاثة يحاول أن يوجِّه العبارة بطريق آخر، فيقول:

«يمكن الاعتذار عن الإمام في قوله يستحيل تعلُّق علم الباري تعالى بما لا يتناهى آحادًا على التفصيل، بل يسترسل عليها استرسالًا بتمهيد أمر».

«إنَّ الحدَّ الحقيقي في المثليْنِ: أن يقال: هما الموجدان اللذان تعددَا في الحسِّ واتَّحدَا في العقل. وحدُّ الخلافين: أنَّهما الموجدان المتعددان في الحسِّ والعقل، ألا ترى أنَّ البياضَيْنِ والسوادَيْنِ وغيرهما من المثليْنِ متعددان في الحسِّ بالمحلِّ، وفي العقل مُتَّحدانِ. والسوادُ والبياض وغيرُ ذلك من المُخْتلِفات: متعددان حسًّا وعقلًا. وإذا تقرر هذا، فيمكن أن يقال: إنَّما أراد بقوله: «يسترسل عليها استرسالًا» للأمثال المُتَّفِقة في الحقيقة، فإنَّ العِلم يتعلَّق بها باعتبار حقيقتها تعلُّقًا واحدًا، فإنَّ حقيقتها واحدة، كالبياض مثلًا، فإن آحاده لا تختلف حقيقةً، فعبَّر عن هذا بتعلق العلم بالأمثال جُملة، يريد العِلم الحادث، وإن كان العِلم القديم يُفصِّل ما يقع منها، ممَّا عُلِم أنَّه يقع في زمان دون زمان، ومحلٍّ دون محلّ، «ثمَّ قال أبو يحيى: والَّذي يُعضِّدُ هذا التأويل ما قاله الإمامُ في مواضع أخرى»[1].

وخلاصة ما نريد تقريره: أن عبارة إمام الحرمين يمكن أن تتحمل معنًى غيرَ هذا الَّذي أُخذ عليه.

(١) طبقات الشافعية للسبكي (٥/٢٠٦).

QaradawiBooks.com

وأبو عبد الله المازري نفسُه يقول في آخر كلامه: «لعلَّ إمامَ الحرمين لا يخالف في شيء من هذه الحقائق، وإنَّما يريد الإشارة إلى معنًى آخر، وإن كان لا يحتمله قولُه إلَّا على استكراهٍ وتعنيف».

**ثالثًا**: يعضد ما قلناه: أنَّ هذه التهمة ظلتْ محصورة في نطاقها الضيِّق، فلم تخرج تقريبًا عن نطاق المازري، ولم يردِّدها غيره إلَّا الشريف أبو يحيى شارح البرهان، وإذا لاحظنا أنَّ المازري كان متقدِّمًا، حيث كانت وفاته سنة ٥٣٦هـ. ورأينا أنَّ أحدًا لم يُصْغِ إليه، ولم تشِعْ هذه المسألة، ولم يتناقلها المؤلفون والمؤرخون: أدركنا أنَّ السر في ذلك أنَّ القوم فهموا من العبارة غيرَ ما فهم، ورأوا فيها غير ما رأى.

«ومع تتبع الأشاعرة لكلام إمام الحرمين، ومع أن تلامذته وتصانيفه ملأتِ الدُّنيا، لم يُعرف أن أحدًا عزا ذلك إليه؛ إذ لو كان لتوفَّرتْ الدواعي على نقله»(١).

ونوجز كل ما قلناه بأن إمام الحرمين بريء من هذا الاتهام بأدلَّة ثلاثة:

١ ـ أقواله في كتبه.

٢ ـ إمكان تفسير العبارة على غير هذا الوجه.

٣ ـ أنَّ هذه التهمة لو كانت صادقة، لشاعتْ وعُرفتْ، وتناقلتها الأقلام.

**• قضيَّة خلق أفعال العباد:**

نتحدث هنا عن قضيَّة مهمة في علم الكلام وخلافيَّاته، وهي ما يتعلق بالجبر والاختيار، والعلاقة بين الإرادة الإلهيَّة، والإرادة الإنسانيَّة، وسنعرضها هنا عن طريق ما عرضه الدكتور القوصي.

(١) طبقات الشافعية للسبكي (١٩٦/٥).

QaradawiBooks.com

لم يخُض القوصي هنا كثيرًا في الجذور الأولى لقضيَّة الكسب عند الأشعريّ نفسه، أو عند الباقلاني مِن بعده، لكن الَّذي يهمنا في هذا المقام: صياغة الجويني في مرحلته الأولى لهذه القضيَّة، تلك الصياغة الَّتي كُتب لها الظفر، حتَّى أضحتْ ميسمًا للفكر الأشعري بأسْره.

خلاصة هذه الصياغة ـ كما بينها في «الشامل»، و«الإرشاد»[1]: أنَّ القدرة لا تؤثر في مقدورها بأي ضرب من ضروب التأثير، بل تتعلق به مجرَّد تعلُّق، وتقارنه مجرَّد مقارنة، دون تأثير فيه، وهذا هو معنى الكسب، والقدرة الحادثة في ذلك أشبه بالعلم الَّذي يتعلَّق بالمعلوم، دون أن يؤثِّر فيه، إنَّ الحوادث كلها ـ كما يقول في «الإرشاد»[2]: قد حدثتْ بقدرة الله تعالى، لا فرق بين ما تعلَّقتْ به قُدَر العباد، وبين ما تفرَّد الربُّ بالاقتدار عليه.

يعْمَدُ الجويني ـ تدعيمًا لهذه الصياغة الَّتي تُفرِّغ قدرةَ العبد من التأثير في مفعولاتها ـ إلى إيراد «القواطع العقليَّة، والأدلَّة السمعيَّة»، الَّتي تُبطل كون العبد مخترعًا لأفعاله، أو مؤثِّرًا في إيجادها، كما يعْمَدُ إلى تفنيد «ما اعتصم به المعتزلة من شبه عقليَّة وسمعيَّة» في رَويَّة وطول نَفَس، ويبلغ الجويني أقصى الآماد ـ وهو يرفع القواعد من هذه القضيَّة، لا يلوي في ذلك على شيء.

١ ـ فهو لا يتردَّد في أن يفصل بين أفعال العباد، الَّتي تؤثر فيها قدرتهم من جهة، وبين الثواب والعقاب، والمدح والذم على تلك الأفعال من جهة أخرى، فالثواب والعقاب، والمدح والذم: لا تجب بفعل

(١) الإرشاد صـ ٢١٠، والشامل صـ ٣٧٩.

(٢) الإرشاد صـ ١٨٧، ٢٠٨.

QaradawiBooks.com

المكلف، ولا تترتَّب على هذا الفعل، بل لو ابتدأ الربُّ تعالى عبده ـ كما يقول في «الإرشاد»[(١)] ـ بالنعيم المقيم، أو العذاب الأليم، لكان ذلك ممكنًا غير مستحيل، وإنَّما أفعال العباد في الشرع: أعلام وآيات لأحكام الله تعالى فحسب.

٢ ـ وهو لا يتردَّد أيضًا في أن يقْمع بعنف بادرةَ الباقلاني، الَّتي ابتدرها لتفسير الكسب عند الأشعري ـ دون أن يصرِّح باسمه ـ تلك البادرة الَّتي ابتغى الباقلاني بها أن ينسب إلى العبد تأثيرًا ما، والَّتي بمقتضاها يكون مكسوب العبد ليس إيجاد الفعل في ذاته، بل مكسوب حالٍ تجعل الفعل طاعة أو معصية، بحسب قصده واختياره، وتلك الحال هي الَّتي يتميَّز بها الفعل الاختياريّ ـ عند الباقلاني ـ وهي الَّتي تكون مناطَ ثوابِه أو عقابه[(٢)].

إن طريقة الباقلاني ـ فيما يرى الجويني ـ «غير مرضيّة، ولا جريان لها على قواعد أهل الحقّ، وفي المصير إليها افتتاح وجوهٍ من الفساد يجب تنكُّبُها، وذلك أن صاحب هذه الطريقة يُحيل معتقدَه إلى ادِّعاء حال مجهولة، لا يمكن الإفصاح عنها، وتقدير أحوال مجهولة: حيْد عن السداد، وتطريق لدواعي الفساد إلى أصول الدين»[(٣)].

ولقد كان لهجمة الجويني هذه على بادرة الباقلاني أثرٌ كاسح أصابها في مقتل، فضمُرتْ شجرتُها عند الأشاعرة ـ فيما عدا الشهرستاني، كما

(١) الإرشاد صـ ١٨٧، ٢٠٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (٩٧/١)، تحقيق عبد العزيز الوكيل، نشر مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م، وأيضًا: نهاية الإقدام صـ ٧٩ وما يليها، حيث يبدو إعجاب الشهرستاني بالباقلاني واضحًا.

(٣) الإرشاد صـ ٢٠٩، ٢١٠.

QaradawiBooks.com

سوف نرى ـ بينما تلقَّفتها أيدي الماتُريديَّة بالترحاب، واستُثمرتْ لديهم استثمارًا بليغًا، فهذا ابن الهُمَام يقول[١]: «بالعزم المصمم»، وهذا «صدر الشَّرِيعة»[٢] يشيد «المقدمات الأربع» الَّتي سارتْ بذكرها الركبان، ومنتهيًا «بالإرادة الجزئيَّة»، وكل تلك ـ في محصلتها الجزئيَّة ـ ثمرٌ مختلفُ الأكل لشجرة الباقلاني، الَّتي زُرعتْ في غير أرض الأشاعرة!

مهما يكن من شيء فلقد كُتبتِ السيادة في المذهب الأشعري لهذه الصياغة، وسيطول بنا المقام لو استقصينا أثر هذه الصياغة في الأجيال المتلاحقة من الأشاعرة، الَّذين اعتبروها ترجمة لمذهب الأشعري، لا محيص عنها ولا مهرب.

ويكفي هنا على سبيل الإجمال: أن نشير إلى صياغة الغزالي في «الاقتصاد»، و«الإحياء»، وإلى صياغة الآمدي في «غاية المرام»، ناهيك عن صياغة «المواقف» للإيجي، و«المقاصد»، و«العقائد» للسعد التفتازاني، انتهاءً بصياغة السنوسي والمتأخرين. وكأنِّي بالجويني يشهد هذا المدَّ الظافر لصياغته هذه، فيضيق ذرعًا بالمخالفين قائلًا: «إلى متى نتعدَّى غرضنا في الاختصار، وقد وضح الحقُّ وحصحص، واستبان عِناد المخالفين في تأويلاتهم؟»[٣].

ثم بعد هذا التنظير والتشييد، والتأسيس والتقعيد: يأتي إمام الحرمين في المرحلة الثانية ـ أعني: مرحلة «البرهان» و«النظامية» ـ فيأتي على هذا البنيان مِن القواعد، ويكرُّ على صياغته الأولى هدمًا ونقدًا، وتفنيدًا

(١) المسايرة في علم الكلام للكمال ابن الهمام صـ ٥٥ وما بعدها، تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد، نشر المطبعة المحمدية، مصر، ط ١.

(٢) التلويح على التوضيح التفتازاني (١٧٥/١) وما بعدها، نشر مكتبة صبيح، القاهرة.

(٣) الإرشاد صـ ٢١٤.

QaradawiBooks.com

وإبطالًا، دون إشارة صريحة إلى سابق رأيه، بل مع إشارة عَجْلَى إلى «الرقيِّ عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد».

وكما كان الجويني عنيفًا مع مخالفيه في مرحلته الثانية، وكأنَّما كان يعنف على نفسه، ويشتد على سابق عهده، فهو يقول في «النظامية» عمَّن يخالفه رأيه الجديد: إنَّه مصاب في عقله، مستمرٌّ على تقليده، مصمِّم على جهله[1].

إنَّ أفعال العباد ـ وفقًا لـ «النظامية» ـ واقعة بقدرة العبد إيثارًا واختيارًا واقتدارًا، وقدرة العبد مؤثِّرة في وجود مقدورها، كلُّ ما في الأمر أنَّ تلك القدرة مخلوقة لله تعالى، وهي بهذه المثابة غير مستقلة في إيجاد مقدورها، فلا يمكن القول بأنَّ العبد خالق لأفعاله؛ لأن مردَّ الخلق إليه تعالى، أليس هو سبحانه الَّذي خلق قدرته هذه، واخترعها وأوجدها؟

ولا يمكن القول أيضًا بأنَّه لا أثر للعبد ولا لقدرته في فعله، تشبيهًا للقدرة بالعلم الَّذي لا يؤثِّر في معلومه، (فهذا خروج عن حدِّ الاعتدال إلى الالتزام الباطل المحال، وفيه إبطال للشرع، وردٌّ لما جاء به النبيُّون عليهم السلام)، ولا يمكن القول أخيرًا بأن فعل العبد واقع بالقدرتين معًا: القديمة والحادثة، فالفعل الواحد لا يتبعَّض، ولا ينقسم.

وتعتريك الدهشة حين تراه في «النِّظَاميَّة» يهاجم «الكسب» هجومًا صريحًا، فهو يقول: «لا ينجِّي مِن هذا البحر المتلاطم ذكرُ اسمٍ ولقبٍ مجرَّد مِن غير تحصيل معنًى، كأن يقول قائل: العبد مكتسِب، وأثر قدرته الاكتساب، فيقال له: ما الكسْب؟ وما معناه؟»[2].

---

(١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية للجويني صـ ١٨٥، ١٨٦.

(٢) المصدر السابق صـ ١٨٩، ١٩٠.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وتعتريك الدهشـــة حين تراه ـ في النظامية ـ يتســلَّح ببعض أسلحة المعتزلة، الَّتي طالما سدَّد لها سهام النقد في «الإرشاد»، كحديثه مثلًا عن الشـبهة المتعلقة بمناط الثواب والعقاب، والمـدح والذم، حيث يكون نصيب العبد من الفعل هو مجرَّد الكســب، والَّتي تخلص من تبعتها بما محصِّلُه: «أنَّ لله تعالى أنْ يفعل ما يشاء»، فإذا به في «النظامية» يقول: «فإن زعم زاعم ممَّن لم يوفَّق لمنهج الرشاد: أنَّه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلًا، فإذا طولـب بمتعلَّق طلب الله تعالى بفعل العبـد تحريمًا وفرضًا، ذهب في الجواب طولًا وعرضًا، وقال لله أن يفعل ما يشــاء، ولا يتعرَّض للاعتراض عليه المعترضون: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. قيل: ليس لما جئتَ به حاصــل، كلمة حق أُريد بها باطل، نعم: يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولكن يتقدَّس عن الخُلْف، ونقيض الصدْق»[1].

وتعتريك الدهشـــة حين تراه في «البرهان» ينبذ الكسب على عجل قائلًا: «إنَّ العبد عند الأشعري مطالب بما هو من فعل ربِّه، ولا ينجِّي من ذلك تمويه المعتقد بذكر الكسب»[2][3] اهـ.

فهذا هو موقف إمام الحرمين في القضيَّــة الَّتي كانت مأخذ ضعف مذهب الأشـعري في قضيَّة أفعال العباد، وهي الآن تَسْـلَمُ للأشـعري وأتباعه بهذه الوقفة العنترية من إمام الحرمين.

## رجوعه عن التأويل وعلم الكلام:

ونختم بما ذكرناه في بحثنا عن ترجمة إمام الحرمين بين المؤرخَيْن الكبيرَيْن: الذهبيِّ والسبكيِّ، ولعل أظهر ما اشتهر به إمام الحرمين عند

(١) العقيدة النظامية صـ ١٨٧.
(٢) البرهان (١٠٢/١) فقرة (٢٧).
(٣) انظر: تطور الفكر الكلامي عند إمام الحرمين الجويني صـ ١٩ ـ ٢٦.

QaradawiBooks.com

النَّاس هو: علم الكلام، فهو أبرز أشــعري بعد الأشــعري، بل هو الَّذي وُصف بأنَّه «إذا تكلَّم، فالأشــعري شــعْرة من وَفْرتِه»!، وهو الَّذي قالوا عنه: المؤسس الثاني للمذهب الأشعري.

ومن هنا كان أوَّل ما نشر من كتبه: الكتب الكلامية، مثل «الشامل»، و«الإرشــاد»، و«اللمع»، وتأخر نشــر كتابه «البرهان» في أصول الفقه، و«الغياثيّ» في السياسة الشرعيَّة عنها، كما تأخرت «النظامية» وحدها في أصول الدين.

أمَّا كتابه الَّذي توفر عليه في أواخر سِنِي عمره، وهو: «نهاية المطلب في دراية المذهب»، فلم يــرَ النورَ بعدُ، ويوشــك أن يكون، بفضل الله تعالى، ثمَّ بجهد أخينا الدكتور عبد العظيم الديب، الَّذي يسعى من سنين طويلة لتحقيقه، فشكر الله سعيه، وبارك جهده[1].

كان إمام الحرمين أشعريًا قُحًّا في أوَّل أمره، محاميًا عن الأشعريَّة، كما عُرف عند النَّاس، لا كما جاء عن الأشــعري في عدد من كتبه، ولا سيَّما «الإبانة في أصول الديانة»، الَّتي حقَّقتها الدكتورة فوقية محمود، و«رسالة أهل الثغر»، الَّتي حقَّقها أخونا وصديقنا الدكتور الجَلَيَنْد.

وقد ذكر الإمام الذهبي موقفًا لإمــام الحرمين في الدفاع عن موقف الأشــعريَّة في قضيَّة «أفعال العباد»، ومن المعلوم للدارســين أن موقف الأشــعري في ذلك من أضعف المواقــف، حتَّى ضُرب بــه المثل في الخفاء، فقيل: أخفى من كســب الأشــعري! وقيل: ثلاثــة من محالات الكلام: طفرة النظام، وكسب الأشعري، وأحوال أبي هاشم.

(١) نشر بفضل الله في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

والعجيب أنَّ السبكي لم يعقِّب على هذا الموقف، مع أنَّه لم يدع شيئًا من هذا اللون ممَّا ذكره الذهبي إلَّا تعقَّبه بعُنف، بل بتجريح! والحقُّ أن مِن الفضائل الَّتي تميَّز بها إمام الحرمين، وتبدو لكل من درس حياته وتراثه بلا تعصُّب له ولا عليه: الإخلاص في طلب الحقيقة، عن طريق العقل الناقد، والشرع الضابط، فإذا كشفتْ له الحقيقةُ قِناعها، ومدتْ له شعاعها، بادر إلى الإيمان بها واعتناقها، والإعلان عنها، بشجاعة لا نظير لها، وإن كانت مخالفة لما عليه الجمهور، أو ما عليه المذهب، وما مضى عليه دهرًا من حياته، وقضى سنين عددًا وهو يدرسه ويصنِّف فيه، ويذود عنه، ويحثُّ على اتِّباعه.

وهذا واضح في مذهبه «العقدي» أكثر منه في مذهبه الفقهي. فمن المعروف والمشهور: أن إمام الحرمين كان من كبار متكلمي الأشاعرة، المؤوِّلين لآيات الصفات وأحاديثها، المدافعين عن التأويل. وقد برز في «علم الكلام»، واشتهر به، وصنف فيه التصانيف الَّتي سارت بذكرها الركبان، مثل: «الشامل»، و«الإرشاد»، و«اللمع» وغيرها، وأخذ عنه هذا العلم كثيرون من تلاميذه النوابغ. وكان يتكلَّف في تأويله، والدفاع عن مذهبه الأشعري، إلى حد الاعتساف أحيانًا، الَّذي لا يرضاه المنصفون. وهذا شأن البشر.

**• ما جرى بينه وبين ابن برهان:**

وقد ذكر مؤرِّخ الإسلام الحافظُ الذهبي في «سير الأعلام» ما جرى بينه وبين أبي القاسم ابن برهان مِن مناظرة في «أفعال العباد، وقضيَّة الجبر والاختيار». وهو ما نقله عنه العلَّامةُ الحنبلي ابن عَقِيل في «فنونه»، قال: قال عميد الملك: قدِمَ أبو المعالي، فكلَّم أبا القاسم بن

QaradawiBooks.com

برهان في العباد: هل لهم أفعال؟ فقال أبو المعالي: إنْ وجدتَ آيةً تقتضي ذا، فالحجة لك، فتلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]. ومدَّ بها صوته وكرَّر: ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢]. أي: كانوا مستطيعين، فأخذ أبو المعالي يسْترْوِح إلى التأويل. فقال (أي: ابن برهان): والله إنك بارد. تتأوَّل صريحَ كلام الله، لتصحح بتأويلك كلامَ الأشعريِّ! وأكلّه ابنُ برهان (أي: أعياه) بالحُجَّة، فبُهِتَ(١).

هكذا كان أبو المعالي إمام الحرمين، دهرًا مِن حياته، ولا غرو أن اعتبره بعض الباحثين المؤسس الثاني للمذهب الأشعري، وكتب أستاذنا الشيخ «علي جبر» في كلية أصول الدين رسالة الأستاذية له عن «إمام الحرمين: بانِي الأشعريَّة الحديثة»، وإن لم نرَها مطبوعة.

ولكن الله شرح صدرَ إمام الحرمين للحق، فوجدناه في أواخر حياته قد غيَّر نهْجه، ورجَعَ عن طريقِ التأويل - طريقِ الخلف - إلى طريق السلف في ترك الخوض، والانكفاف عن التأويل، ولم يستنكف عن إعلان ذلك بكل صراحة وجلاء، وهو ما ذكره في «الرسالة النظامية في الأركان الإسلاميَّة».

## قال إمام الحرمين بصريح العبارة:

اختلفتْ مسالك العلماء في الظواهر الَّتي وردتْ في الكتاب والسُّنَّة، وامتنع على أهل الحقِّ فحواها، وإجراؤها على موجب ما يبرزه أفهام أرباب اللسان فيها.

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/٤٦٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فرأى بعضُهم تأويلها، والتزام ذلك في القرآن وما يصحُّ مِن السنن، وذهب أئمَّة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الربِّ تعالى. والَّذي نرتضيه رأيًا، وندين الله به عقدًا: اتِّباعُ سلفِ الأمة، فالأولى الاتِّباع، وترك الابتداع.

والدليل السمعيّ القاطع في ذلك: أنَّ إجماع الأمة حُجَّة متَّبعة، وهو مُستنَد معظمِ الشَّريعة، وقد دَرَجَ صحْبُ الرسول ﷺ على ترك التعرُّض لمعانيها ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام المستقلون بأعباء الشَّريعة، وكانوا لا يألُون جهدًا في ضبط قواعد المِلَّة، والتواصي بحفظها، وتعليم النَّاس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسُوغًا أو محتُومًا، لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشَّرِيعة. فإذا تصرَّم عصرُهم، وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعًا بأنَّه الوجه المتَّبع. فحُقَّ على ذي الدين: أن يعتقد تنزُّه الباري عن صفات المُحْدَثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويَكِلُ معناها إلى الربِّ. وعند إمام القرَّاء وسيدهم الوقفُ على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. مِن العزائم، ثمَّ الابتداء بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧].

وممَّا استُحسن من إمام دار الهجرة مالك بن أنس: أنَّه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. فقال الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة.

فليُجرِ آيةَ الاستواء والمجيءِ[(١)] وقولَه: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. و﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]. و﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]. وما صحَّ من

(١) آية المجيء قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢].

QaradawiBooks.com

أخبار الرسـول، كخبـر النزول وغيـره: على ما ذكرنـاه، فهذا بيان ما يجب لله[1].

وقال الذهبي: قـال الحافظ مُحمَّد بن طاهر: سـمعتُ أبا الحسـن القيرواني الأديـب ـ وكان يختلف إلى درس الأسـتاذ أبي المعالي في الكلام ـ فقال: سـمعتُ أبا المعالي اليوم يقول: يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أنَّ الكلام يبلُغ بي ما بلَغَ، ما اشتغلتُ به[2].

وقد علَّق السُّبكيُّ على هذا القول، فقال: يشبه أن تكون هذه الحكاية مكذوبة على إمام الحرمين، وابنُ طاهر عنده تحامُل على إمام الحرمين، والقيرواني المشار إليه: رجل مجهول.

## كل الأقـوال تؤكِّد رجوعَه إلى قول السلف، وتمنِّيه الموتَ على دين العجائز:

ولكن يُعَكِّر على هذا ما نقله الموشيلي عنه، ولم يتعقَّبه السبكي، ثمَّ الأقوال الأخرى لإمام الحرميـن في رجوعه إلى طريق السـلف: تؤكِّد صحَّة هذه الروايـة، كما أنَّ رواياتِ الحُفَّاظ لا تسـقط بمثل التُّهم الَّتي ذكرها السـبكي. وأيُّ تحامل على إمام الحرمين فـي هذه الرواية؟! بل فيها ما يرفع مِن قدره، ويعلي من شأنه.

وحكى الفقيه أبو عبد الله الحسـن بن العباس الرُّستمي، قال: حكى لنا أبو الفتح الطبري الفقيه، قال: دخلـتُ على أبي المعالي في مرضه،

(١) العقيـدة النظاميـة صـ ١٦٥ ـ ١٦٨. وقد نقل هـذا النصَّ الذهبيُّ في سـير أعـلام النبلاء (١٨/٤٧٣ ـ ٤٧٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/٤٧٤).

QaradawiBooks.com

فقال: اشــهدوا عليّ أنّي قد رجعت عن كلِّ مقالة تخالف السُّـنَّة، وأنِّي أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور[١].

وقد أقرَّ السُّبكي هذه الرواية، ولم يعترض عليها.

قال الذهبي:

وقرأتُ بخطِّ أبي جعفر (محمّد بن علي): سمعتُ أبا المعالي يقول: قرأتُ خمسين ألفًا في خمســين ألفًا، ثمَّ خلَّيتُ أهلَ الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبتُ البحرَ الخِضــمّ، وغُصتُ في الَّذي نَهَى أهلُ الإســلام عنه، كلُّ ذلك في طلب الحقِّ، وكنتُ أهرب في ســالف الدهر مــن التقليد، والآن فقد رجعــتُ إلى كلمة الحــقِّ، عليكم بدين العجائز، فإنْ لم يدركني الحقُّ بلطيف بــرِّه، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبةَ أمري عنــد الرحيل على كلمة الإخــلاص: لا إلٰه إلَّا الله، فالويل لابن الجويني[٢]! يعني: نفسه.

يقصد بالَّذي نَهَى عنه الإســلام: «علمَ الكلام»، فقد نهى عنه إمامُه الشافعي، ونهى عنه مالكٌ وأحمد، وغيرهم من الأئمَّة.

ويبدو أنَّه تأوَّل كلامَ أهل الإسلام، أنَّهم نهَوْا مَن يُخاف عليه السباحة في هذا البحر الخضم، ويُخشــى عليه مِن الغرق، وهو كان يرى نفســه أقوى مِن ذلك.

كما قصد بتخْلِية أهل الإسلام وعلومِهم الظاهرة: أنَّه دخل في العلوم العقليَّة والفلسفية، وتغلغل فيها، ولم يشتغل بالعلوم النقْلية من الحديث والآثار ونحوها، كما اشتغل بها غيره.

(١) سير أعلام النبلاء (٤٧٤/١٨)، وطبقات السبكي (١٩١/٥).
(٢) المنتظم لابن الجوزي (١٩/٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٨٥/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## اعتذار الإمام عن اشتغاله بعلم الكلام:

وهذا القول مِن هذا الإمام الكبير، الَّذي أنفق عمره في هذا اللون من الثقافة العقليَّة، الَّتي امتزجتْ بفلسفة اليونان وجدلياتهم، الَّتي لا تنقع غليلًا، ولا تهدي سبيلًا.. هذا القول يؤكد أن لا طريق أهْدى ولا أجْدى من طريقة القرآن في تأسيس العقيدة، وهي الأقرب إلى الفطرة، والألصق بالعقل والوجدان، وهو ما كان عليه الصحابة وتابعوهم بإحسان. وإنَّما يُستفاد من «علم الكلام» في الدفاع عن العقيدة في مواجهة المخالفين من أصحاب الأديان والفلسفات الأخرى، والفرق المبتدعة.

وهو ما وضَّحه مِن بعدُ، تلميذُه حُجَّة الإسلام الغزالي، حين بيَّن أنَّ «علم الكلام»: علم مُحْدث، أريد به حراسة عقائد العوام مِن تشويش المبتدعة.

وقال في «الإحياء»: اعلم أنَّ حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلَّة الَّتي انتُفع بها، فالقرآن والأخبار (أي: الأحاديث) مشتملة عليه. وما خرج عنهما، فهو إما مجادلة مذمومة، وهي من البدع... وإما مشاغبة بالتعلُّق بمناقضات الفِرَق لها، وتطويل بنقل المقالات الَّتي أكثرها تُرَّهات وهذيانات، تزدريها الطباع، وتمُجُّها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلَّق بالدين، ولم يكن شيء منه مألوفًا في العصر الأوَّل، وكان الخوض فيه بالكُلِّيَّة من البدع، ولكن تغيَّر الآن حُكْمُه، إذ حدثتِ البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسُّنَّة، ونبتتْ جماعة لفَّقوا لها شبهًا، ورتَّبوا فيها كلامًا مؤلفًا، فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة مأذونًا فيه، بل صار من فروض الكفايات. وهو القدر الَّذي يُقابَل به المبتدع، إذا قصد الدعوة إلى البدعة، وذلك إلى حدٍّ محدود[١].

(١) إحياء علوم الدين (٢٢/١).

QaradawiBooks.com

فلا غرو أن يُروَى عن إمام الحرمين ما رُوِي من البراءة من «علم الكلام» والعودة إلى طريقة القرآن.

وقد اجتهد العلَّامة تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى: أن ينحُوَ بهذا الكلام الجليّ الواضح من إمام الحرمين، منحًى آخر غير ما يتبادر منه، ودفاعًا منه عن «علم الكلام» الموروث، ووجَّه كلماتِ هذا الإمام العظيم الشجاع المخلص، إلى معانٍ مُتكلَّفة، لا ينشرح لها الصدر.

وتحامل السبكيّ على شيخه الإمام الذهبي تحاملًا لا يُقبل مِن مثله في مثله. فالواقع أنِّي ما رأيت مؤرِّخًا منصفًا مثل الذهبي، حتَّى مع أعلام المعتزلة وأمثالهم، بل حتَّى مع بعض الملاحدة والمنحرفين كلِّيةً عن الدين.

**سبَقَ إمامَ الحرمين الأشعريُّ ولحقه الغزاليُّ والرازي:**

على أنَّ إمام الحرمين ليس هو وحده الَّذي انتهى إلى رفض التأويل، وترجيح مذهب السلف، وتفويض حقائق هذه الألفاظ ومعانيها إلى الله تعالى. فقد رجع من قبلِه شيخُه أبو الحسن الأشعريّ في كتابه «الإبانة» وفي «رسالته إلى أهل الثغر» وغيرهما. ورجع من بعده تلميذُه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، وذلك في كتابه: «إلجام العوام عن علم الكلام».

ولكن موقف شيخه إمام الحرمين كان أصْرحَ وأوْضحَ، فإنَّ الغزالي اعتبر «علم الكلام» شأن الخواصِّ، وجمهرة العلماء من الفقهاء والمفسرين والمحدِّثين والمتكلمين، وغيرُهم يُعتبرون من العوام في هذا الأمر عند الغزالي.

أمَّا الخواصُّ، فقد يوجد في كل عصر منهم واحد، أو اثنان.

QaradawiBooks.com

ورجع بعد ذلك: الفخر الرازي، الَّذي كان من أكبر المحامين المدافعين عن التأويل، وصنَّف فيه أكثر من كتاب، مثل: «تأسيس التقديس» وغيره. ثمَّ قال في الطوْر الأخير من حياته العِلْميَّة:

«لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتُها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيتُ أقرب الطرقِ طريقَ القرآن: اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]. ومن جرّب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي»(١)!

وجاء في «طبقات الشافعيَّة» لابن قاضي شهبة: ما نصُّه: قال ابن الصلاح: أخبرني القُطب الطوغاني مرتين: أنَّه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، وبكَى(٢).

قال الإمام الشوكاني في «إرشاد الفحول»: وهؤلاء الثلاثة، أعني: الجويني والغزالي والرازي، هم الَّذين وسَّعُوا دائرةَ التأويل، وطوَّلوا ذيوله، وقد رجعوا آخرًا إلى مذهب السلف، كما عرفتَ، فلله الحمد، كما هو أهله(٣).

## إمام الحرمين يدعو المسؤولين أنْ يحملوا الأُمَّة على مذهب السلف:

على أنَّ إمام الحرمين لم يكتفِ بالرجوع إلى مذهب السلف نظريًّا، بل حثَّ الأئمة والمسؤولين عن قيادة الأمة ـ والمحافظة على الدين أوَّل

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥٠١/٢١).

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضي شبة (٦٥/٢)، نشر عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (٤٩/٢)، تحقيق د. شعبان محمّد إسماعيل، نشر دار الكتبي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

واجباتهم ـ أن يجعلوا مذهبَ السلف، ونهجَهم في تعلم التوحيد: هو ما ينبغي أن يُعلَّم للكافَّة.

أكَّد في «الغياثي»: «أنَّ الَّذي يحرص الإمام عليه: جمْعُ عامَّة الخلق على مذهب السلف السابقين، قبل أن نبَغَتِ الأهواء، وزاغتِ الآراء: وكانوا ﭫ ينهَوْن عن التعرُّض للغوامض، والتعمُّق في المشكلات، والإمعان في ملابسة المعضلات، والاعتناء بجمع الشبهات، وتكلف الأجوبة عما لم يقع من السؤالات، ويرون صرف العناية إلى الاستحثاث على البر والتقوى، وكفِّ الأذى، والقيام بالطاعة حسب الاستطاعة، وما كانوا ينكفُّون ﭫ عمَّا تعرَّض له المتأخرون: عن عيٍّ وحصر، وتبلد في القرائح. هيهات! فقد كانوا أذكى الخلائق أذهانًا، وأرجحهم بيانًا، ولكنَّهم استيقنوا أنَّ اقتحام الشُّبهات، داعيةُ الغوايات، وسببُ الضلالات، فكانوا يحاذرون في حق عامَّة المسلمين ما هم الآن به مُبتلَوْن، وإليه مدفوعون، فإنْ أمكن حمل العوام على ذلك فهو الأسلم»[1].

ونعْمَ ما أوصى به هذا الإمام:

**فكلُّ خَيْرٍ في اتِّباعِ مَن سَلَف  وكلُّ شرٍّ في ابتداع مَن خلف**

* * *

(١) انظر: الغياثي للجويني صـ ١٩٠، ١٩١، فقرة (٢٨٠)، تحقيق د. عبد العظيم الديب، نشر الشؤون الدينية، قطر، ط١، ١٤٠٠هـ.

QaradawiBooks.com

# كلمة أخيرة عن إمام الحرمين

غير مرخصة للطباعة

كلُّ الَّذين كتبوا عن إمام الحرمين، قد رحَّبوا بهذه التطورات الكبيرة في فكره الأشعري؛ لأنَّهم يعرفون مقام الرجل، في تأييد المذهب الأشعري، وأنَّ قامتَه فيه قامة عالية لا تسبقها ولا تطاولها قامة، ولذلك إذا غيّر في مفاهيمه، وبدّل في مسَلَّماته، وراجع كثيرًا من قضاياه، فلا شكَّ أنْ يكون لهذا أكبر الأثر على المذهب، إذا تنبَّه أهله لهذا التغير الجارف.

وتكون هناك مشكلة حقًّا إذا لم يحدث التنبُّه الكافي لما صنعه هذا الإمام المنصف الشجاع، وخصوصًا أنَّ رجال المذهب وأساطينه حاضرون جاهزون في مختلف الأقطار والبلدان. وكتب إمام الحرمين الأصليَّة الكلامية، مثل «الإرشاد» و«الجامع»، و«اللمعة» موجودة، وهي كبيرة وواسعة وعميقة، وتحمل الفكر القديم للإمام، وتناطح عنه بكل قوة ونصاعة.

ومن عجائب القدر: أن إمام الحرمين لم يفسح له في العمر، كما أشرنا من قبل، فكل ما عاشه (٥٧) سنة شمسية، ولعلَّ القدر لو أمهله لأرانا العجائب، في توسيع نطاق ما ذهب إليه، وشرحه والدفاع عنه، وإمداده بأقوال أخرى. ولكن هذا هو قدر الله.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ولقد رأيتُ في هذه السنين الإخوة من كبار علماء الأزهر، المهتمين بالجانب العقائدي والأشعري، والَّذين خدموا فكر الإمام، كالدكتور القوصي، الَّذي كتب رسالته الوجيزة، عن تطور الفكر الكلامي عند إمام الحرمين، الَّتي خالف فيها إمام الأشاعرة من قبله، بمثل الَّتي خالف فيها نفسه، فيما انتهى إليه في سائر كتبه المتقدمة، من القضايا المعروفة للدارسين والمهتمين.

ولكن القوصي لم يرضَ أن يسَلِّم طائعًا بأنَّ إمام الحرمين تغير من داخله تغيرًا كليًّا، جعله شخصًا آخر، وأنشأه خلقًا آخر؛ بل لا يزال خائفًا أو متردّدًا، أو متحيّرًا، وكثيرًا ما يورد الأسئلة، ثمَّ يقول: أقول: لا جوابَ قاطعٌ عندي، وسيظل باب الاحتمالات مفتوحًا!

وكذلك قال في نهاية كتيبه.

ورأيي أنَّ الرجل ـ أعني الإمام ـ قد قطع فيما انتهى إليه، وأوصل إلينا رأيه واضحًا هاديًا. فقد حصحص الحقُّ، وبان الصبح لذي عينين ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]. فلنسَلِّم للرجل، ولندعُ له بالخير فيما أنجز، ولندع للمسلمين في كل مكان أن ينتفعوا بآخر ما وصلوا إليه ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

* * *

QaradawiBooks.com



نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوسُوعَةُ الأعمالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإمَامِ
يُوسُف القرضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

# الفهارس العامة


- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.


نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

# فهرس الآيات القرآنية الكريمة


| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة البقرة** | | |
| ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ | ٢ | ٢٠١ |
| ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ | ١٠ | ٦٤ |
| ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ | ١٦ | ١٢٥ |
| ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ | ٣٠ | ٧٨ |
| ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ | ٣١ | ٧٨ |
| ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ | ٣٢ | ٧٨، ١٨٦ |
| ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ | ٣٣ | ٧٨ |
| ﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ | ٧٩ | ٩١ |
| ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ | ٩٨ | ٢٩ |
| ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ﴾ | ١٠٢ | ١١٣ |
| ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ | ١١١ | ١١، ١٨، ١١٠، ١٤٩، ١٥١ |


نسخة مجانية

| الآيــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ | ١٢٧ | ٩٤ |
| ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ | ١٢٩ | ٥١ |
| ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ | ١٤٣ | ٥٩، ١١٦ |
| ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ | ١٥١ | ٥٠ |
| ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ | ١٦٤ | ٣٤ |
| ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ | ١٦٦، ١٦٧ | ٢١، ١٠٢ |
| ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ | ١٦٦ | ٢١، ١٠٢ |
| ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ | ١٧٠ | ٢٠، ٩٩، ١٤٩، ١٥٠ |
| ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ | ١٧١ | ٩٩ |
| ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ | ١٨٥ | ١٩١، ٢٠١ |
| ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ | ٢٠٠ | ٥٧ |
| ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ | ٢٠١ | ٥٧ |
| ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ | ٢١٣ | ١٥٩، ١٩١ |
| ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ | ٢١٩ | ٤٥ |
| ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ | ٢٣٠ | ٨٧ |
| ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ | ٢٤٧ | ٨٣ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ | ٢٧٨ | ٢١٨ |
| ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ | ٢٧٩ | ٢١٨ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة آل عمران** | | |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ | ٧ | ١٣٠، ٢٠٠، ٢٥٩ |
| ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ | ١٨ | ٤، ٣٦، ٧٧ |
| ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ | ١٩ | ٢٠٢ |
| ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ | ٦٤ | ٤٩ |
| ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ | ٧٨ | ٩١ |
| ﴿ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ | ١١٠ | ٥٩ |
| ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ | ١٣٧ | ٣٤، ١٠٥، ١١٢، ١٥١، ١٧٠ |
| ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ | ١٣٨ | ١٩١، ٢٠٢ |
| ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ | ١٤٨ | ٥٧ |
| ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ | ١٦٤ | ٥١ |
| ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ ﴾ | ١٩٠ | ٣٣، ١٥٥، ١٦٦ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ | ١٩١ | ٣٣ |
| **سورة النساء** | | |
| ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ | ٣١ | ٢١٧ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾ | ٤٠ | ٢٠٢ |
| ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ | ٥٩ | ١٩٢ |
| ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ | ٨٢ | ١٣٤، ١٤٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ | ٨٣ | ٣٧ |
| ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ | ١٠٥ | ٢٠٢ |
| ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ | ١١٦ | ٢٠٢ |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ | ١٣٥ | ٢٠٢ |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ | ١٤٤ | ٢٠٢ |
| ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ | ١٥٧ | ٩٧ |
| ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ | ١٥٨ | ٩٧ |
| ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ | ١٦٥ | ١٥٩ |
| **سورة المائدة** | | |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ | ١ | ١٩٨، ٢٠٢ |
| ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ | ٢ | ٢٠٢ |
| ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ | ٩ | ٢٠٢ |
| ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ | ٣٨ | ٢٠٢، ٢١٩ |
| ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ | ٣٩ | ٢٠٣ |
| ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾ | ٤٩ | ٢٠٣ |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ | ٥٤ | ١٧٥، ٢٠٣ |
| ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى﴾ | ٧٨ | ٢٠٣ |
| ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ | ٧٩ | ٢٠٣ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ ﴾ | ٩٠ | ٢١٧ |
| ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ ﴾ | ٩١ | ٢١٧ |
| ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ | ١٠٤ | ٢٠، ٩٩ |
| **سورة الأنعام** | | |
| ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ | ٦ | ١٠٨ |
| ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ | ١١ | ٣٤، ٥٤، ١٠٥ |
| ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ ﴾ | ١٢ | ٢٠٣ |
| ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ ﴾ | ١٤ | ٢٠٣ |
| ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ ﴾ | ٣٤ | ٢٠٣ |
| ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ ﴾ | ٤٨ | ٢٠٣ |
| ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا ﴾ | ٥٩ | ١٢٢ |
| ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾ | ٦١ | ٢٨ |
| ﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ | ٨٩ | ٤٦ |
| ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ﴾ | ٩٦ | ٨٤ |
| ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ ﴾ | ٩٧ | ٨٣ |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ | ١٠٥ | ٨٧ |
| ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا ﴾ | ١١٤ | ٢٠٣ |
| ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ | ١١٦ | ٩٧ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ | ١٢٠ | ٤٩ |
| ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ | ١٢٤ | ١٨٥ |
| ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ | ١٤٢ | ١٩٨ |
| ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ | ١٤٣ | ٨٧، ١١٠، ١٤٩، ١٩٨ |
| ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ | ١٤٨ | ٩٦، ١١١، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٧ |
| ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ | ١٥١ | ٥٠ |
| ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ | ١٥٣ | ٢٠٤ |
| ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ | ١٥٥ | ٢٠٤ |
| ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ | ١٦٤ | ٢٠٣ |
| **سورة الأعراف** | | |
| ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ | ٣ | ٢٠٤ |
| ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ﴾ | ٧ | ٣٧ |
| ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ | ٢٦ | ٣٧ |
| ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ | ٢٧ | ٢٠٤ |
| ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ | ٢٨ | ٨٦ |
| ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ | ٣١ | ٢٠٤ |
| ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ | ٣٢ | ٨٦ |

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ ﴾ | ٣٣ | ٥٠، ٢٠٤ |
| ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ | ٣٨ | ٢١، ١٠٢ |
| ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ | ٣٩ | ٢١، ١٠٢ |
| ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ | ٥٢ | ٣٧ |
| ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ | ٥٨ | ٦٤ |
| ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ | ٧٠ | ١٩، ١٠٠ |
| ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ | ١٤٤ | ١٨٤ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ | ١٥٧ | ٢٠٤ |
| ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ | ١٧٩ | ١٥٣، ٢٠٤ |
| ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ | ١٨١ | ٨، ٤٦، ١٤٧، ٢٠٤ |
| ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ | ١٨٥ | ٣٤، ٣٥، ١٠٤، ١٠٦، ١٥١ |
| ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ | ١٨٨ | ٢٠٥ |
| ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ | ١٩٩ | ٢٠٥ |
| **سورة الأنفال** | | |
| ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ | ٢ | ٥٢، ٢٠٥ |
| ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ | ٣ | ٥٢ |
| ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ | ٤ | ٥٢ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ | ٩ ـ ١٣ | ٢٩ |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ | ٢٠ | ٢٠٥ |
| ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ | ٣٩ | ٢٠٥ |
| ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ | ٤٠ | ٢٠٥ |
| ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ | ٦٠ | ٥٩، ٢٠٥ |
| ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ | ٦١ | ٢٠٥ |
| ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ | ٦٢ | ٢٠٥ |
| **سورة التوبة** | | |
| ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ | ٦ | ٨٧ |
| ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ | ٣١ | ٢٤، ٢٤ |
| ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ | ٣٣ | ١٤٠ |
| ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ | ٤٢ | ٢٥٨ |
| ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ | ٦٠ | ٢٢٤ |
| ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ | ٩٣ | ٨٧ |
| ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا﴾ | ١٢٤ | ٦٤ |
| ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ | ١٢٥ | ٦٤ |
| **سورة يونس** | | |
| ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ | ٥ | ٨٥ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ | ١٦ | ١٦٨ |
| ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ | ٢٥ | ٢٦٧ |
| ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ | ٣٢ | ٢٦٧ |
| ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ | ٣٦ | ١٨، ٩٦، ١٩٥ |
| ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ | ٥٩ | ١٥١ |
| ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ | ٦٦ | ٩٦ |
| ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ | ٦٨ | ١١١ |
| ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ ﴾ | ١٠١ | ٣٤، ٣٥، ١٠٤، ١٥١، ١٧٠ |
| **سورة هود** | | |
| ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ﴾ | ٣٨ | ٩٤ |
| ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ | ٥٩ | ١٠١ |
| ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ | ٨٧ | ١٠٠ |
| ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ | ٩٦ | ١٠١ |
| ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ | ٩٧ | ١٠١، ١٥٠ |
| ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ | ٩٨ | ١٥٠ |
| ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم ﴾ | ١٠٩ | ١٠٠ |
| ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾ | ١٢٠ | ٥٣ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة يوسف** | | |
| ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ | ١ | ١٩١ |
| ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ | ٥ | ١٧٣ |
| ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ | ٦ | ٧٩، ١٧٣ |
| ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ | ٢١ | ٧٩، ١٧٣ |
| ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ | ٢٢ | ٨٠ |
| ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ | ٣٧ | ١٧٣ |
| ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ | ٤٢ | ٨٠ |
| ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ | ٤٤ | ١٧٣ |
| ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ | ٥٤ | ٨٠ |
| ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ | ٥٥ | ٨٠ |
| ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ | ١٠١ | ٧٩، ١٧٣ |
| ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ | ١١١ | ٥٣ |
| **سورة الرعد** | | |
| ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ | ٤ | ٦٤ |
| ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ | ٨ | ٢٠٩ |
| ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ | ١٧ | ٩٤، ١٧٦ |
| ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ | ٣٩ | ١٩٢ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ | ٤١ | ١٠٩ |
| ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ | ٤٣ | ٣٦ |
| **سورة إبراهيم** | | |
| ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ | ١٠ | ١٠٠ |
| ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ | ٢٢ | ١٤٤ |
| ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ | ٣٢ ـ ٣٤ | ١٧١ |
| **سورة الحجر** | | |
| ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ | ١ | ١٩١ |
| ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ | ٩ | ٤١، ١٤٧ |
| ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ | ٢١ | ٢٠٩ |
| **سورة النحل** | | |
| ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ | ١٤ | ٩٤ |
| ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ | ٢٥ | ١٠٣ |
| ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ | ٣٢ | ٢٩ |
| ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ | ٣٦ | ١٠٥، ٢١٧ |
| ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ | ٤٣ | ١٧١ |
| ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ | ٤٤ | ١٤٥ |
| ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ | ٤٨ | ١٠٨ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ | ٦٤ | ١٩١ |
| ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ | ٦٧ | ٩٣ |
| ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ | ٧٨ | ١٦، ٣٠، ١٥٣، ١٧٦، ٢٠٩ |
| ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ | ٧٩ | ٣٠، ١٠٦ |
| ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ | ٨٠ | ٩٤ |
| ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ | ٨٩ | ١٩١ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ | ١٢٨ | ٥٢ |
| **سورة الإسراء** | | |
| ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ | ٩ | ٤ |
| ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ | ٣٦ | ١٦، ١٥٣ |
| ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ | ٤٢ | ١٦٦ |
| ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ | ٤٣ | ١٦٦ |
| ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا﴾ | ٤٥ | ٦٥ |
| ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾ | ٤٦ | ٦٥ |
| ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ | ٦٥ | ١٤٤ |
| ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ﴾ | ٧٦ | ١١٢ |
| ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ | ٧٧ | ١١٢ |
| ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ﴾ | ١٠٠ | ٢٧ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الكهف** | | |
| ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ | ٥١ | ٢١٠ |
| ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ | ٦٥ | ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨ |
| ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ | ٦٦ ـ ٨٢ | ١٧٧ |
| ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ | ٧٩ | ٤٤ |
| ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾ | ٨٢ | ١٧٩ |
| ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾ | ٩٦ | ٩٤ |
| **سورة مريم** | | |
| ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ | ٦٤ | ١٦٩ |
| **سورة طه** | | |
| ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ | ٥ | ٢٥٩، ٢٦٤ |
| ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ | ٤٩ | ٢٧ |
| ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ | ٥٠ | ٢٧ |
| ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ | ٥٤ | ١٥٤ |
| **سورة الأنبياء** | | |
| ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ | ٢٢ | ١٦٦ |
| ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ | ٢٣ | ٢٥٥ |
| ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ | ٢٤ | ١٨، ١١٠، ١٥١، ١٦٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ﴾ | ٣٠ | ١٠٩، ٢٠٩ |
| ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ | ٤٤ | ١٠٩ |
| ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴾ | ٥٢ ـ ٥٤ | ١٠٠ |
| ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ | ٨٠ | ٩٣ |
| **سورة الحج** | | |
| ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ | ٥ | ٣١ |
| ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ | ٤٦ | ٥٤، ١٠٥، ١٥٣، ١٧٠، ١٧١ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ | ٦٣ | ١٠٧ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ | ٦٥ | ١٠٧ |
| ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ | ٧٥ | ١٨٥ |
| **سورة المؤمنون** | | |
| ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ | ٢٧ | ٩٤ |
| ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴾ | ٦٣ | ٢٥٨ |
| ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ﴾ | ٩١ | ١٦٧ |
| **سورة النور** | | |
| ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ | ٣٥ | ١٣، ١٥٩ |
| ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ | ٣٩ | ٢٠٠ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾ | ٤٠ | ١٣ |
| ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ | ٤٠ | ١٦٥ |
| **سورة الفرقان** | | |
| ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ | ٢ | ٢٠٩ |
| ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ | ٤٣ | ٩٨ |
| ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ | ٤٤ | ٩٨ |
| ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ | ٧٠ | ١٨٩ |
| ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ | ٧١ | ١٨٩ |
| **سورة الشعراء** | | |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ | ٧ | ١٠٧ |
| ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ | ١٩٢ ـ ١٩٥ | ٢٩، ٦٠ |
| **سورة النمل** | | |
| ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ | ١ | ١٩١ |
| ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ | ١٥ | ٨١ |
| ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ | ١٦ | ٨١ |
| ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ | ١٧ ـ ١٩ | ٨٢ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ | ٣٨ | ١٧٤ |
| ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ | ٣٨ | ٨٢ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿قَالَ عِفۡرِيتٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ | ٣٩ | ٨٢، ١٧٤ |
| ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ | ٤٠ | ٣٦، ٨٢، ١٧٤، ١٧٥ |
| ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ | ٥٠ ـ ٥٢ | ٨٥ |
| ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ | ٦٤ | ١٨، ١١٠ |
| ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ | ٦٩ | ٣٥، ١٠٥ |
| ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ | ٨٦ | ١٠٧ |
| **سورة القصص** | | |
| ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ | ١٤ | ٨١ |
| ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ | ٥٠ | ٩٨ |
| ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ | ٧٧ | ١٧١ |
| ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ﴾ | ٨٠ | ٣٧ |
| **سورة العنكبوت** | | |
| ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ﴾ | ١٣ | ١٠٣ |
| ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ | ١٩ | ١٠٩ |
| ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ﴾ | ٢٠ | ٣٤، ١٠٥ |
| ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ | ٤٣ | ٣٧، ٨٤ |
| ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ | ٤٩ | ٣٧ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ | ٥١ | ٤، ٩١ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ | ٦٧ | ١٠٩ |
| **سورة الروم** | | |
| ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ | ٩ | ١٠٥ |
| ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ | ٢٢ | ٨٤ |
| ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ | ٢٨ | ١٥٦ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ | ٣٧ | ١٠٩ |
| ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ | ٥٢ | ٦٥ |
| ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ | ٥٣ | ٦٥ |
| ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ | ٥٩ | ٨٨ |
| **سورة لقمان** | | |
| ﴿ يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ | ٢٠ | ١٥٧ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ | ٢٩ | ١٠٧ |
| **سورة السجدة** | | |
| ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ | ١١ | ٢٨ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا ﴾ | ٢٧ | ١٠٧ |
| **سورة الأحزاب** | | |
| ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ | ٣٤ | ٩١ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ | ٣٦ | ١٥٢ |
| ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ | ٣٨ | ١١٢ |
| ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ | ٦٠ ـ ٦٢ | ١١٢ |
| ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ | ٦٦ ـ ٦٨ | ١٠٢ |
| ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ | ٦٧ | ٢٢، ١٥٠ |
| ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ | ٦٨ | ٢٢ |
| **سورة سبأ** | | |
| ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ | ٩ | ١٠٨ |
| ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ | ١٠، ١١ | ٩٣ |
| ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ | ١٣ | ٩٤ |
| ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ | ٣١ ـ ٣٣ | ٢١، ١٠٢ |
| ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ | ٤٤ | ١٣٨ |
| ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ | ٤٦ | ٤، ١٦٨، ٢٢٨، ٢٢٩ |
| **سورة فاطر** | | |
| ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ | ١ | ٢٩ |
| ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ | ١٠ | ٢٦٤ |
| ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ | ١٤ | ١٢٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ | ١٥ ـ ١٧ | ٢٧ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾ | ٢٧ | ٨٥، ١٠٧ |
| ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ | ٢٨ | ٣٦، ٨٥، ١٠٧ |
| ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ ﴾ | ٤٢ | ١١٢ |
| ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ | ٤٣ | ١١٢، ١٥١ |
| **سورة يس** | | |
| ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ | ٦ | ١٣٨ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ | ٧١ ـ ٧٣ | ١٠٦ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ | ٧٧ | ٣١ |
| **سورة الصافات** | | |
| ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ | ٦٩، ٧٠ | ٢٣ |
| ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ | ١٧٢، ١٧٣ | ١١٥ |
| **سورة ص** | | |
| ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ | ٢٦ | ٩٨، ١٥٠ |
| ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ | ٣٧ | ٩٤ |
| ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴾ | ٥٩ ـ ٦١ | ٢١ |
| ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ | ٧٥ | ٢٥٩ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الزمر** | | |
| ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ | ٩ | ٤، ٣٦، ٧٧ |
| ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ | ١٧ | ٢١٧ |
| ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ | ٢١ | ١٠٧ |
| ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ | ٧٣ | ٢٩ |
| **سورة غافر** | | |
| ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ | ٢٨ | ١٥٥ |
| **سورة فصلت** | | |
| ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ | ١١ | ٢٠٩ |
| ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ | ٥٣ | ٤، ٣٥ |
| **سورة الشورى** | | |
| ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ | ١٠ | ١٥٩ |
| ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ | ١١ | ٢٦٤ |
| ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ | ٣٧ | ٢١٧ |
| ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ | ٥١ | ٦٠ |
| **سورة الزخرف** | | |
| ﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ | ١، ٢ | ١٩١ |
| ﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾ | ٤ | ١٩٢ |
| ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ | ١٩ | ١٥١ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ | ٢٢ ـ ٢٤ | ٢٠، ٢٣، ١٠٠، ٢٣ |
| ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ | ٥٤ | ١٠٢ |
| ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ | ٧٧ | ٢٩ |
| ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ | ٨٠ | ٢٨ |
| **سورة الدخان** | | |
| ﴿حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ | ١، ٢ | ١٩١ |
| **سورة الجاثية** | | |
| ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ﴾ | ١٣ | ١٧١ |
| ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ | ١٨ | ٨٨ |
| ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ | ٢٣ | ٩٨ |
| ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ | ٢٤ | ٨٩ |
| ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ | ٣٢ | ٩٧ |
| **سورة الأحقاف** | | |
| ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ | ٤ | ١١٠، ١٧١ |
| ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾ | ٢٦ | ١٥٣ |
| **سورة الفتح** | | |
| ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ | ٢٢ | ١١٣ |
| ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ | ٢٣ | ١١٣ |

غير مخصص للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة ق** | | |
| ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ | ٦ ـ ١١ | ٣٣، ١٠٤ |
| ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ | ١٠ | ١٠٦ |
| ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ | ١٧ | ٢٨ |
| ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ | ١٨ | ٢٨ |
| **سورة الذاريات** | | |
| ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ | ٢٠، ٢١ | ٣٥، ١٠٤، ١٧٠ |
| **سورة الطور** | | |
| ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ | ٣٥ | ٣٠، ١٦٦ |
| ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ | ٣٦ | ٣٠، ١٦٦ |
| **سورة النجم** | | |
| ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ ﴾ | ٢٣ | ٩٨ |
| ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ | ٢٨ | ١٨، ٩٦، ١٥٠، ١٥٠، ١٩٥، ١٤٩ |
| **سورة القمر** | | |
| ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ | ١٤ | ٢٥٩ |
| **سورة الرحمن** | | |
| ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ | ٣، ٤ | ٣٧ |
| ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ | ٢٧ | ٢٥٩ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الواقعة** | | |
| ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ | ٧٥ ـ ٨٠ | ٦٢ |
| **سورة الحديد** | | |
| ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ | ٤ | ١٢٢ |
| ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ | ٢٥ | ٩٣، ١٩١ |
| **سورة المجادلة** | | |
| ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ | ١١ | ٣٦ |
| **سورة الحشر** | | |
| ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ | ٢ | ٥٣، ١٧١ |
| **سورة الجمعة** | | |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ | ٢ | ٥١ |
| **سورة المنافقون** | | |
| ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ﴾ | ٤ | ٥٢ |
| ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ | ٨ | ٥٩، ٨٨، ٨٩ |
| **سورة التحريم** | | |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ | ٦ | ٢٩، ٥٧ |
| **سورة الملك** | | |
| ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ | ١٩ | ١٠٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الحاقة** | | |
| ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ | ٣٨، ٣٩ | ٢٨ |
| **سورة نوح** | | |
| ﴿رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾ | ٢١ | ١٠١ |
| **سورة المدثر** | | |
| ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ | ٣٨ | ٢٥ |
| **سورة القيامة** | | |
| ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ | ٤ | ٨٤ |
| ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ | ٣٧ ـ ٤٠ | ٣١ |
| **سورة الإنسان** | | |
| ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ | ٢ | ٣١ |
| **سورة المرسلات** | | |
| ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۞ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾ | ٢٠ ـ ٢٤ | ٣١ |
| **سورة عبس** | | |
| ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۞ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۞ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ | ٢٤ ـ ٣٢ | ١٠٤ |
| **سورة التكوير** | | |
| ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ | ٨، ٩ | ١٣٩، ١٤٦، ١٩٩ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الانفطار** | | |
| ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ | ١٠ ـ ١٢ | ٢٨ |
| **سورة الطارق** | | |
| ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ | ٥ ـ ٨ | ٣١، ١٠٤ |
| **سورة الغاشية** | | |
| ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ | ١٧ | ١٠٤، ١٠٦ |
| ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ | ١٨ | ١٠٤، ١٠٦ |
| ﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ | ١٩ | ١٠٤ |
| ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ | ٢٠ | ١٠٤، ١٠٦ |
| **سورة الفجر** | | |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ | ٦ ـ ١٤ | ١٠٨ |
| ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ | ٢٢ | ٢٥٩ |
| **سورة العلق** | | |
| ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ | ١ ـ ٥ | ٧٦ |
| **سورة القدر** | | |
| ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ | ٤ | ٢٩ |
| **سورة البينة** | | |
| ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ | ٥ | ٥٠ |

QaradawiBooks.com

QaradawiBooks.com

# فهرس الأحاديث النبوية الشريفة


| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| أ | |
| آرسلك أبو طلحة. فقلت: نعم. | ١٨٢ |
| اجتنبوا السَّبْعَ المُوبِقَات: الشِّرْك بالله تعالى، والسِّحْر، وقتل النفس | ١١٤ |
| أرضعيه تَحْرُمي عليه | ١٤١، ١٤٢ |
| استفتِ قَلْبَكَ واستفتِ نفسَكَ، البرُّ ما اطمأنَّت إليه النفس، واطمأنَّ إليه القلب | ١٧٠ |
| استفتِ قلبكَ وإن أفتَوْكَ | ١٨٥ |
| ألم يُحَرِّموا عليهم الحلال، ويُحِلُّوا لهم الحرام، فأطاعوهم؟ فتلك عبادتهم إيَّاهم | ٢٤ |
| إنَّ أبي وأباك في النار | ١٣٨ |
| إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد | ٥ |
| أنْ تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك | ٥٠ |
| إنَّ الرُّقَى والتَّمائم والتِّوَلة شِرْك | ١١٥ |
| إنَّ رُوح القُدُس نفث في رُوعِي | ١٨٥ |
| إنَّ الشَّمْسَ والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته | ١١٤ |
| إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا، ولا درهمًا | ٣٨ |
| أنت ومالُك لأبيك | ٢٢٢ |
| أنتم أعلمُ بأمر دُنْيَاكم | ١٧١ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى | ٥٠ |
| ب | |
| بُعِثْتُ بين يَدَيِ الساعةِ بالسيف، حتَّى يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له | ١٤٠ |
| ح | |
| الحجر الأسود من الجنَّة | ١٩٦ |
| الحكمة ضالَّة المُؤْمِنِ، أنَّى وَجَدَها فهو أحقُّ بها | ١٧١ |
| الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمورٌ مُشْتبِهات | ١٧٠ |
| ر | |
| رُفع القلم عن ثلاث: عن الصغير حتَّى يَكْبَر | ١٩٨ |
| ع | |
| عليكم بألبانِ البقر، فإنها دواء، وأسمانِها فإنّها شفاء! | ١٩٧ |
| ف | |
| فإذا جاء الَّذي يُسَخِّرها فوجدها منخرقة تجاوزها فأصلحها | ١٨٦ |
| ق | |
| قوموا. فقام المهاجرون، والأنصار | ١٨٢ |
| ك | |
| كان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعثت إلى النَّاس عامَّة | ١٨١ |
| كلُّها في النار إلَّا واحدة | ١٤١ |
| ل | |
| لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن النَّاس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا | ٥، ٢٥ |
| لا يأتي عليكم زمانٌ إلَّا والَّذي بعدَه شرٌّ منه | ١٤١ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| لا يقضي القاضي وهو غَضْبَانُ | ٩٨ |
| لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَزِ اللَّحْم | ١٣٩ |
| م | |
| ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه عفوٌ | ١٦٩ |
| من اقتبس علمًا من النجوم، فقد اقتبس شُعْبة من السِّحْر، زاد ما زاد | ١١٤ |
| من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طُرُقِ الجنَّة | ٥ |
| من علَّق تَمِيمةً فقد أشرك | ١١٥ |
| من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْه في الدِّين | ٥، ٣٨ |
| ن | |
| النِّيلُ والفراتُ من الجنَّة | ١٣٩ |
| هـ | |
| هذه يد عثمان | ١٨٢ |
| و | |
| الوائدة والموءودةُ في النار | ١٣٨، ١٤٦، ١٩٨، ١٩٩ |
| ي | |
| يستغفر للعالِمِ ما في السماوات والأرض | ٣٨ |

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ........ ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ........ ٥

• مقدمــة ........ ٧

الأصل الثامن عشر ........ ١٥

الأصل التاسع عشر ........ ١٥

❖ ١ ـ الإسلام يُحَرِّرُ العقل ويحثُّ على النظر والعلم ........ ١٦

الإسلام يُحَرِّر العقل ........ ١٦

تحرير العقل من أَسْر الخرافات والأباطيل ........ ١٧

التحرير العقلي من أسر التقليد ........ ١٩

أ ـ التحرير من قَيْد اتِّباع الآباء ........ ١٩

ب ـ تحرير العقل من قَيْد السادة والكبراء ........ ٢٠

ج ـ تحرير العقل من سلطان الأساتذة والشيوخ ........ ٢٢

د ـ تحرير العقل من اتِّباع العامَّة ........ ٢٥

QaradawiBooks.com

الإسلام يحثُّ على النظر في الكون ........ ٢٧
الإسلام يرفع قدر العلم والعلماء ........ ٣٥
أقسام العلم وأنواعه ........ ٣٨
**❖ ٢ ـ أوَّل ما يُطْلَب من المسلم عِلْمُ الدِّين ........ ٤٠**
علم التفسير ........ ٤٠
علم الحديث ........ ٤١
علم الفقه ........ ٤٢
ألوان الفقه المطلوبة للأُمَّة اليوم ........ ٤٤
علم أصول الفقه ........ ٤٦
علم الكلام ........ ٤٨
علم التصوُّف ........ ٤٩
علم السِّيرة والتاريخ الإسلامي ........ ٥٣
الواجب في علوم الدِّين ........ ٥٥
علوم الدُّنْيا إلى جانب علوم الدِّين ........ ٥٧
**❖ ٣ ـ انقسام العلوم إلى ما هو نقلي وما هو عقلي ........ ٦٠**
من علمائنا من جمع بين النقلي والعقلي من العلوم ........ ٦٢
موقف الغزالي بين العقل والنقل ........ ٦٥
دوْر العقل في مجال الشرعيَّات (أو العمليات) ........ ٧٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**❖ ٤ ـ العلم المذكور في القرآن والسُّنَّة يشمل علم الدِّين وعلم الدُّنْيا ........ ٧٥**
شمول العلم وتنوعه في لسان القرآن ........ ٧٦
تعليم آدم الأسماء كلها ........ ٧٨
علم يوسف تأويل الأحاديث ........ ٧٩
علم موسى عندما بلغ أشدَّه واستوى ........ ٨١
علم داود وسليمان ........ ٨١
علم الَّذي أحضر عرش بلقيس من اليمن ........ ٨٢
علم طالوت ........ ٨٣
استخدام لفظة «العلم» ومشتقاتها في غير العلم الديني ........ ٨٣
أكثر النَّاس لا يعلمون ........ ٨٨
العلم عند سلف الأُمَّة ........ ٨٩
تكوين العقليَّة العِلْميَّة في القرآن ........ ٩٥
١ ـ رفض الظنِّ في موضع اليقين ........ ٩٦
٢ ـ عدم اتِّباع الأهواء والعواطف في مجال العلم ........ ٩٧
٣ ـ رفض التقليد الأعمى للآباء والأسلاف ........ ٩٩
٤ ـ رفض التبعية للسادة والكبراء ........ ١٠١
٥ ـ التعبد بالنظر العقلي ........ ١٠٣
٦ ـ لا تقبل دعوى بغير برهان ........ ١٠٨
٧ ـ رعاية سنن الله في الكون والمجتمع ........ ١١١

QaradawiBooks.com

❖ ٥ ـ **الموازنة بين العقل والنقل** ........ ١١٦

المقصود بالعقل ........ ١١٦

المقصود بالنقل ........ ١١٩

مواقف النَّاس من العقل والنقل ........ ١٢٠

أولًا: المبالغون في العقلانيَّة ........ ١٢٠

وهؤلاء ينقسمون إلى أنواعٍ شتَّى ........ ١٢٠

عقلانيَّة المعتزلة ........ ١٢٧

فهو أصل اقتضى للعاقل أمرين ........ ١٣٠

ثانيًا: المبالغون في اعتبار النقلانيَّة ........ ١٣٠

لوازم عقليَّة للمسرفين في النقليَّة ........ ١٣٣

ثالثًا: التيار الوسطي، ووضْع الضوابط المنهجيَّة للتعامل مع النصوص ........ ١٣٥

أ ـ قطعيَّة ثبوت النص القرآني ........ ١٣٦

ب ـ التثبُّت من صحَّة الحديث ........ ١٣٧

ج ـ وصل النصوص الجزئيَّة بالمقاصد الكُلِّيَّة ........ ١٤٢

د ـ لا تعارض بين عقل صريح ونقل صحيح ........ ١٤٣

هـ ـ الإيمان بسنن الله ورفض المبالغة في تصديق الخوارق والأوهام ........ ١٤٤

و ـ فهم السُّنَّة في ضوء القرآن ........ ١٤٥

ز ـ ربط النصوص بعضها ببعض ........ ١٤٦

QaradawiBooks.com

ح ـ عصمة مجموع الأُمَّة من الضلالة ........ ١٤٧
الاختلاف في دلالة النَّصِّ ........ ١٤٨
مكانة العقل في الإسلام ........ ١٤٩
العقل أساس النقل ........ ١٥١
عناية القرآن بالعقل فعلًا وقوَّة ........ ١٥٢
شهادات المُنْصِفِين من المُفَكِّرين الغربيِّين ........ ١٥٤
شهادة جاك بيرك ........ ١٥٤
شهادة ماكسيم رودنسون ........ ١٥٤
اللاهوت القرآني في دقَّة الرياضيَّات ........ ١٥٧
٢ ـ حاجة البشر إلى الوحي ........ ١٥٨
هل يُغْني الفلاسفة عن الأنبياء؟ ........ ١٥٩
ركام الفلسفات وتناقضاتها ........ ١٦٠
حصاد الفلسفة ........ ١٦٣
الوحي لم يلغِ دور العقل ........ ١٦٥
ما تركه الوحي للعقل في مجال العقيدة ........ ١٦٦
ما تركه الوحي للعقل في مجال التشريع. ........ ١٦٨
ما تركه الوحي للعقل في مجال الأخلاق ........ ١٦٩
ما ترك الوحي للعقل في كشف آفاق الكون والحياة ........ ١٧٠

QaradawiBooks.com

❖٦ ـ تردُّد العلم بين ما هو خاصٌّ وما هو عامٌّ ........ ١٧٢
علم تأويل الأحاديث ........ ١٧٢
علم نقل الأشياء بغاية السرعة من أماكن بعيدة ........ ١٧٤
العلم اللّدُنِّي الَّذي منحه الله للخضر ........ ١٧٥
فاعتبر بعضُهم علم البشر الَّذي يصلون إليه نوعين ........ ١٧٥
موسى والخَضِر ........ ١٧٨
❖٧ ـ تردّد العلم بين الظنِّي والقطْعيّ ........ ١٨٧
لا تناقض بين القطعيات ........ ١٨٧
تعارض القطعي والظني ........ ١٨٨
منكر القطعي يستتاب ........ ١٨٩
مبالغة بعض المتكلمين في التقليل من قطعيَّة القرآن ........ ١٩٠
نقض وصف النصّ القرآني بأنّه مُحتمل ........ ١٩٢
تعقيبات الرازي المهمَّة ........ ١٩٤
غلاة المحدثين في مقابل غلاة المتكلمين ........ ١٩٦
موقفنا من مناقشات بعض الأقدمين حول القطعيَّة والظنيَّة ........ ١٩٩
ممن نأخذ علمنا ويقيننا؟ ........ ٢٠١
الحقائق العِلْميَّة والنظريّات العِلْميَّة عند سيِّد قُطْب ........ ٢٠٦
وهذه هي الأخرى.. ........ ٢٠٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقول سيِّد قُطْب ........ ٢٠٨
السماوات في نظر سيِّد قُطْب ........ ٢١١
رأينا فيما ذهب إليه سيِّد قُطْب ........ ٢١٢
«نتائج العلم تقريبيَّة لا يقينيَّة ........ ٢١٢
أهمّية النصوص القطعيَّة في التفسير ........ ٢١٦
تعليق الدكتور متولي على كلام الشيخ أبي زهرة ........ ٢٢١
الردُّ على هذه الدعوى ........ ٢٢٣
رد الشيخ مُحمَّد المدني ........ ٢٢٣
تعليق الشيخ الغزالي ........ ٢٢٦
**❖ ٨ ـ تيارات الفكر الإسلامي الأصيل هل لها قدرة على التحوُّل والتعديل والتغيير؟ ........ ٢٢٨**
• تغيُّر إمام الحرمين ........ ٢٢٩
• تغيُّر الغزالي ........ ٢٣٠
• ماذا عن التطور الفكري عند إمام الحرمين؟ ........ ٢٣١
• قضايا التطور الملحوظ في فِكر الجوينيّ ........ ٢٣٤
• رأي إمام الحرمين في إثبات حدوث العالم ........ ٢٣٥
ما أصاب إمام الحرمين بسبب خروجه على الأشعري ........ ٢٣٨
رأي إمام الحرمين في القول بالأحوال ........ ٢٣٩

QaradawiBooks.com

• إمام الحرمين ومسألة العلم بالجزئيات ........ ٢٤١
والآن نبدأ في بيان أصل التُّهمة وسببها ........ ٢٤٤
• قضيَّة خلق أفعال العباد ........ ٢٥٠
رجوعه عن التأويل وعلم الكلام ........ ٢٥٥
• ما جرى بينه وبين ابن برهان ........ ٢٥٧
قال إمام الحرمين بصريح العبارة ........ ٢٥٨
كل الأقوال تؤكِّد رجوعَه إلى قول السلف، وتمنِّيه الموتَ على دين العجائز ...... ٢٦٠
اعتذار الإمام عن اشتغاله بعلم الكلام ........ ٢٦٢
سبَقَ إمامَ الحرمين الأشعريُّ ولحقه الغزاليُّ والرازي ........ ٢٦٣
إمام الحرمين يدعو المسؤولين أنْ يحملوا الأُمَّة على مذهب السلف ........ ٢٦٤
❖ **كلمة أخيرة عن إمام الحرمين ........ ٢٦٦**
• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ........ ٢٧١**
• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ........ ٢٩٧**
• **فهرس الموضوعات ........ ٣٠١**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# فهرس كتب المجلد

١٦١ ـ البدعة في الدِّين حقيقتُها وأسبابُها وأقسامُها وآثارُها ..... ٥

١٦٢ ـ التَّحْذِيرُ مِنَ العُرْفِ الخاطِئ وَالخداع اللفظي
وَالتّركِيزُ عَلَى الْعَقِيْدَةِ وَتأثِيرُها فِي العَمَلِ ..... ٢٧٧

١٦٣ ـ موقف الإسلام من العقل والعلم ..... ٣٩٥

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية